الدبلوماسي

السنة السابعة والعشرون - العدد 277
مارس 2019 الثمن 10 جنيهات

تحيا مصر

بائع الورد
للرسام رودولف ارنست 1854 1932

فى هذا العدد

المئوية الأولى لثورة 1919 ..... بقلم السفير رضا الطايفى 2
الحقيبة الدبلوماسية 4

مئويــة ثــورة 19

عبد الرحمن فهمى أيقونة ثورة 1919 ..المستشار رجائى عطية 8
ثورة 19كفاح شعب وروح وطن .....د.هشام عبدالملك 10
دور التنظيم السرى لثورة 19.....عمرو كمال حموده 12
سيد درويش نغم الهوية المصرية لثورة 1919 ....عادل عبدالصمد 15

سياســـــة

الارتقاء بالحوار العربى الأوروبى سفير جمال الدين البيومى 18
إشكاليات تعيين الحدود البحرية وتهديدات الملاحة الدولية ... سفير د. عزت سعد 21
أنابيب الغاز الطبيعى ..... سفير د .عادل السالوسى 24
أضواء على القمة العربية الأوروبية ..... سفير رخا أحمد حسن 27
هل تقود مصر الفضاء الإفريقى من الهيمنة الى الاستقلال؟ .. د. عادل عبد الصادق 30
«تصدير الثورة»: الجدل المزمن للثورات ... سفير د. وليد محمود عبد الناصر 33
هل كان الاتحاد السوفيتى شراً مطلقاً؟ .. سفير أسامة توفيق بدر 36
القمة العربية الأوروبية تطلق آمال الاقتصاد .. أحمد عبد السلام 38
التطوع وبناء القوة الشاملةً ..... سفير د. يوسف الشرقاوى 40
الدبلوماسية ودورها فى إدارة العلاقات الدولية ...سكرتير ثان هند منذر ابورية 42
مؤتمر الأمم المتحدة لنزع السلاح... سفير د. سامح أبو العينين 44

قراءات ودراسات

«الصين والعالم :رؤية الصين للعالم ورؤية العالم للصين».. سفير د. محمد نعمان جلال 45
البوسطجى ..... سوسن رحمى 48
صورة قلمية..... سفير محمود عزت 49

بنـــت النيـــل

رابطة زوجات الدبلوماسيين.....إعداد : نادية الريس 50

ثقافـــة وفنـــون

فنون تشكيلية .....سفير فخرى عثمان 52
عندما تكره كتاباً ..... سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى 54
سيرك بلا حدود ..... سفير د. هادى التونسي 56
تأملات ..... سفير أشرف عقل 57
الفتح الإسلامى لمصر ..... عبير الروح سعيد 58
المرأة العربية بين آمال التغيير وتحديات الواقع .. ميسا جيوسي 59
الإنسان مصيره بيده..... سفير د. فتحى مرعي 60

الدبلوماسى

مجلة شهرية منوعة
تصدر منذ مارس 1992 عن
النادى الدبلوماسى المصرى

أسسها السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى
سفير خالد طه

رئيس التحرير
سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

أسرة تحرير العدد

سفيـــر أشـــرف عقـــل
سفيـــر د. يـــوسف الشرقـــاوى
سكرتير أول أحمد أبو المجد
سكرتير ثـان هنـد منـــذر
سكرتير ثان عمرو الشاذلى

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير
مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية
ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس 27735457 202+

diplomatmagazine92@gmail.com

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة
توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

افتتاحية العدد

المئوية الأولى لثورة 1919

رئيس التحرير

السفير رضا الطايفى

taifyreda@yahoo.com

يأتى شـــهر مارس هذا العام حاملاً معه عبق ذكريات أيام مصرية مجيدة تدعو للزهو والفخار الوطنى لشعب يأبى دائماً إلا أن يكون حر الإرادة ومســـتقل القرار فى كل العصور مهما كلفه ذلك من تضحيات ومهما اعترضه من تحديات وصعاب وعقبات، ولعل تصريحات الرئيس عبد الفتاح السيسى فى المؤتمر الصحفى لختام فعاليات القمة العربية - الأوروبية الأولى التى عقدت فى مدينة شـــرم الشيخ بحضور عربى وأوروبى رفيع المســـتوى خلال الفترة من 24 إلـــى 25 فبراير 2019 «لن تعلمونا إنســـانيتنا، فلدينا قيمنا وأخلاقنا فاحترموها كما نحترم قيمكم» تعكس وتؤكد هذه الحقيقة الراســـخة فى الوجدان والضمير المصرى منذ فجر التاريخ.

حيث يواكب مارس الذكرى المئوية لثـــورة 1919 التى وصفهـــا المؤرخ حسين مؤنس بأنها كانت بمثابة إيذان وفتح لعصر جديد فى تاريخ الإنسانية باعتبارها بداية وإلهاماً لثورات الشعوب الآسيوية والإفريقية على السيادة الغربية فى دولهم.

وقد بدأت إرهاصات ثورة 1919 - التى تعتبر امتداداً لما سبقها من تبعات ثورة عرابى وردود الفعل الشعبية على حادثة دنشـــواى ونضال رموز الحركة الوطنية المصرية أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهم - حينما شـــرع ســـعد زغلول ورفاقه فى تشكيل وفد مصرى للمشاركة فى مؤتمر الصلح فى باريس فى أعقاب الحرب العالمية الأولى للمطالبة برفع الحماية البريطانية عن مصر التى فرضتهـــا بريطانيا لظروف الحرب العالميـــة دونما موافقة مصرية والتـــى كان يجب أن تنتهـــى بانتهاء الحرب ولا يمكـــن أن تبقى بعدها ولو لدقيقة واحدة، حيث ألقى سعد زغلول أكثر مـــن خطاب بهذا المعنى ألهب بها حماس الجماهير وأشـــار فيها إلى أن الحماية البريطانية أمـــر باطل بطلاناً أصلياً أمام القانـــون الدولى ومخالف مخالفة صريحة للمبادئ الجديدة التى خرجت بها الإنســـانية بعد الحرب وأن المصريين أمام القانون الإنسانى أحرار مـــن كل حكم أجنبى ولا ينقصهم إلا أن يعترف مؤتمر الصلح فى باريس بهذا الاســـتقلال. وفى خطابه الشـــهير فى 17 فبراير 1919 أعلن الزعيم ســـعد زغلول بطلان الحماية البريطانية بطلاناً تامـــاً، وأن الشـــعب يرفضها ويطالب بالاســـتقلال، وأنه وزملاءه موكلون من الشعب للسعى فى تحقيق هذا المطلب العزيز.

* وقد بدأت أحداث الثورة وتصاعدت وانفجر بركانها يـــوم 9 مارس 1919 فور انتشـــار نبأ اعتقال ســـعد زغلول يوم 8 مارس هـــو وثلاثة من رفاقه هم حمد الباسل، محمد محمود وإسماعيل صدقى ونفيهـــم إلى جزيرة مالطا، هذا الاعتقال الذى ســـبقه لقاؤهم للمندوب السامى البريطانى سير ريجنلد وينجت وإبلاغـــه بمطالب الشـــعب المصرى، واعتزام سعد زغلول عقد اجتماع بمنزله «بيت الأمة» يضم ما بين ســـتمائة إلى ســـبعمائة شـــخص ورفض الجنرال واطســـون قائد القوات البريطانية فى مصر بعد تشاور مع المندوب السامى البريطانى فى القاهرة تنظيم الاجتماع لاعتبارات أمنية فى ظل ظروف الأحكام العرفية، وبدأ ســـعد زغلول فى تجميع توقيعات على توكيل ينص على: «نحن الموقعون على هـــذا الأعضاء بالجمعية التشريعية قد أنبنا حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ومحمد على بك وعبداللطيف المكباتى بك ومحمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك، ولهم أن يضموا لهم من يختارون، فى أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلاً، فى استقلال مصر استقلالاً تاماً».

وقد بدأت الثـــورة صباح 9 مارس بمظاهرات طـــلاب الحقوق التى انضم إليها مظاهرات طـــلاب بقية المدارس العليا والثانوية، وبدأت تمتد وتنتشـــر لقطاعـــات عديدة من الشـــعب وإلى السيدات اللاتى نظمن مظاهرة ضخمة يوم 16 مارس 1919 فيما وصف بأنه أول مظاهرة نســـائية فى تاريخ مصر الحديـــث، ومظاهرة وفد نســـاء مدينة طنطا ومقابلتهن السيدة صفية زغلول فى بيتها الذى أصبح لاحقاً «بيت الأمة».

وقد ســـقط خلال الثـــورة حوالى ثلاثة آلاف قتيل وعشرات الآلاف اعتقلوا وعذبوا وتعرضوا لإصابات، كما تعرض زعيمها للنفى أكثر من مرة، إلا أنه بعد الإفراج عنه فى إبريل 1919 اســـتكمل مفاوضاته العســـيرة متنقـــلاً ما بين باريس ولندن والقاهـــرة حتى فاضت روحه إلـــى بارئها فى 23 أغســـطس 1927.

وحول نتائج ثـــورة 1919 يروى فخرى عبد النور فـــى مذكراته «أنه لم ينقض زمن طويـــل حتى أخذت مصر تجنى ثمار الثـــورة، فكانت باكورتها إلغاء الحماية البريطانية فى 28 فبراير 1922، ثم جلاء الموظفين البريطانيين بعدما استأثروا أربعين عاماً بالسيطرة على الإدارة المصرية، وأجريت فى أواخر سنة 1923 الانتخابات العامة القومية الأولى واجتمع فـــى 15 مارس 1924 نواب مصر وشـــيوخها المنتخبون فى البرلمان المصرى الأول. كما أن الثورة هـــى التى أفضت إلى بقية المكاســـب العظيمة الشأن التى جنتها مصر بعدئذ،

ومنها اعتراف إنجلترا باستقلالها فى 26 أغسطس سنة 1936 وقبول مصر عضواً فى عصبة الأمم، دولة مستقلة ذات سيادة، ثم إبطال نظام الامتيازات الأجنبية بموجب « معاهدة منترو» الدولية فى 8 مارس 1937 وإطلاق سلطة مصر فى التشريع وإلغاء صندوق الدين والمحاكم المختلطة وتقرير سيادة القضاء الوطنى - وحده - على جميع المقيمين بأرض مصر بلا استثناء، ولأول مرة فى التاريخ الحديث، وأضيف بأنه ليس من قبيل المبالغة أن اتفاقية الجلاء الموقعة فى 19 أكتوبر 1954 والتى بموجبها تم خروج آخر جندى بريطانى من مصر فى 18 يونيو 1956 من القاعدة البريطانية فى السويس بعد استعمار استمر 73 عاماً وتسعة أشهر وسبعة أيام كانت إحدى ثمار ثورة 1919 التى كانت بدورها مصدر إلهام للضباط الأحرار للقيام بثورة 23 يوليو 1952.

* لقد تناول العديد من المؤرخين سرد وتحليل ملابسات وأحداث وانعكاسات ثورة 1919 على مسار الحركة الوطنية المصرية والدور الكاريزمى الذى لعبه سعد زغلول، وهو ما يتعذر تناوله بالتفصيل فى مثل هذه الافتتاحية الموجزة، وإن كنت أود الإشارة هنا إجمالاً إلى ما يلى بمناسبة المئوية الأولى للثورة:

أولاً: أن ثورة 1919 لم تكن مجرد حركة عفوية أو فوران شعبى عاطفى عابر بل كانت امتداداً لحراك ثورى شعبى بدأت إرهاصاته فى أعقاب الثورة العرابية كرد فعل للاحتلال البريطانى لمصر واستمر متواصلاً بقيادة كل من الزعيم مصطفى كامل والزعيم محمد فريد وبلغ ذروته بقيام ثورة 23 يوليو 1952 التى وضعت القضاء على الاستعمار فى قائمة أهدافها وأولوياتها الست.

ثانياً: أنها كانت ثورة ملهمة وشاملة لكل فئات الشعب المصرى بكل أطيافه وطبقاته الاجتماعية المختلفة، فكانت ثورة النبلاء والبسطاء، الأغنياء والفقراء، الشباب والشيوخ، الرجال والنساء، المسلمين والمسيحيين، فاكتملت لها بذلك كل عوامل الاستمرارية والنجاح برغم كل ما واجهته من تعسف وقمع من قبل الاحتلال الأجنبى ومحاولات كسر وحدتها.

ثالثاً: إن رموز ومعانى وشعارات الوحدة الوطنية كانت حاضرة وبشدة فى ثورة 1919، تعانق فيها الهلال مع الصليب وكيف لا وزعيم الثورة لطالما ردد فى خطبه الحماسية «إن الدين لله وإن الوطن للجميع» - «إن للأقباط ما لنا من الحقوق وعليهم ما علينا من الواجبات على قدم المساواة» - «إن الوطنية ليست حكراً على طرف دون الآخر»، فكانت مشاركة رموز قبطية فى الثورة أمثال مكرم عبيد - فخرى عبد النور - ويصا واصف، سينوت حنا فضلاً عن القمص سرجيوس الذى أفتى بخروج الإنجليز على الدين المسيحى الذى تنص تعاليمه على عدم العنف، من معالم وعوامل نجاح الثورة.

رابعاً: إن ما ميز ثورة 1919 أيضاً، قيام المرأة المصرية فيها بدور وطنى غير مسبوق، حيث لعبت السيدة صفية زغلول دوراً ملهماً لنساء مصر اللاتى خرجن فى مظاهرات لها دلالاتها السياسية والاجتماعية، أهمها المظاهرة النسائية التى انطلقت فى السادس عشر من مارس من أمام بيت الأمة والتى اعتبرت أول مظاهرة نسائية فى تاريخ مصر الحديث حينما خرجت النساء فى كل أنحاء القاهرة يهتفن بالحرية والاستقلال ومناديات بسقوط الحماية وتوجهن إلى القنصليات وممثلى الدول الأجنبية لنقل رسالتهن إلى العالم برفض نساء مصر للاحتلال والانتداب الأجنبى. كما كانت زيارة الوفد النسائى من سيدات مدينة طنطا للسيدة/ صفية زغلول رافعات شعار «عائشة أم المؤمنين وصفية أم المصريين» على لوحة من الحرير، لها أعظم الأثر فى رفع روحها المعنوية كما كانت حافزاً معنوياً لها وزاداً لاستكمال الثورة حتى تتحقق أهدافها بالإفراج عن زوجها زعيم الثورة والسماح له بالسفر هو ورفاقه لحضور مؤتمر الصلح فى باريس واستكمال نضالهم السلمى ضد الاستعمار البريطانى حتى آخر رمق فى عمره.

خامساً: إن الاصطفاف الشعبى والتفاف المصريين بكل فئاتهم وأطيافهم ووقوفهم على قلب رجل واحد قد أعطى زخماً للزعيم سعد زغلول ورفاقه وشد من أزرهم وأعطاهم شجاعة وإرادة تفاوضية صلبة فى مواجهة صلف وغرور المفاوض البريطانى وحكومة الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس وجعلته لا يتراجع ولو للحظة عن مطلب إنهاء الانتداب البريطانى رغم تعرضه للنفى أكثر من مرة، ولم يزده ذلك إلا إصراراً على تحقيق المطلب الشعبى «الاستقلال التام أو الموت الزؤام».

سادساً: إن متحف بيت الأمة، وهو المنزل الذى عاش فيه الزعيم سعد زغلول (بيت الأمة) حتى وفاته 1927 الواقع فى شارع الفلكى فى قلب القاهرة والذى شهد الثورة ويعد شاهداً على أحداثها، والذى يقع فى مواجهة ضريح سعد الذى اختير موقعه بجوار المنزل لتطل عليه أم المصريين كل صباح إلى أن توفيت عام 1946، هذا القصر الذى تحكى كل قطعة أثاث فيه وكل لوحة فنية، وكل صورة أو خريطة وكل كتاب أو مخطوطة، قصة حياة زعيم وهب حياته وزوجته من أجل مصر، يجب أن يكون مزاراً لكل طلاب وشباب هذا الوطن للوقوف على قصة حياة زعيم من زعماء مصر الخالدين وقراءة صفحة ناصعة من صفحات التاريخ المصرى المشرف.

سابعاً: إن ثورة 1919 مثلما ألهبت حماس الشعب ليثور ضد الاحتلال الأجنبى، فقد ألهمت حماس الشعراء والفنانين ليتغنوا بالثورة وزعيمها ومنها قصيدة شاعر الرومانسية والشباب أحمد رامى «ذكرى سعد»:

إن يغب عن مصر سعد فهو بالذكرى مقيم
ينضب الماء ويبقى بعده النبت الكريم
خلدوه فى الأمانى واذكروه فى الولاء
واندبوه فى الأغانى أعذب الشكوى البكاء
انشدوا الشعر ثناء فى سجاياه العذاب
أرسلوا الدمع وفاء للذى لاقى العذاب
فى سبيل الوطن من صنوف المحن
بين سجن واغتراب فى مشيب وشباب
مجدوه فى الأغانى خلدوه فى الأمانى
ولتعش ذكرى الزعيم

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

وزير الخارجية سامح شكرى يلتقى بنظيره الصومالى

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية أحمد عيسى عوض وزير خارجية الصومال، حيث تناول اللقاء العلاقات الثنائية بين البلدين، والدعم المصرى المقدم للأشقاء فى الصومال من أجل إعادة بناء مؤسسات الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار، فضلاً عن عدد من القضايا الإقليمية محل الاهتمام المشترك.

وصرح المستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى استهل اللقاء بتقديم التهنئة لنظيره الصومالى على تولى بلاده رئاسة المجلس الوزارى العربى، مؤكداً العزم المصرى على مواصلة الجهود الهادفة لدعم الاقتصاد الصومالى لتحقيق التنمية سواء من خلال رئاستنا للاتحاد الإفريقى أو من خلال التعاون الثنائى بين البلدين. وأشار إلى توجيهات القيادة السياسية المصرية بتعزيز العلاقات مع الصومال فى شتى المجالات من أجل دعم وحدة وسيادة واستقرار الصومال الشقيق، مجدداً التأكيد على أن أمن الصومال يعد جزءاً من الأمن القومى المصرى.

من جهته، أعرب وزير الخارجية الصومالى عن تطلع بلاده لتعزيز التعاون مع مصر فى مختلف المجالات، بالإضافة إلى التنسيق المشترك بين الجانبين فى ظل تولى مصر رئاسة الاتحاد الإفريقى خلال العام الجارى.

وزير الخارجية سامح شكرى يلتقى نظيره التونسى فى إطار أعمال آلية التشاور السياسى بين البلدين

استقبل السيد سامح شكرى وزير الخارجيةالسيد خميس الجهيناوى وزير الشئون الخارجية التونسى، وذلك فى إطار انعقاد أعمال آلية التشاور السياسى بين البلدين برئاسة وزيرى الخارجية.

وصرح المُستشار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى ثمّن فى بداية اللقاء قوة ومتانة العلاقات بين البلدين، والتى تعد امتداداً للروابط التاريخية والثقافية والاجتماعية التى تجمع بين البلدين والشعبين الشقيقين، مُشيداً بالمستويات المتميزة التى وصلت إليها العلاقات على كافة الأصعدة خلال السنوات الماضية فى ظل حرص القيادتين السياسيتين فى كلا البلدين على ترسيخ أطر الشراكة والتعاون بينهما.

وأضاف المُتحدث الرسمى، أن الوزير شكرى أكد خلال اللقاء على أهمية دورية انعقاد أعمال آلية التشاور السياسى بين البلدين للتعامل مع كافة الموضوعات الثنائية والقضايا الإقليمية محل الاهتمام المُشترك. كما أشار المُتحدث إلى أن المُناقشات تناولت التقدُم المحرز فى مجالات التعاون الثنائى القائم، وكذا استطلاع آفاق جديدة للعلاقات المشتركة لما فيه خير ومصلحة الشعبين الشقيقين.

وزير الخارجية سامح شكرى يلتقى المُفوض العام للأونروا على هامش أعمال الاجتماع الوزارى العربى فى القاهرة

التقى السيد سامح شكرى وزير الخارجية، يوم 6 مارس الجارى، السيد بيير كرينبول المُفوض العام لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، للتباحُث بشأن آخر مستجدات أوضاع اللاجئين الفلسطينيين، وذلك على هامش اجتماع الدورة العادية لمجلس جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية.

وصرح المُستشار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى ثمّن فى بداية اللقاء الدور المهم الذى تضطلع به الأونروا فى دعم وتخفيف معاناة اللاجئين الفلسطينيين، معرباً عن ترحيبه بالجهود التى بذلها المُفوض العام للوكالة خلال الفترة الماضية من أجل العمل على استمرار الوكالة فى تقديم خدماتها التعليمية والصحية والإغاثية للاجئين الفلسطينيين.

وأضاف المُتحدث الرسمى، أن الوزير شكرى حرص خلال اللقاء على الاستماع إلى تقييم السيد كرينبول حول سير عمل وكالة الأونروا والتطورات المُتصلة بكافة الأنشطة والخدمات التى تقدمها الوكالة، والتحديات المالية التى تواجهها، وانعكاسات ذلك على مصير عمل الوكالة والخدمات التى تقدمها للاجئين الفلسطينيين.

واتصالاً بذلك، أكد الوزير شكرى على أهمية دعم عمل الوكالة وتعزيز دورها وفقاً للقرارات الأممية ذات الصلة، مشيراً إلى استمرار المساعى مع الشركاء بغية الحفاظ على قدرة الوكالة على القيام بمسئولياتها تجاه الفلسطينيين فى كافة مناطق عملياتها.

وزير الخارجية يبحث العلاقات الثنائية مع كينيا والتنسيق بين البلدين خلال رئاسة مصر للاتحاد الإفريقى العام الجارى

صرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن السيد سامح شكرى وزير الخارجية استقبل وفداً من دولة كينيا الشقيقة برئاسة «مونيكا جوما» وزيرة الخارجية، وعضوية كل من «بول كاريوكي» النائب العام الكينى، واللواء «فيليب كاموريو» مدير عام جهاز المخابرات الوطنية الكينى، حيث تناول اللقاء التعاون الثنائى بين البلدين والقضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك فى ظل رئاسة مصر للاتحاد الإفريقى.

وأوضح حافظ أن الوزير شكرى أكد حرص مصر على تعزيز التعاون التنموى بين البلدين، خاصةً فى المجالات ذات الأولوية للأشقاء فى كينيا، والتى تشمل قطاعات الصحة والطاقة والإسكان والتصنيع. وأشار وزير الخارجية إلى تطلُّع مصر لزيادة التبادل التجارى بين البلدين بما يليق بالعلاقات التاريخية التى تربطهما.

ومن جانبها، أكدت وزيرة خارجية كينيا على اهتمام بلادها بدعم التعاون الثنائى مع مصر فى المجالات المختلفة خاصةً فى ظل العلاقات المتميزة التى تجمع بينهما، وكذلك تعزيز نقل الخبرات المصرية، بما فى ذلك على صعيد تلقى دورات تدريبية من جانب الأزهر الشريف لنشر تعاليم الإسلام الصحيح. كما تمت الإشارة إلى أهمية التنسيق بين الجانبين فى ظل رئاسة مصر للاتحاد الإفريقى خلال العام الجارى، حيث أعربت وزيرة خارجية كينيا عن التطلُّع للعمل مع مصر ودعم الأنشطة المختلفة من أجل تنمية القارة.

وزير الخارجية يُشارك فى الاجتماع الوزارى التشاورى المُصغر بالعاصمة الأيرلندية دبلن

شارك السيد سامح شكرى وزير الخارجية، بالاجتماع الوزارى التشاورى المُصغر، والذى دعا إليه الجانب الأيرلندى بالعاصمة دبلن، للتباحث بشأن آخر المُستجدات المُتعلقة بعملية السلام فى الشرق الأوسط، وذلك بمشاركة وزراء خارجية كل من فلسطين والأردن وقبرص وفرنسا وبلغاريا والسويد وأيرلندا، فضلاً عن كل من أمين عام جامعة الدول العربية وسكرتير الدولة الأسبانى للشئون الخارجية.

وصرح المستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الاجتماع التشاورى المذكور قد شمل عقد أربع جلسات تفاعلية للوزراء المُشاركين، لمناقشة سبل دفع عملية السلام فى الشرق الأوسط على أساس حل الدولتين وإمكانيات التحرك فى هذا الإطار خلال الفترة المقبلة.

وأوضح حافظ أن وزير الخارجية استعرض خلال الاجتماع مواقف مصر الثابتة تجاه عملية السلام، والجهود المصرية المتواصلة لدعم الأشقاء الفلسطينيين وحلحلة الجمود المستمر فى المفاوضات، مُؤكداً أنه لا سبيل لتحقيق السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط إلا عبر التوصل لسلام دائم بين الفلسطينيين والإسرائيليين، واستعادة كافة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، على أساس حل الدولتين ووفقاً للمرجعيات الدولية والأممية ذات الصلة.

وزير الخارجية يلتقى المفوض السامى للأمم المتحدة لشئون اللاجئين فى ختام زيارته لمدينة جنيف

التقى سامح شكرى وزير الخارجية، مع «فيليبو جراندي» المفوض السامى للأمم المتحدة لشئون اللاجئين، وذلك على هامش زيارته لمدينة جنيف السويسرية، حيث تناول اللقاء سبل تعزيز التعاون بين مصر والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين.

وصرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى أعرب فى بداية اللقاء عن التقدير للدور المهم الذى يضطلع به مكتب مفوضية اللاجئين فى مصر، مرحباً بالزيارة التى قام بها المفوض السامى إلى القاهرة يناير الماضى، وما أسفرت عنه من نتائج مهمة على صعيد تطوير ودفع التعاون بين مصر والمفوضية.

وذكر حافظ، أن الوزير شكرى نوه بتطلعه لأن تقوم المفوضية السامية بدعم الجهود التى تبذلها مصر من أجل التعامل مع الأعداد المتزايدة من اللاجئين وطالبى اللجوء، مشيراً إلى أن الدولة المصرية تتعامل مع قضية اللاجئين من منظور إنسانى وإنها ترفض أى حلول قائمة على إيداع المهاجرين واللاجئين فى معسكرات أو مراكز تجميع وعزلهم عن المجتمع، بل وتحرص على دمجهم فى المجتمع بشكل كامل بما فى ذلك مشاركتهم مع المواطنين فى كافة الخدمات العامة التى توفرها الدولة لاسيما بقطاعي التعليم والصحة، رغم ما يرتبه ذلك من أعباء اقتصادية.

ومن جانبه أشاد المفوض السامى لشئون اللاجئين بالجهود والخدمات التى تقدمها مصر للاجئين على أراضيها، والحماية التى توفرها لهم، والتى وصفها بأنها نموذج يُحتذى به، خاصة ما قدمته مصر للاجئين السوريين على أراضيها، وذلك على الرغم من الدعم المحدود الذى تتلقاه الدولة المصرية، والأعباء الاقتصادية التى تتحملها فى هذا الشأن. كما حرص «جراندي» على الاستماع لتقييم وزير الخارجية إزاء آخر مستجدات الأوضاع الإقليمية، ورؤى مصر حول سبل حلحلة الأزمات القائمة.

نشـــاط الســفارات

بلجراد

* التقى اللـواء أحمد عبد الله محافظ البحر الأحمر وسـفير مصر فى بلجراد عمرو الجويلى نائب رئيس الوزراء وزير التجارة والسياحة والاتصالات الصربى «راسيم لاييتش» بمناسـبة مشاركة مصر بجناح موسـع فى معرض بلجراد السـياحى الدولى. وصرح «الجويلى» بأن حرص وزير السـياحة الصربى على اسـتقبال الوفد السياحى المصرى يعكس مدى اهتمام بلاده بالمقصد السياحى المصرى، باعتباره أحد أكبر المقاصد الجوية للصرب خاصة السياحة الشاطئية فى البحر الأحمر.

* كما التقى عمرو الجويلى سـفير مصر فى بلجراد ووفد زائر برئاسة الدكتور أحمد كمال العطار رئيس الإدارة المركزية للحجر الزراعى مع «برانسـيلاف نيدموفتش» وزير الزراعة والغابات وإدارة المياه الصربى وفى مسـتهل زيارة مكثفـة لدعم التعاون بين البلدين فى مجال الزراعة. وأبرز الجويلى أن اللقاء مع الوزير الصربى، وهو الثالث خلال العام الحالى، تناول تعزيز التعاون المبنى على أربع ركائز، والتى تتمثل فى دراسة تطوير منظومة تجارية تفضيلية ثنائية مختصة بعدد من السلع الزراعية ذات الأولوية التصديرية للبلدين.

* كما التقى «عمرو الجويلى» سـفير مصر فى بلجراد مع «فيرولوب أرسيش» نائب رئيس البرلمان الصربى القائم بأعمال رئيسـة الجمعية الوطنية، وذلك للتحضير للدورة الـ١٣ للجمعية البرلمانية المتوسـطية التى عقدت اجتماعاتها فى بلجراد يومى 21 و22 فبرايـر الماضى. وصرح «الجويلى» بأن اللقاء تطرق أيضاً إلى التحضير لزيارة رئيسـة الجمعية الوطنية الصربية إلى مصر خلال النصف الأول من العام الحالى لتعزيز التعاون البرلمانى المشترك بين البلدين.

ميلانو

شارك السفير إيهاب أبو سـريع القنصل العام فى ميلانو والسيدة حرمه فى احتفالية يوم 16 فبراير الماضى، نظمها المنتدى المصرى فى إيطاليا، والذى يضم عدداً من جمعيات واتحادات الجالية فى شمال إيطاليا، وذلك بحضور عدد من أبناء الجالية المصرية فى شمال إيطاليا. وتضمن برنامج الاحتفالية مجموعة من الأغانى الوطنية للفنان إيمان البحر درويش، كما شارك بالاحتفالية الفنان التشكيلى المصرى جمال مليكة، حيث قدم بعض أعماله الفنية.

وألقـى القنصل العام كلمة أكـد فيها على حرص القنصلية العامـة فى ميلانو على المشاركة فى الفعاليات التى ينظمها أبناء الجالية، لدعم التواصل مع الجالية فى ضوء الجهود المستمرة لرعاية المصريين بالخارج وربط أبناء مصر بوطنهم الأم. كما أشاد القنصل العام بالجهود الإيجابية للمنتدى فى تجميع أبناء الجاليـة للتعبير عن حبهم لمصر، وأثنى على المقترحات الإيجابية لبحث آليات دعم أبناء الجالية، مؤكداً على اسـتعداد القنصلية تقديم كل الدعم.

لندن

التقى السفير طارق عادل، سفير مصر فى لندن، عدداً من مسـئولى وكالات السفر وممثلى كبريات شركات السياحة البريطانية، لبحث وتذليل المعوقـات التى قد تعترض التدفـق السـياحى إلى مصر، ومناقشـة سـبل الارتقاء بتعزيز عوائد قطاع السياحة المصـرى فى إطار خطـة الدولة للنهوض بهذا القطاع الذى يُمثِّل أحد أهم موارد الدخل القومى المصرى، لاسـيما وأن بريطانيا تُعد من أهم الدول المصدِّرة للسياحة إلى مصر، وكانت تحتل المركز الثانى فى أعداد السياحة الوافدة إلى مصر حتى عام 2010.

واستعرض السفير المصرى خلال اللقاء الاهتمام الكبير الذى توليه مصر لهذا القطاع الحيوى، مؤكداً على ضرورة تضافر الجهود بغية اسـتئناف الرحلات الجوية البريطانية المباشـرة مجدداً إلى مطار شـرم الشيخ، لاسيما على ضوء الإجراءات الأمنية المطبقة من قِبَل السـلطات المصريـة لتأمين كافة المطارات والمنتجعات السياحية فى مصر.

سيدنى

حضـر قنصل عـام جمهورية مصر العربية فى سـيدنى ياسـر عابد احتفالاً بالقاعة الرئيسية بجامعة سيدنى بمناسبة تكريم المتفوقين من أبناء الجالية المصرية من الجيلين الثانى والثالث الحاصلين على شهادة الثانوية العامة الأسترالية، وقد حضر الحفل لفيف من قادة الجالية المصرية فى سيدنى، ومدير المدرسة القبطية، بالإضافة إلى بعض النماذج المشرفة من أبناء مصر فى المهجر، وكذلك بعض من شباب الجيل الثانى والثالث العائـدون من الرحلة التى نظمتها وزارة الهجرة إلى مصر.

وأشار عابد لحسن تنظيم الاحتفالية، والتى أقامها المجلس الاستشارى الأسترالى المصرى، مشـيداً بجهود المجلس فى هذا الصدد. وعقدت الاحتفالية بالقاعة الرئيسية بجامعة سـيدنى التى أُسست عام 1850، مشـيراً إلى أن كلمة د. رفعت عبيد رئيس المجلس الاستشـارى عبرت عـن أهمية العلم وبذل الجهد لتحقيق الذات من خلال وضوح الرؤية والهدف. وأشـار القنصل العام إلى قيام البعض من شـباب الجيل الثانى والثالث، والذين عادوا للتو من رحلة وزارة الهجرة بعـرض خبراتهم الإيجابية عن فترة وجودهم فى مصر.

بوروندى

*شهدت السفيرة د. عبير بسيونى رضوان - وأعضاء السفارة والجالية المصرية والعربية وشخصيات دبلوماسية وبوروندية عديدة، وعلى رأسهم أعضاء جمعية الصداقة المصرية البوروندية BEFA، وبروتوكول مكتب السيدة الأولى لبوروندى، وممثلو بعض السفارات الأجنبية، وأبناء الجالية الأرثوذكسية فى بوروندى من الجنسيات الروسية والإثيوبية أول قداس بكنيسة «مارمرقس والأنبا موسى» وهى أول كنيسة قبطية أرثوذكسية تتم إقامتها فى بوروندى. وأعقب ذلك حفل الاستقبال الذى قامت فيه السفيرة بتكريم القمص اسطفانوس مرقص ممثل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والسيدة شيرين سليم ممثلة جمعية الكنيسة الأرثوذكسية القبطية فى بوروندى تقديراً لدورهم فى إقامة وتشييد هذه الكنيسة ..

* أقامت السفيرة د.عبير بسيونى رضوان، سفيرة جمهورية مصر العربية لدى بوروندى، بدار السكن المصرى غداء عمل لوفد مجموعة السويدى المكون من المهندس/ علاء الدين بسيونى رئيس قطاع تنمية الأعمال بالشركة والمهندس/ محمد على حامد مسئول المناقصات والمهندس/ مسعد عبد النبى رئيس قسم التسعير مع وفد من رجال الأعمال والمسئولين البوروندديين المهتمين بمجالات عمل الشركة المصرية .

*شاركت السفيرة د. عبير بسيونى رضوان سفيرة جمهورية مصر العربية لدى بوروندى، وعدد من السفراء وممثلى البعثات الدبلوماسية المختلفة، فى مراسم ختام الدورة العادية لمجلس الشيوخ البوروندى (أحد غرفتى البرلمان) والتى تعقد - لأول مرة - فى جيتيجا العاصمة السياسية الجديدة للبلاد حيث ألقى السيد Reverien Ndikuriyo رئيس مجلس الشيوخ ورئيس اتحاد الكرة البوروندى الكلمة الافتتاحية باللغة الكيروندية وتم توزيع ترجمة لها باللغتين الفرنسية والإنجليزية استعرض فيها نشاط البرلمان البوروندى خلال دورة عادية حافلة استمرت ثلاثة أشهر.

طوكيو

فى إطار مساعى السفارة المصرية فى طوكيو لتعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية مع اليابان، التقى السفير المصرى أيمن كامل برئيس منظمة اليابان للتجارة الخارجية (JETRO)، وعدد من رؤساء المؤسسات اليابانية الكبرى، حيث تناول السفير مع المسئولين البارزين الجهود الحالية لتحفيز الشركات اليابانية على الاستثمار فى مصر واستعراض التطورات الاقتصادية وآخرها تحسن تصنيف مخاطر الأعمال الخاص بمصر الصادر عن منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية(OECD).

وأوضح السفير كذلك قيام الهيئة اليابانية للتأمين على الصادرات والاستثمارات (NEXI) وبنك اليابان للتعاون الدولى (JBIC) بتحسين تصنيف مصر، وهو الأمر الذى يؤكد ثقة المؤسسات الدولية فى سلامة الاقتصاد المصرى، حيث يعتبر ذلك من النتائج الإيجابية لعملية الإصلاح الاقتصادى فى مصر. وتناول السفير المصرى الترتيبات الجارية على مدار الأشهر الماضية بين السفارة ومنظمة التجارة الخارجية JETRO ومجلس الأعمال المصرى اليابانى لتنظيم بعثة أعمال يابانية إلى مصر فى الفترة من 10 إلى 12 مارس الجارى.

الجزائر

استقبل السيد عبد القادر بن صالح رئيس مجلس الأمة الجزائرى، يوم 10 فبراير الماضى، السفير أيمن مشرفة سفير جمهورية مصر العربية لدى الجزائر، وذلك لتسليم رسالة موجهة من السيد الدكتور على عبد العال رئيس مجلس النواب المصرى إلى نظيره الجزائرى.

وأكد السفير أيمن مشرفة خلال اللقاء على أهمية العلاقات بين البرلمانين المصرى والجزائرى العريقين فى ظل تميز العلاقات الثنائية، والتى انعكست فى حرص السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى على زيارة الجزائر كأول زيارة خارجية لسيادته، مؤكداً تطابق وجهات النظر بين البلديّن فى العديد من القضايا التى تشهدها المنطقة.

كما أعرب السفير مشرفة عن تطلع مصر إلى تنمية وزيادة العلاقات الثقافية والسياحية بين البلديّن لترقى إلى مستوى العلاقات السياسية والبرلمانية المُتميزة، حيث تستهدف مصر جذب أعداد كبيرة من السائحين الجزائريين خلال العام الجارى، وتسعى السفارة بالجزائر فى هذا الإطار إلى بذل كافة الجهود لتحقيق ما تقدم.

جاكرتا

التقى عمرو معوض سفير مصر لدى إندونيسيا صباح يوم 19 فبراير مدير الوكالة الوطنية الإندونيسية لمكافحة الإرهاب، وذلك فى إطار تعزيز التعاون المشترك وتبادل الخبرات بين البلدين.

وعرض السفير معوض مشاركة السيد الرئيس فى مؤتمر ميونيخ الأخير للأمن، والكلمة التى ألقاها فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، والتى طرح فيها الرؤية المصرية للتوصل إلى حلول سياسية للأزمات التى تمر بها منطقة الشرق الأوسط وضرورة التسوية العادلة للقضية الفلسطينية، فضلاً عن الأوضاع فى كل من ليبيا وسوريا واليمن، وأولويات الرئاسة المصرية للاتحاد الإفريقى خلال العام الحالى، والتركيز المصرى على تحقيق مفهوم الأمن بمعناه الشامل السياسى والاقتصادى والثقافى، بالإضافة إلى أهمية التعاون المشترك لتحقيق هذا المفهوم، وأهمية الإفصاح عن الدول والكيانات التى تدعم الإرهاب وتموله بكافة الوسائل والطرق.

عبد الرحمن فهمى

أيقونة ثورة 1919

مهما بُذل لتكريم عبد الرحمن بك فهمى، أيقونة وقائد وكاتم أسرار ومؤرخ ثورة 1919، فإن ذلك لن يفيه حقه. هذا الرجل العظيم لم يكن حسبه أنه القائد المستتر للثورة، ومهندس حركتها وتنظيمها، وإنما هو الوحيد الذى سجل أحداث هذه الثورة يومًا بيوم، وليس فى أيدينا إلاَّ مجلداته السبعة الضخمة التى أحسنت الهيئة العامة للكتاب بطباعتها ونشـــرها وإعادة طبعها، بتحقيق وتقديم المؤرخ الكبير الدكتور يونان لبيب رزق.

المستشار رجائى عطيـة

rattia2@hotmail.com

لا يفـى بحـق عبد الرحمـن فهمى، والتعريف بدوره الوطنى العظيم، إلاَّ كتاب ضخم يـوازى ضخامة وصـدق ما قدمه لوطنه، وحسـبنا فى هذه السطور أن نلم بالجوانـب العريضة لعطائـه، إلى جانب حولياته السبعة عن يوميات الثورة.

كان عبد الرحمن فهمى شـعلة لثورة 1919، ومهندس حركتها، وكاتم أسرارها. تولى قيـادة جهازها السـرى وتنظيمه، وعاونه ابنُ أخيه الدكتور أحمد ماهر رئيس الوزراء فيما بعد، وأعان عبد الرحمن فهمى على الاضطلاع بمهمته أنه اكتسـب خبرة طويلـة فى الجيش المصـرى، منذ بداية خدمته فيه سنة 1888، تلاقى معها خدمته بعدهـا فى الداخلية وانتقالـه بين مراكز متعددة بين الوجهيـن القبلى والبحرى، فألمّ إلمامًا واسـعًا بأحوال مصر، فضلاً عن صِلاته بالشخصيات والأسر المصرية، وإحاطته بكافة الخطوط، فلما تكونت لجنة الوفد المركزية فـى أوائل عام 1919، تم اختياره بإجماع الآراء سـكرتيرًا عامًّا لها، فقام بتكوين شـبكة تنظيمية قوية، وضع لعملها أسلوبين، أحدهما علنى فى التناغم مع حركة الشـعب وجذبه وتجميعه حول الهدف الـذى بدأت تأتلـف حوله جموع وروح الأمة، أما الأسلوب الثانى فكان سريًّا يخفى التنظيم وحركته عن عيون سلطات الاحتلال.

قسـم عبد الرحمن فهمى حركة هذه الشـبكة التنظيمية إلى عدة شُعب.. شعبة لجمع التبرعات وتدبيـر النفقات، وأخرى ميدانية لمراقبة لجنة ملنر وتعقب أعضائها وأنصارهـا وجمع المعلومـات عن عملاء الإنجليز، وشـعبة لجمـع المعلومات عن جيش الاحتلال وقدراتـه الحربية والمالية وامتداداته الجغرافيـة بداخل البلاد، وفى منطقة قناة السويس.

وأقام عبـد الرحمن فهمـى جهازًا طليعيًّا سـريًّا قسمه إلى مجموعات تغطى المديريـات والمدن والمراكز والأقسـام وبعض القرى الكبرى، واستطاع بذلك أن يكوّن درعًا لمصـر وثورتها الوطنية، وأن يقيها الغائلات، ويمهّد السـبيل لحركتها وخطواتها.

نجاة من الحكم الإنجليزى بالإعدام على قـدر عراضة الدور الوطنى الذى

نهض به عبد الرحمن فهمى، والذى أسهم فيه ابن أخيـه الدكتور أحمد ماهر ورفيقه محمود فهمى النقراشـى، علـى قدر ما تربصت به وبهما سلطات الاحتلال، ودبرت لمحاكمتـه فيما عرف بقضيـة المؤامرة الكبرى، وثنت بمحاكمة ماهر والنقراشـى فيما سُمى بقضية الاغتيالات الكبرى.

وفى القضية التى عُرفت أيضًا بقضية عبـد الرحمـن فهمى ومن معه، نسـبت إليهم سـلطات الاحتلال فى مايو 1920، أنهم أعضـاء فى جماعة باسـم «جمعية الانتقام» الهدف منها خلع عظمة السلطان وقلب حكومتـه والتحريض على العصيان والقتـل، وضمـت قائمة الاتهام سـبعة وعشـرين متهمًا، علـى رأس القائمة عبد الرحمن بك فهمى، وقُدموا للمحاكمة أمام محكمة عسكرية بريطانية عليا مؤلفة من خمسـة ضباط إنجليز برئاسة البريجادير جنـرال «لوصون»، وتولـى رفع الدعوى العمومية المسـتر «مكسـويل»، وانبرى كبار المحامين المصرييـن للدفاع عنهم، واسـتمرت المحاكمة ثلاثة أشـهر حتى أصـدرت أحكامها فـى 6 أكتوبر 1920، وقضت بإعدام عبد الرحمن بك فهمى وعُدّل فى التصديق إلى السـجن مع الشغل 15 سنة، وكذلك بالنسبة لعلى هنداوى الطالب بالأزهر، وقضى على المحامين والحقوقيين وطلبة الحقوق فى هـذه الأحكام: محمد حسن البشبيشى، ومحمد لطفى المسلمى.. قضى عليهما بعقوبـة الإعدام وعُدلت فى التصديق إلى 15 سنة سجنًا مع الشغل لكل منهما، وإبراهيم عبد الهادى بالسـجن 15 سنة و30 جلدة وغرامة 2500 جنيه، وعُدل السجن فى التصديق إلى 12 سنة، وكامل جرجس عبد الشهيد بالسجن 15 سنة عُدلت فى التصديق إلى 10 سنوات مع 30 جلدة وغرامة مائة جنيـه، ومحمد عبد الرحمن

محمد محمود باشا

محمود فهمى النقراشى

المندوب السامى البريطانى
« السير ريجنلد ونجت »

الجريدلى بالسجـــن 10 سنوات! خـرج مـن عاش من هؤلاء بعد زمن طال أو قصر من الســجن، أما شاهد الادعاء الواشى عبد الظاهر السمالوطى، فقـد بقى أسير سجن أبدى أقامه له الشعب رواه الواشى المذكور نفســه فقال: « لم أقابل أحدًا بعد القبض على عبــد الرحمن بك فهمــى، لأن الناس صارت تخاف منى، وصــرت كالطاعون، لأننى معدود كخائن»!!

مهندس ثورة 1919 وحافظ تاريخها

كان المرحــوم عبد الرحمن بك فهمى صاحب قدرة هائلة فــى التنظيم والتأثير، ومحل ثقة ســائر أعضاء الوفد فى تدبير نفقات العمل الســرى الذى تولى تنظيمه، وفــى إدارة حركته، بعقلية تنظيمية قادرة على إدارة هذا العمل الكبير، وقادرة قدرة نادرة على الكتمان، مع الإمســاك بشــتى خيوط العمل بين يديه، فكان بحق أيقونة الثورة ومهندس حركتها، وقدر له أن يشاهد بأســى الانقســامات التى جعلت تصيب الوفد، وقد عادى ظاهرة الانقسام الوفدى؛ وهو عداء أدى إلى قطيعة بينه وبين سعد زغلول، أدت فى النهايــة إلى خروجه من الوفد ثم انضمامه إلى الهيئة السعدية.

يوميات مصر السياسية

هذا المســمى هو اختيار مركز وثائق وتاريخ مصــر المعاصر، الذى أطلقه على مذكرات

عبد الرحمن فهمــى، التى صدرت فى ســبع مجلدات ضخمة، مــع أنها لم تغط سوى الفترة من 13نوفمبر 1918 إلى 23 أغســطس 1927، وهى الفترة التى بدأت باللقاء المشــهور بين المندوب الســامى البريطانى «الســير ريجنلد وينجت» وبين الزعماء المصريين الثلاثة: ســعد زغلول، وعلى شعراوى، وعبد العزيز فهمى، وانتهت بوفاة سعد زغلول فى 23 أغسطس 1927.

ورأت اللجنــة المــوكل إليها تحقيق المذكــرات، أن مســمى «يوميات مصر السياســية» ــ أقــرب إلــى واقع هذه المذكرات وإلى تميزها بالحرص الشــديد على التزام الحيدة بطول ما يزيد على أربعة آلاف صفحة، لاحظت اللجنة أن عبد الرحمن فهمى كان حريصًا فيها على عدم ذكر دوره إلاَّ فى المواضع التى يســتلزمها السياق، وأنه حينما يتناول واقعة هو بطلها - ولا مندوحــة له عن ذكرهــا - كان يعالجها بحياد كامل يصل أحيانًــا إلى ما وصفته اللجنة بالبرود، ولأن هذه التســمية أصدق باعتبار أن الفترة التى غطتها المذكرات، لا تغطى حياة عبد الرحمن فهمى السياسية، فقد كان شــخصية عامة مؤثرة قبل سنة 1919، وظل كذلك بعد عام 1927.

وتسمية «يوميات» لا تعنى أن صاحب المذكرات كان يسجلها يومًا بيوم، فقد كان رهن المحاكمة التى قُضــى فيها بإعدامه فى 6 أكتوبر 1920، وظل فى السجن من أول يوليو من ذلك العام، فيما عرف بقضية المؤامرة الكبــرى، حتى الإفراج عنه فى 8 فبراير 1924. ومــع ذلك فقد حظيت تلك الفترة بمســاحة وافية فى المذكرات زادت عن الألف وخمسمائة صفحة.

ويلفت النظــر أنه برغــم كون هذا الوطنى الكبير هو الــرأس المدبر للجهاز السرى الذى ترأسه ووضع تنظيمه وحدد أهم أعمالــه ـ إلاَّ أن مذكرات زعيم الجهاز السرى خلت من أية إشارة عن هذا الجهاز، فضلاً عن حرصه على عدم الإشارة لنظام المراسلات السرية التى تبودلت بينه وبين سعد زغلول إبان وجود الوفد المصرى فى باريس 1919 - 1920.

الوطنى المستقل

ترجع كثيرٌ من المصاعب التى واجهت عبد الرحمن فهمى إبان خدمته الســابقة على الثورة، إلى حرصه على استقلاله فى اتخاذ القــرار، وهو ما غدا صعبًا فى ضوء التطورات التى كانت قد جرت منذ الاحتلال البريطانى لمصر عام 1882، وقد روى عبد الرحمن فهمى أشكال هذه الصدامات التى تتالت بين عامى 1909، 1911، فى ثلاث مقالات مطولة.

هذا وباســتثناء محمد محمود باشــا الذى شــغل قبل الحرب العظمى مناصب إداريــة كبيرة ـ فإن عبــد الرحمن فهمى يقدم نموذجًا فريدًا فى الزعامة الوفدية بين عامى 1918 و1926.

ولا تأصيل لهذا التفرد سوى ما أصاب هذا الوطنى الكبير من الســلطتين الفعلية ممثلة فــى الإنجليز، والشــرعية الممثلة فى الخديو من أضرار، وما اكتشــفه عن السلطتين من أخطار تحيط بالوطن.

بقى أن أقول إن عبد الرحمن بك فهمى استمر طوال حياته داعية «للوفاق الوطنى»، خاصة خــلال الفترة التى تلــت أحداث سنة 1935، وبعد تكوين الجبهة الوطنية والاســتعداد للمفاوضات مــع الإنجليز، وتراوح نشاطه فى هذا المجال بين الدعوة لتجنب احتدام المعــارك الانتخابية، وبين الدعوة «لترك الحزبية».

هذا ورغم كل دوافع الاهتمام بالشئون المصرية، فإن الملاحــظ أن عبد الرحمن فهمى

قد أعــار القضايا العربيــة اهتمامًا ملحوظًا، وأملى أن أتناول هذا كله فى كتاب عاكفٌ على إعداده.

رحم الله عبــد الرحمن بك فهمى على قدر عطائه الغزير لوطنه.

ثـــــورة 19
كـفاح شعب وروح وطـن

يقول الأديب توفيق الحكيم نقلاً عن مستشرق فرنســـى داخل روايته الخالدة (عودة الروح) التى جاءت كلماتها متأثرة بثورة 1919 «إن هذا الشعب الذى تحسبه جاهلاً ليعلمُ أشـــياء كثيرة، لكنه يعلمها بقلبه لا بعقله، إن الحكمة العليا فى دمه ولا يعلم، والقوة فى نفسه ولا يعلم، هذا شعب قديم».

نعم، هو قد يجهـــل ذلك، ولكن هناك لحظات حرجة، تخـــرج فيها هذه المعرفة وهذه التجارب فتسعفه وهو لا يعلم من أين جاءته، ومن هنا جاءت هذه اللحظة الخالدة التى ظهـــرت بكل مفرداتهـــا الحضارية والإبداعية فى ثورة 1919.

وإذا كان مصيـــر الثورات مرهوناً إلى أبعد حد بما قبلها، بما يسبقها، بمقدماتها وعواملها وتراكماتهـــا الفعلية التدريجية الطويلـــة على الأرض، فقد جـــاءت ثورة 1919 انعكاساً لحالة من النضج الاجتماعى والثقافى والسياســـى الذى حققته مصر والتى تواكب معها نمو الوعى الوطنى لدى الجماهير، فقد اشتعلت الثورة بعد أكثر من مائة عام من إدخـــال التعليم الحديث إلى مصر، وبعد ســـبعين عاماً من قيام رفاعة الطهطاوى بتأليـــف «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز»، وبعد أكثر من أربعين عاماً على إتاحة التعليم للنســـاء، وبعد عشرين عاماً من قيام قاســـم أمين بتأليف كتابيه «تحرير المـــرأة» و«المرأة الجديدة»، وبعد أن ازدهرت فى مصـــر الصحافة الحديثة لعدة عقود، وبعد أن تأسســـت فى مصر الأحزاب السياســـية، وكان الحزب الوطنى وحـــزب الأمة قطبى السياســـة المصرية، كما جاءت بعد تأسيس الجامعة المصرية، وهى أول جامعة حديثة فى الشرق الأوسط وإفريقيا.

كان يـــوم الأحـــد 9 مـــارس 1919 يوماً اســـتثنائياً فى تاريخ مصر، استيقظ المصريون على صوت صياح فى الشـــارع، بعضهم قرر النظر من النافذة ليفهم ما الذى يحدث، والبعض الآخر كان يدرك كل شـــيء وبمجرد سماع الضجيج قرر النزول من بيته ليشارك فى أول انتفاضة شعبية سلمية يقوم بها الشـــعب المصرى فى تاريخه احتجاجاً على نفى الزعيم سعد زغلول ورفاقه.

وبدأت القصـــة عندما وعدت بريطانيا مصر بنيـــل اســـتقلالها مـــن الاحتلال البريطانـــى بعد انتهاء الحـــرب العالمية الأولى التى اندلعت فى عام 1914 وانتهت فى عام 1918، وبعد دعم مصر لبريطانيا

د.هشام عبدالملك

Hesham.Abdel.Malek@bbc.co.uk

فى الحرب لم تـــفِ بريطانيـــا بوعودها وتطلعت الرموز الوطنية فى مصر لحضور مؤتمر الصلح فى باريس ليعرضوا قضية استقلال مصر، وعلى هذا اتجهت مجموعة من زعماء الحركة الوطنيـــة إلى المندوب الســـامى البريطانى السير وينجت، وكان الزعيم سعد زغلول على رأسهم يطلبون منه السماح لهم بالسفر لباريس وتمثيل مصر فيه لطرح قضية الاستقلال، غير أن السير وينجت وبعد أن اســـتمع إليهم فى جلسة طويلة لم يسمح لهم بالسفر متعللاً بسؤال استنكارى «بأى حق فوّض هؤلاء لأنفسهم التحدث باســـم المصريين؟»، ليقوم سعد زغلول وزملاؤه فى الوفد بجمع التوكيلات من عموم الشعب لتفويضهم للتحدث باسم المصريين، وفـــى إطار هذه الصورة، وفى ظـــل هتاف واحد يجمعهـــم على اختلاف عقائدهم، وطبقاتهـــم، وفئاتهم، وأجيالهم (الاســـتقلال التام أو الموت الزؤام)، أبدع المصريون بإنتاج أشـــكال نضالية متنوعة ومتعـــددة، فـــى مقدمتهـــا وأهمها هذه التوكيلات الشعبية، وكانت حروفها تنطق بقوة الشـــعب المصـــرى وعظمته «نحن الموقعين على هذا قـــد أنبنا عنا حضرات: ســـعد زغلول و.. فى أن يســـعوا بالطرق السلمية المشـــروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلاً فى اســـتقلال مصر تطبيقاً لمبادئ الحريـــة والعدل التى تنشـــر رايتها دولة بريطانيا العظمى».

وامتد نضال الشعب المصرى لتظهر للمرة الأولى فى التاريخ المصرى الحديث مجموعة من المفردات لم تكن معروفة من قبل، كإرســـاء مبدأ المقاطعة سواء كانت سياسية أو تجارية، والإضراب عن العمل، والاعتصامات، والتظاهر السلمى، وتأسيس الجمعيـــات الســـرية المناهضة للاحتلال البريطانى.

لقد كان هناك إيمان من جانب الشعب المصرى بزعامة سعد زغلول قائداً للثورة، فلا زعيم إلا ســـعد، وقد عبر عنها الشاعر محمود صادق بقوله:

أيا سعد هذا اليوم تاريخ أمة
وتذكار شعب كنت فيه المقربا
إذا ذكرت مصر الفتاة لها أبا
على صفحة التاريخ كنت لها الأبا

وقد اســـتطاعت هذه الزعامة التقاط هذه اللحظـــة التاريخية وقيـــادة حركة الجماهيـــر فى هذه الثـــورة، فقد جاء فى وثائق الخارجية البريطانية رســـائل عدة من كرومر، نقرأ فيها «ســـعد زغلول رجل جاد ومجتهد»، وفى رســـالة أخرى يقول كرومر «سعد زغلول ليس فقط أكفأ مصرى تعاملت معه، وإنمـــا هو أقوى من تعاملت معهم من المصريين شخصية».

ومـــن طبيعة الأمـــور أن تكون هناك أكثر من قراءة للتاريخ، والقراءة المنصفة تخبرنـــا بأن هـــذه الثورة ليســـت مجرد انتفاضة شـــعبية كبـــرى، أو أنها وليدة اللحظة التاريخية التـــى اندلعت فيها، بل كانت تتويجاً لحالة شـــعبية فائرة بسبب السخط على الاســـتعمار البريطانى، فقد خاض الشعب المصرى حركة نضال وكفاح طويلين على مدار ثلاثين سنة سابقة على هذه الثورة فـــى مواجهة غير متكافئة ضد ســـيطرة الاحتلال البريطانى على مقاليد الأمور فى مصر مستخدمة سياسة القبضة الحديدية، لتتبلـــور بمرور الوقت حالة من الاختمار الثورى بحســـب المؤرخ د. عبد العظيم رمضان، ولتتصاعد مقاومة الشعب لتلك السياسة الاستعمارية، وهو ما أدى فى

نهاية هذه الطريق الطويلة إلى قيام ثورة الشعب الكبرى فى سنة 1919.

ولأن هذه الثورة فى حد ذاتها نبتة الليبرالية المصرية وثمرتها فى الوقت نفسه، فقد استفادت من انفتاح القوى شبه الليبرالية والإصلاحية على تيارات الفكر الأوروبى، وكذلك انتشار الثقافة الدستورية والقانونية الحديثة من خلال رجال الفقه الدستورى والقانونى والجماعة القانونية المصرية بكل مكوناتها، ولذلك سعت الثورة إلى التركيز على مبدأى الاستقلال وصياغة دستور حديث يليق بمصر باعتبارهما صنوين لا يفترقان، وزاد من هذا الربط بين الدستور والاستقلال شعبية وزخماً أن شهدت البلاد ولادة حزب «الحركة القومية المصرية» الذى تأسس على قواعد شعبية حقيقية، وكان أساسه الوفد الذى شُكّل بغرض عرض قضية مصر عالمياً بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

وإذا كنا نحتفل بمئوية ثورة 1919 فإنه يمكننا القول إن المئويات، ليست فرصة للتذكر فقط، وإنما للتفكر، ومن ثم التدبر أيضاً، ومن هنا فإن تفكيك معطيات ثورة 1919 ومخرجاتها أمر جيد بإعادة تركيب هذه المعطيات وتحليل هذه المخرجات لاستيضاح صورة هذه الثورة، فقد حملت هذه الثورة ألف ميلاد وميلاد، فمصر ما قبل ثورة 1919 شيء وما بعدها شيء آخر تماماً، وليست هناك مبالغة فى أن الثلاثين عاماً التى جاءت بعدها حملت لنا كل ما جعل مصر بالفعل (تاج العلاء فى مفرق الشرق)، كما قال شاعر النيل حافظ إبراهيم فى قصيدته الشهيرة التى أوصلتها حنجرة أم كلثوم بألحان رياض السنباطى إلى الناس العاديين فى المدن والقرى والنجوع.

ولذلك إذا أردنا أن نضع هذه الثورة فى ميزان التقييم فإننا يمكن أن نستند إلى تلك القاعدة التى وضعها المؤرخ عبدالرحمن الرافعى فى أن نجاح أية ثورة أو عدم نجاحها إنما يعود إلى معرفة الحال التى كانت عليها البلاد قبل الثورة والحال التى وصلت إليها بعد الثورة، وهل تقدمت أم تأخرت، وما علاقة الثورة بهذا التقدم أو التأخر.

فرغم خسائر المصريين خلال الثورة ما بين شهيد وجريح، إلا أن هذه الخسائر لم تذهب أدراج الرياح، فقد تمكن الشعب المصرى من خلال هذا الإبداع النضالى أن يحقق انتصاراً سياسياً، فقد نال بالفعل اعتراف بريطانيا بمصر دولة حرة ذات سيادة فى تصريح من طرف واحد صدر فى 28 فبراير 1922، وبرلمان تم انتخابه يوم 12 يناير 1924، وحكومة تمثل الأغلبية البرلمانية شكلها سعد زغلول زعيم الثورة يوم 28 يناير 1924.

وإذا كان هناك من أخذ على ثورة 1919 عدم نجاحها فى إجلاء الاحتلال البريطانى، كأحد المبادئ التى استندت إليها هذه الثورة، باعتبار أن هذا الاحتلال يحمل فى طياته عناصر السيطرة الأجنبية، كما يرى مؤرخون، إلا أن الحركة القومية وضعت من خلال كفاحها أول لبنات الليبرالية المصرية التى تمثلت فى نصوص وروح دستور عام 1923 الذى أرسى عدة مبادئ أصبح الرجوع عنها صعباً، وخاصة تلك التى تتعلق بأن الأمة هى مصدر السلطات، والمساواة بين المصريين أمام القانون، وأن تكون ولاية المناصب مقصورة على المصريين، وكفالة الحريات الشخصية والعامة وحرية الصحافة، وحظر نفى المصريين خارج البلاد، وإقرار مبدأ رقابة البرلمان على أعمال الحكومة وحقه فى سحب الثقة من الحكومة أو الوزراء، وعدم جواز تعطيل أى حكم من أحكام الدستور إلا فى حالات خاصة حددها، وغيرها.

وفى الاقتصاد، كانت الثورة دافعاً لحلم راود المصريين منذ عقود، وهو حلم بناء اقتصاد وطنى فى مواجهة الامتيازات الأجنبية التى نجحوا فى إلغائها ساعين إلى تمصير عصب الاقتصاد لتشهد البلاد نهضة صناعية جديدة أثرت فى المجتمع كله وفى أفكاره.

وقد اتسمت تلك الحقبة بقوة منظومتها، وهو ما انعكس على تكوين الطبقة الوسطى وسماتها، فقد كانت متجانسة ومتميزة لأن التعليم كان الرافعة الوحيدة تقريباً للحراك الاجتماعى، كما رأينا الانطلاقة السياسية للمرأة المصرية والسعى القوى من أجل انتزاع حقوقها.

وكان لهذه التحولات الاجتماعية الجديدة انعكاس على مجالات الفنون التشكيلية والموسيقى والغناء، فضلاً عن تطور الكتابة الروائية والكتابة المسرحية بشكل لافت للنظر معبرة عن الشعب وقضاياه، وباعثة للقوة الناعمة المصرية فى محيطيها العربى والإقليمى.

ولذلك ليس من المغالاة فى شيء أن نقول إن كل شيء إيجابى تحقق فى مصر بعد ثورة 1919 يحسب لها، أما السلبيات فلا تحسب عليها، ولكن تحسب على الرجعية فى القصر الملكى، وأحزاب الأقليات، وسلطة الاحتلال البريطانى.

إن هذه الروح المصرية التى أطلقتها ثورة 1919 ألهمت شعوباً عربية أخرى كانت ترزح تحت نير الاحتلال، فرأينا، على سبيل المثال، تصاعد النشاط الوطنى السودانى ضد الاحتلال البريطانى، هذا الاحتلال الذى وجد نفسه أمام ثورة أخرى عام 1920 فى فلسطين احتجاجاً على الدور البريطانى فى دعم اليهود من خلال وعد بلفور، وكذلك ثورة العشرين فى العراق رفضاً لفرض نظام الانتداب فى البلاد، وفى سوريا كان انطلاق الحركة الوطنية ابتداء من عام 1920 رفضاً للاستعمار الفرنسى والخضوع لقوانينه، وفى الجزائر ظهرت الحركة الوطنية فى شكل أحزاب لها اتجاهات سياسية وإصلاحية بعد الحرب العالمية الأولى متعلقة بمبادئ ثورة 1919.

سعد باشا زغلول

ولم يقتصر تأثير ثورة 1919 على العالم العربى فقط، ففى الهند أشار المهاتما غاندى إلى تأثره بثورة 1919، وقد روى المؤرخ د. عبد العظيم رمضان عن لقاء لأحد كبار المصريين بالزعيم الهندى فى لندن عام 1921، والذى قال له «قلّدنا سعد زغلول فى حركته الوطنية، قلّدناه فى تأليف الحزب من طبقات، كلما اعتقل الإنجليز طبقة حلت محلها طبقة أخرى، ولكننا فشلنا فى أمرين، توحيد الهندوس والمسلمين، كما وحد سعد بين الأقباط والمسلمين، وإضراب الموظفين».

لقد احتار الكثيرون فى فهم طبيعة هذا الشعب، وفشلوا فى حساب ردود أفعاله، وفى توقع لحظات غضبه وانتفاضاته وثوراته، فهذا الشعب بالغ القدم، يمتد تاريخه إلى سبعة آلاف سنة، ولذلك لم تكن ثورة 1919 سوى قطرة فى محيط الوجود المصرى الشاسع الضارب فى الزمن، وهو ما عبر عنه الأديب عباس محمود العقاد واصفاً ثورة 1919 بالقول «إن الثورة لم تكن فورة غضب بغير معنى كما أراد أعداؤها والناقمون منها أن يتخيلوها، فلو كانت كذلك لما ظهر فيها من نفحات النخوة القومية والأريحية الإنسانية التى ترتفع إليها الشعوب كما يرتفع إليها الأفراد فى ساعات السمو والإشراق والفداء».

دور التنظيم السرى لثورة 19

يـــوم 9 مارس 2019 تحل الذكرى المئوية لثورة 1919، وهى مناســـبة كبرى للاحتفاء بأهم ثورة شـــعبية فى تاريخنا الحديث، وعلى الرغم من كونها ذات طابع بورجوازى وطنى ديمقراطى إلا أنها قامت على أكتاف الجماهير من جميع طوائف الشعب المصرى.

كان هدفها الإســـتراتيجى.. إلغاء الحماية البريطانية والاحتلال وتحقيق الاســـتقلال وإقامة حياة نيابية وفقاً لدستور ونظام حكم ديمقراطى.

عمرو كمال حموده

amrkhamouda@yahoo.com

وقد تنبه كبار الشـــخصيات السياســـية والوزراء وأعضاء الجمعية التشـــريعية وحتى أمراء البيـــت المالك، إلى اللحظـــة التاريخية المناسبة للمطالبة بحقوق الأمة المصرية وذلك فور انتهاء الحـــرب العالمية الأولى والإعلان عن انعقاد مؤتمر الصلح فـــى باريس وحق تقرير المصير للشعوب فى المستعمرات.

ويقول عبد الرحمن فهمى فى مذكراته:

«ولم يكن التفكير فى أمر البلاد ومستقبلها مقصـــوراً على فئة أو طائفـــة دون أخرى، بل كان هـــذا التفكير عاماً، وكأنمـــا قد أوحى إلى الأمة بجميع طبقاتهـــا، أن قد حان وقت العمل لتقريـــر مصير البلاد، فكانـــت جماعات كثيرة وليست الجماعة التى تألف منها فيما بعد الوفد المصرى إلا إحدى هـــذه الجماعات. ألفت بين قلوبنا روابط قديمة، وزمالة فى العمل وتقارب فى البيئة الاجتماعيـــة، وكانت هذه الفئة بحكم مركزها ونفوذها وصفتها النيابية القديمة قوية فى مطلبها.

وانعقد رأيها بعد البحث والتشـــاور، على أن خير ما تفعله، أن تســـافر إلى مؤتمر الصلح تبسط أمامه قضية مصر وتطالب باستقلالها».

وقد اتفقت آراء قادة الأمة على اختيار سعد زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية مع على شعراوى عضو الجمعية التشريعية ممثلاً للوجه القبلى، وعبد العزيز فهمى عضو الجمعية ممثلاً للوجه البحرى، لمقابلة الســـير «ريجنالد وينجت» المعتمد البريطانى فى مصر، لعرض مطالب الأمة. وتحدد يـــوم 13 نوفمبر 1918 موعداً للمقابلة.

ويرى الدكتور محمد أنيس والأستاذ طارق البشرى أن ســـعد زغلول منذ بداية الاتصالات بين قادة الأمة كان مقدراً تمام التقدير خطورة الخطوة التى ســـيقدمون عليهـــا، ولذلك اهتم بضرورة حشد الرأى العام وراء موقف الزعماء وضرورة تماسك الجبهة الداخلية.

وقد احتاج الأمر وجود تنظيم سرى لتعبئة الجماهير، وقد نشـــأ هذا التنظيم فى الأسابيع الأخيرة قبل المقابلة مـــع المعتمد البريطانى، ولكن بشـــكل أولى ولم تحدد معالمه الكاملة إلا فيما بعد. وقد اختار ســـعد، عبد الرحمن فهمى لقيادة هذا التنظيم (مصطفى أمين، أسرار ثورة 1919).

من هو عبد الرحمن فهمى

يقول الدكتور يونان لبيب رزق فى تقديمه لمذكرات عبدالرحمن فهمى... «هو رجل الإدارة المرموق قبل 1913 وديناموـــ الوفد المصرى (1918 - 1926) كان عمره 49 سنة فى عام 1919، من الشخصيات الوطنية التى لعبت دوراً حاسماً فى التاريخ المصرى الحديث.

كان ضابطاً تخرج من المدرســـة الحربية عام 1888، وقد أثرت عســـكريته فى اتســـام طابعه بالشدة والصرامة».

ويضيف الدكتور محمـــد أنيس أن فهمى اشـــترك فى الحملة المصرية بقيادة «كتشنر» لإعادة فتح الســـودان وبعدهـــا نقل إلى حرس الخديـــو عباس الثانى، وفى عـــام 1896 عُين يـــاوراً لوزير الحربية مصطفى باشـــا فهمى، وفى عام 1901 مديرا لبنى ســـويف، وفى عام 1908 مديراً للجيزة وهنـــا حدث الصدام بينه وبين مفتش الـــرى الإنجليزى ومفتش الداخلية الإنجليزى فأصر المستشـــار الإنجليزى لوزارة الداخلية على إبعـــاده عن الجيزة أو إحالته إلى المعاش، فكان أن نقله الخديو عباس الثانى إلى وكالة الأوقاف التابعة للسراى آنذاك.

وفى هذه المرة اصطـــدم بالخديوى ذاته بشـــأن حادثة شـــراء أطيان المطاعنة، فأحاله الخديوى إلى المعاش.

إذن نحن بإزاء شـــخصية تحترم كرامتها والدفـــاع عـــن الحـــق والإحســـاس المرهف بالمسئولية، كما أن تطوره المهنى ساعده على التنظيم الفعال وبناء شبكة واسعة وفريدة من العلاقات الفوقية والتحتيـــة فتعرف جيداً على أحوال مصر وطوائف الشعب. وكبار الشخصيات مثل سعد زغلول وعدلى يكن وغيرهما.

اليوم الحاسم

فى 13 نوفمبر 1918 عرض سعد زغلول وزميلاه مطالـــب الأمة على المعتمد البريطانى، فكان رده الصلف بالنص: «الشـــعب المصـــرى لايزال فـــى مرحلة الطفولـــة، وإن الرأى العام المصرى ليســـت له قيمة، وإن الحزب الوطنـــى مهّيج ويطالب بالثورة والإثارة».

ويرصد عبدالرحمن فهمى فى مذكراته ردة فعل الجماهير:

«انتقلت أخبار هـــذه المقابلة إلى طبقات الشـــعب المختلفـــة ومنها إلى مـــدن القطر الكبرى، فالبلاد كلها، فأثارت الشـــعب وسروره واستحسانه، وأصبحت حديث الناس وكل مكان، وأخذ الناس يتسابقون إلى التردد على بيت سعد زغلول ليعرفوا أخبار المقابلة وما يفكر الزعماء فى عمله».

وفور انتهـــاء المقابلة ذهـــب «وينجت» لمقابلة دولة حسين رشدى باشا رئيس الوزراء، مبدياً دهشته وعجبه من أفراد ثلاثة يتكلمون فى أمر أمة بأســـرها دون أن يكون لديهم ما يخول لهم التكلم باسمها.

وعقب ذلك ظهرت فكرة عمل توكيلات من جميع طوائف الشـــعب للوفد الذى تشـــكل فى البداية من سبعة أعضاء من الجمعية التشريعية ووضعوا له قانوناً من 26 مادة.

وحانت بداية النشـــاط للتنظيم السرى فى جمع التوكيلات من أنحاء البلاد وكان المجهود ضخماً للغاية.

وفـــى 20 نوفمبر 1918 طلب ســـعد من الســـلطة البريطانية السماح له ولرفاقه بالسفر إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح... فلم توافق.

مباشـــرة... بدأت حملة احتجاجات داخل مصر وخارجها.

ويقول طارق البشرى... «ويظهر أن سعد كان يدفـــع الموقف إلى التـــأزم وكثرت خطبه واتسمت بالحدة المتزايدة يعلن فيها أن الحماية أمر باطل بطلاناً أصلياً أمام القانون الدولى».

رافق ذلك تكاثر حركـــة التوكيلات للوفد بشـــكل خطير أزعج دار الحماية فقررت نفى سعد زغلول وزملاءه خارج مصر يوم 8 مارس 1919.

انفجار الثورة

اندلعت الثورة يوم 9 مارس مباشـــرة من خلال مظاهرات سلمية من طلبة المدارس العليا والمدارس الثانويـــة تتقدمهم أعلامهم والهتاف بحياة مصر والوفد وسقوط الحماية الإنجليزية وبرز دور التنظيم الســـرى فى ترتيبها وطوال الأيام المقبلة.

ففى يـــوم 10 مـــارس.. أضربت جميع المدارس وتألفت مظاهرة كبـــرى فى القاهرة

وأضـــرب عمال التـــرام وقدم موظفـــو وزارة الحقانيـــة احتجاجاً قوياً للســـلطان فؤاد على اعتقال سعد ونفى الزعماء.

يوم 11 مارس.. تعطلت جميع المواصلات وأضـــرب ســـائقو عربـــات النقـــل والركوب والمحامون وأقفلت المتاجر.

وقد أطلق الجنود الإنجليز الرصاص الحى على المتظاهرين.

يـــوم 16 مارس... أول مظاهرة نســـائية تنادى بالحرية والاســـتقلال. وفى نفس اليوم أضرب عمال شـــركة النور فباتت القاهرة فى ظلام دامس ولم تنقطـــع المظاهرات ليلاً على ضوء المشـــاعل، كما حدث هجوم على أقسام الشرطة.

يوم 17 مارس.. تقطيع خطوط الســـكة الحديد وأســـلاك البرق وقيام مظاهرة ضخمة مرتبـــة من علماء الأزهر والقضـــاة والمحامين والتجـــار وطلبة المـــدارس العليـــا والثانوية والأزهرية وأرباب الحرف والصنايعية.

ولوحظ ازدياد الهجوم على مراكز الشرطة والمحاكم. وانتشـــرت الثورة فى الريف والمدن الإقليمية، وواجه الإنجليز الحالة بالعنف الباطش فحرقوا القرى واســـتباحوا الأعراض وســـرقوا المواشـــى ومصاغ النساء والشـــون وضربوا الفلاحين والموظفين بالكرابيج.

ولوحظ استمرار إضراب موظفى الحكومة طوال شـــهرى مارس وإبريل، فاعترف اللورد اللنبى المعتمد البريطانى الجديد فى رســـالة لحكومتـــه.. «الحكومة صارت مســـتحيلة ولا نعرف ما يحدث داخل الوزارات».

فاضطرت بريطانيـــا العظمى إلى التراجع فأعلنت الإفراج عن سعد ورفاقه وعودتهم للوطن فى 8 إبريل.

يـــوم 8 إبريل.. خرجـــت مظاهرة ضخمة رتب لها عبدالرحمن فهمى والتنظيم الســـرى، اشترك فيها مشايخ الأزهر والقساوسة وأعضاء الجمعية التشـــريعية والقضـــاة والمحامون والأطبـــاء وموظفو الحكومـــة وطلبة المدارس العليا والثانوية وطلبة مدرســـة البوليس وطلبة المدرســـة الحربية والعمال وصـــار كل فريق تتقدمه أعلامه، وخلف المظاهرة سارت مركبات عقيلات الأســـر الراقية وهن يهتفن.. «نحن فداء الوطن».

وقامـــت مظاهرات ســـلمية أخـــرى فى الإســـكندرية والمدن الإقليمية واجهها الإنجليز بالرصاص الحى.

يوم 16 إبريل.. ظهرت قدرة التنظيم السرى على المناورة عندما وضعت السلطة العسكرية البريطانية المتاريس وأغلقت الشوارع لمنع لقاء جماهيرى ضخم فى الأزهر، فتحول المجتمعون والجماهير بسلاسة إلى جامع ابن طولون حيث تم اللقاء بنجاح.

ومع عودة سعد ورفاقه من المنفى، سمحت السلطة البريطانية لهم بالسفر إلى باريس، ونتج عن هذا التحول فى الموقف السياســـى ضرورة انتقال العمل الثورى إلى مرحلة جديدة، يحســـن أن نتوقف عندها لأن قيادة الثورة أخذت فى تقييم الموقف والتفكير فى خطة المرحلة القادمة.

عبد الرحمن فهمى بالزى العسكرى

يقول عبدالرحمن فهمى:

«عقـــدت اجتماعات فى منزل على باشـــا شـــعراوى عقب تحدد موعد ذهـــاب الوفد إلى باريس، لتكوين لجنة مركزية موســـعة للوفد لإدارة الأعمال فى مصر وفـــى إمداد الوفد فى الخارج بالمعلومات والمستندات التى يحتاجها ولتنسيق العلاقة بين الداخل والخارج، فتكونت من ثمانية عشر عضواً ومنهم عضوان من الحزب الوطنى أدخلتهما لاستكمال التجمع الوطنى».

الحاصل أن سعد زغلول خشى من حدوث أى تصدع فى الجبهـــة الداخلية أو أى انفصام بين الوفد فى الداخل والوفد فى باريس، واعتمد بالكامل علـــى التنظيم الســـرى وعلى العلاقة السرية فى الخفاء بينه وبين عبد الرحمن فهمى.

استكمل التنظيم أدواته وتحددت أهدافه فى هذه المرحلة وهى:

(1)تسخين الجبهة الداخلية والحفاظ على الزخم الثورى.

(2)حماية الثورة والدفاع عنها.

(3)مواجهة الدســـائس من أعـــداء الثورة والمتعاونين مع الإنجليز.

(4)توســـيع نطاق الثورة لتشمل كل أنحاء القطر المصرى من أسوان إلى الإسكندرية.

وتحددت وظائف التنظيم السرى وفقاً لتلك الأهداف على النحو التالى:

(1)تنظيم المظاهرات عن طريق الحشـــد واختيار الأماكن والتوقيت والشعارات والهتافات.

(2)تنظيم الإضرابات.

(3)إقامة الاحتفاليـــات واختيار الخطباء وحشد الجماهير لحضورها.

(4)إنشاء نقابات لكل الحرف والصناعات.

(5)الاتصال والتنسيق مع علماء الأزهر.

(6)الاتصـــال والتنســـيق مع الكنيســـة الأرثوذكسية والقساوسة.

(7)الاتصال والتنسيق مع الحركة العمالية.

(8)تكوين الجهاز السرى للاغتيالات.

(9)زرع الجواسيس فى الأحزاب والسراى ودار الحماية البريطانية.

(10) توجيـــه الصحف الموالـــية للثورة وإمدادها بالأخبار.

(11) كتابة وطباعة وتوزيع المنشـــورات السرية.

(12) إمـــداد الوفد فى باريـــس ثم لندن بالمســـتندات والمعلومات والصور عن الفظائع التى ارتكبها الإنجليز للقضاء على الثورة.

(13) إنشاء قناة سرية للمراسلات بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى.

(14) المســـاعدة فى تكوين ودعم نشاط اللجنة المركزية لسيدات الوفد.

(15) تنظيـــم أعمال مقاطعـــة لجنة لورد ملنر.

تكوين التنظيم السرى

اختـــار عبدالرحمن فهمـــى بعناية ودقة وسرية شـــديدة أعضاء التنظيم السرى، الذين أقسموا اليمين على عدم إفشاء أسرار التنظيم.

وقد ضم التنظيم، طلبة من مدرسة الحقوق والطب ومـــن طلبة الأزهر وقســـم الطلبة فى الحزب الوطنى ومحاميـــن وقيادة عمال الترام وعنابر الســـكة الحديد ونقابة لفافى السجائر وموظفين فـــى الحكومة ومن أصحاب المطابع وصحفييـــن وأعضاء فى الجمعية التشـــريعية ورجال إدارة فى مجالس المديريات وجملة من القضاة وعمد الأرياف.

وتجدر الإشارة إلى ملاحظة مهمة أوردها طارق البشـــرى وهى اكتشاف ســـعد ورفاقه عندما وصلوا باريس أن الأبواب موصدة أمامهم، فتولدت ثقة ســـعد فى أن المعركة مع بريطانيا ستكون داخل مصر وليس خارجها.

وبناء عليه نتج من رحم التنظيم الســـرى للوفد نشوء وفعالية «الجهاز السرى للثورة».

ويعلق طارق البشرى قائلاً:

«والحاصـــل أن الوفـــد وإن تبنى طريق الكفاح الســـلمى المشـــروع، فلم يقتصر عليه بل استطاع أن يســـتوعب أسلوب العنف بالقدر الذى كان قائمـــاً وقتها وعلى النحو الذى عرفته السنوات العشر السابقة على ثورة 1919».

ولما سبق سببان:

الأول: مواجهـــة بطش الإنجليز وعنفوانهم الدموى

(قدم أطباء مستشـــفى القصـــر العينى احتجاجاً شـــديد اللهجة إلى المدير الإنجليزى لمصلحة الصحة ومرفوع من الدكتور سليمان عزمى مدير القصر العينى جاء فيه:

«إنه يحزننا أن نرى الســـلطة العسكرية البريطانية قد اســـتعملت ضـــرب الرصاص والمدافع الرشاشـــة فـــى تفريـــق الجماهير المجتمعة لغرض سلمى وهى غير مسلحة ورأينا بين المصابين أطفالا ونســـاء قتلى وجرحى ولا يمكن مطلقاً أن يكون قد وقع منهم اعتداء على السلطة»).

ويقول محمد كامل سليم سكرتير سعد زغلول:

«إن شدة البطش الإنجليزى أدت لضرورة الردع والانتقام وبـــدأت بالفعل عمليات اغتيال لضباط وجنود إنجليز. وخلال أســـبوع واحد اغتيل وخطف أكثر من عشرين جندياً إنجليزياً فى القاهرة وخمســـة وعشـــرين بالإسكندرية

دور التنظيم السرى لثورة 19

واثنين فى بورسعيد.

والثانى: هو إرهاب أعداء الثورة والمتعاونين مع الإنجليز

ففى 28 يناير 1920 ألقيت قنبلة على إسماعيل باشا سرى وزير الأشغال.

وفى 8 فبراير 1920 ألقيت قنبلة على حسين درويش باشا وزير الأوقاف.

وفى 22 فبراير 1920 ألقيت قنبلة على محمد شفيق باشا وزير الزراعة.

وفى 22 يونيو 1920 ألقيت قنبلة على موكب رئيس الوزراء محمد توفيق نسيم باشا.

وفى 1 سبتمبر ألقى طالب أزهرى قنبلة على موكب رئيس الوزراء محمد سعيد باشا.

وفى 11 ديسمبر محاولة أجهضت لاغتيال السلطان أحمد فؤاد خلال زيارته لمدينة المنصورة.

وفى 15 ديسمبر ألقى الطالب عريان يوسف سعد قنبلتين على موكب رئيس الوزراء يوسف باشا وهبه.

وقد كشف مصطفى أمين فى كتابه «أسرار ثورة 1919» أن الجهاز السرى كان يتكون من الأقسام التالية:

(1)قسم مخابرات الثورة.

(2)إدارة اتصالات خارجية (بث عيون فى إنجلترا وسويسرا وإيطاليا وباريس).

(3)إدارة لتحريك المظاهرات والاضطرابات وعمليات التخريب (قطع المواصلات والسكك الحديدية).

(4)إدارة الدعاية وتشرف على توجيه الصحف وإمدادها بالأخبار وإصدار المنشورات السرية (الشعلة - المصرى الحر - اللجنة المستعجلة - اليد السوداء).

(5)إدارة للاغتيالات:

وكل إدارة لا تعرف عن وجود إدارة أخرى ولا أى نشاط عنها.

ونظراً للدرجة القصوى من السرية فى عمل الجهاز السرى فإن المدعى العام البريطانى المستر ماكسويل فى قضية المؤامرة الكبرى التى حوكم فيها عبدالرحمن فهمى، ذكر أن الجهاز السرى كان من ثلاثة أقسام فقط وهى: قسم المنشورات وقسم تصنيع القنابل وقسم شراء الأسلحة!

ورغم المحاكمة فلم يقبض على أغلبية أعضائه، ومن قبض عليه فكان بتهم أخرى.

ويجدر التنويه أن أياً من أوراق الجهاز والمراسلات السرية مع سعد زغلول لم تضبط أبداً.

قيادة الجهاز السرى

على حسب المتوفر من معلومات فإن القيادة كانت لعبدالرحمن فهمى تحت الرئاسة المباشرة لسعد زغلول وعضوية عبدالرحمن الرافعى وعبداللطيف الصوفانى والدكتور أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى وحسن كامل الشيشينى والشيخ مصطفى القاياتى والشيخ أحمد جاد الله العامل بالعنابر.

ومن المستوى التالى، محمد صادق فهمى، عبدالحى كيره، سيد باشا محمد، شفيق منصور، الأخوان عنايت، عريان سعد، د.محمد حفنى.

صور من أساليب عمل الجهاز السرى

(1) يقول الدكتور محمد أنيس... «كان سعد زغلول مديراً للجامعة المصرية واختار له الشاب محمد وجيه ليعمل سكرتيراً له فى باريس وانتدب محمد صادق فهمى مكانه فى سكرتارية الجامعة حتى تكون المراسلات السرية بينهما.

يكتب محمد وجيه ومن بعده محمد كامل سليم، تعليمات سعد زغلول على ورق مجلات علمية بالحبر السرى وترسل إلى صادق فهمى فى الجامعة، ويذهب بها إلى منزل عبدالرحمن فهمى ويتولى الدكتور أحمد ماهر (كى) الصفحات بالمكواة لإظهار الكلمات المخفية.

وبالعكس يتم إرسال ردود عبدالرحمن فهمى وتقاريره إلى سعد زغلول بنفس الكيفية.

وكانت هناك عدة شفرات، إما بالحبر السرى من ماء البصل أو الأرقام أو الحروف.

أما المستندات والصور والتقارير المطولة فكانت ترسل مع أفراد ينتقون بعناية وأغلبيتهم من الأجانب مثل الزوجة الروسية للدكتور محمود عزمى أو مسيو سيمون أو أحد ضباط الحماية البريطانية فى فلسطين.

وتجدر الإشارة أن عبدالرحمن فهمى عندما جاءته الأخبار بقرب القبض عليه قام بإخفاء جميع المراسلات فى حقيبة جلدية سوداء أودعها لدى مصدر مجهول موثوق به، أعادها إليه بعد الإفراج عن فهمى عام 1924.

(2) يقول عبدالرحمن فهمى فى مذكراته أنه اقترح على سعد زغلول فكرة مقاطعة لجنة اللورد ملنر حتى لا ينفرط عقد الجبهة الداخلية ولا تتخطى إنجلترا الوفد المصرى عند التفاوض حول المطالب المصرية.

«عمدت إلى طريقة مبتكرة بددت مجهودات لجنة ملنر، وتكون وسيلة لنشر المقاطعة بين أرجاء البلاد، ذلك أن بثثت العيون والأرصاد فى جميع المسالك التى تؤدى لفندق سميراميس (مركز اللجنة) وقد تزيوا بأزياء مختلفة فكان منهم العاجز والمتسول وبائع الفول واللب وبائع السجائر، وكانوا يسجلون كل من دخل إلى الفندق لمقابلة اللجنة ثم نستعلم من هؤلاء عما قالوه للجنة وبعد ذلك نفضحهم فى الجرائد، فلم يعد أحد يذهب إلى اللجنة بعد ذلك».

وعندما وجد عبدالرحمن أن البوليس المصرى بالاشتراك مع القوات البريطانية منعوا المظاهرات من الاقتراب من فندق سميراميس عمد إلى حيلة ذكية عن طريق تنظيم مظاهرة نيلية بالقوارب ترفع الشعارات وتهتف بالجلاء وهى تقترب من الضفة التى يطل عليها الفندق!

(3) حاول الإنجليز ممارسة ضغط على الحكومة المصرية بإرسال بعثة عاجلة من اثنين من مهندسى الرى الإنجليز ومهندس رى أمريكى لأخذ موافقة الحكومة على إقامة سد مكوار فى السودان لزراعة 300 ألف فدان خصماً من زراعات القطن المصرى.

قام الجهاز السرى بالحصول على الوثائق السرية والاتصالات السرية لهذا المشروع وإرسالها إلى الوفد فى لندن، بالإضافة إلى عمل دراسات مضادة ونشرها من خلال الندوات والصحافة.

وفى نفس الوقت حدثت محاولتان لاغتيال وزير الأشغال ووزير الزراعة للإرهاب، فتوقفت الحكومة عن استمرار التفاوض مع الإنجليز.

(4) كشف الدكتور محمد أنيس عن دور عبدالرحمن فهمى فى جذب الحركة العمالية إلى قيادة الوفد البورجوازية فأصبحت الحركة العمالية على حد قوله من منابع القوى فى منظماته الثورية.

ويذكر أن الشيخ أحمد جاد الله من زعماء نقابة عنابر السكة الحديد كان عضواً فى قسم الاغتيالات، وله اسم كودى (13 يوليو) وقد سلمه سعد زغلول مذكراته فأخفاها عند جار له فى شبرا حتى عام 1924.

وتشير رسالة سرية بتاريخ 8 أكتوبر 1920 من عبدالرحمن فهمى إلى سعد زغلول:

«لقد أثمرت جهودنا بتشكيل نقابة لكل حرفة ولم يبق فى مصر حرفة أو صنعة إلا ولها نقابة.

هذه النقابات مفيدة جداً للحركة الوطنية، وهى سلاح قوى لا يستهان به (الوعى الثورى للقائد).

قبض الإنجليز على عبد الرحمن فهمى فى أول يوليو 1920 فى قضية المؤامرة الكبرى بسبب دور الجهاز السرى فى ثورة 1919، وحكم عليه بالإعدام وخفف الحكم إلى خمسة عشر عاماً.

يقول الدكتور محمد أنيس:

«والعجيب أنه ظل داخل السجن على صلة قوية بالحركة الوطنية حتى نجد تقريراً مرفوعاً من «راسل باشا» حكمدار القاهرة إلى إدارة الأمن العام يقول فيه:

«إننى لا أستطيع أن أتحمل مسئولية السيطرة على الجرائم السياسية فى هذه المدينة طالما أن مسجوناً مجرماً سياسياً مثل عبدالرحمن فهمى لديه من الحرية ما يمكنه من أن يرتكب من الجرائم ما يشاء داخل أسوار السجن الحصينة».

إنها شهادة صدق من عدو لصالح القائد الوطنى البارع الذى استخدم كل ما يملك من خبرة فى الحشد والتكتيك والمناورة والتعبئة والاقتحام والتخطيط والمبادأة والإبداع للحفاظ على ثورة 1919 وزخمها وتحقيق أهدافها من التحرر والاستقلال.

سيد درويش نغم الهوية المصرية لثورة 1919

أسهمت الفنون بكل أشكالها، فى تأريخ الأحداث السياسية والاجتماعية التى مرت بها مصر، وكانت الأغنية الوطنية مكوناً أصيلاً، وموروثاً ثقافياً حاضراً لكل أحداث الوطن، تساهم فى تنمية حب الوطن وتعبئة الشعور الوطنى والقومى لمواجهة الشدائد وبث روح الأمل على مر الزمان.

عادل عبدالصمد

adelabdelsamed@yahoo.com

ومع مرور مائة عام على ثورة 1919، نستعيد الدور الملهم للفنون وخاصة دور الأغنية الوطنية وتأثيرها فى شحذ الروح المعنوية للمواطن المصرى، والتفافه حول راية الوطن متمسكين بهوية الوطن الواحد وضرورة الدفاع عنه، بكل غال ونفيس. ورغبة المصريين فى الحصول على الاستقلال.

وكان لفنان الشعب سيد درويش رائد الأغنية الوطنية، الدور الملهم بألحانه وأغانيه فى تجسيد آمال ومطالب المصريين بكل طوائفهم فى ثورة 1919، ولحن سيد درويش أناشيد وطنية ليؤديها الطلاب والعمال فى كل مكان فى مصر، لأنها نابعة من نسيج وجدان المصرى، فلحن كلمات بيرم التونسى (أنا المصرى كريم العنصرين) وكانت من أهم الأغانى الوطنية التى عبرت عن وحدة الأمة المصرية، ومن كلماتها:

أنا المصرى كريم العنصرين
بنيت المجد بين الإهرامين
جدودى أنشأوا العلم العجيب
ومجرى النيل فى الوادى الخصيب
لهم فى الدنيا آلاف السنين
ويفنى الكون وهم موجودين
وأقول لك على اللى خلانى
أفوت أهلى وأوطانى
حبيب أوهبت له روحى لغيره لا أميل تانى.

وكانت ألحانه معبرة عن مطالب ثورة 1919 ورغبات المصريين، وأصبحت صوت كل مواطن والأكثر تأثيراً على المحتل واشتهر منها نشيد الأفنديه الذى كان يردده التلاميذ فى المدارس:

يا عم حمزة إحنا التلمذة ما يهمناش السجن ولا المحافظة
من غير لحاف والعيش جاف ما يهمناش يا عم حمزة

ونشيد المشايخ كان يردده طلبة الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى ومدرسة دار العلوم:

اضربونا بالرصاص فالحياة فى القصاص
اضربونا بالمدافع ما لأمر الله دافع

كما لحن لثورة الجيش العربى نشيداً من كلماته:

أحسن جيوش الأمم جيوشنا وقت الشدائد تعالى شوفنا
ساعة ما نلمح جيش الأعادى نهجم ولا أى شئ يحوشنا

وغنى سيد درويش نشيداً من نظم أمير الشعراء أحمد شوقى عنوانه (بنى مصر مكانكم تهيأ).

ومع بداية اشتعال ثورة 1919 أنشد سيد درويش فى جماعة من المتظاهرين ضد الاحتلال الإنجليزى، نشيداً حماسياً من كلمات عزيز عيد وألحانه:

دقت طبول الحرب يا خياله
وآدى الساعة دى ساعة الرجالة
انظروا لأهلكم نظرة وداع
نظرة مافيش بعدها إلا الدفاع

وموهبة سيد درويش تجلت فى تنغيم الكلام، بالنغم الذى يملأ الأرجاء، ويهز العواطف، كما تجسد ذلك فى ألحان سيد درويش الوطنية، التى هتف بها المصريون، فى الشوارع والميادين والقرى والنجوع، والمساجد والكنائس، (يحيا سعد) بعد نفى الزعيم الوطنى سعد زغلول، ولم يجد الاحتلال الإنجليزى وقتها مفراً إلا بإصدار القائد العام البريطانى أمراً عسكرياً بالسجن ستة أشهر، مع الشغل والجلد عشرين جلدة، لكل من يهتف أو يذكر اسم سعد زغلول، الزعيم الوطنى، أو يردد (يحيا سعد).

وكانت الكلمة والأناشيد سلاح المصرى لمواجهة الظلم والقهر، فألف المبدع بديع خيرى، أغنية شعبية، لحنها فنان الشعب سيد درويش، وغنتها المغنية (زينب إدريس أو المعروفة بنعيمة المصرية) والأغنية

احمد شوقى

سيد درويش نغم الهوية المصرية لثورة 1919

فى ظاهرهـــا تتكلم عن البلح الزغلول، أما فى باطنها فتمجد الزعيم المصرى سعد زغلول، وأصبحت تلك الطقطوقة التى ألفـــت ولحنت وغنتها مصر كلها، تحية لسعد وهو عائد من المنفى، تقول كلماتها:

يا بلح زغلول يا حليوة يا بلح
يا بلح زغلول يا زرع بلدى
عليك يا وعدى يا بخت سعدى
زغلول يا بلح يا بلح زغلول
يا حليوة يا بلح يا بلح زغلول
عليك أنادى فى كل وادى
قصدى ومرادى
زغلول يا بلح يا بلح زغلول
الله أكبر عليك يا سكر
يا جابر اجبر
ماعيتشى أبكى وفيه مدبر مين بس
ينكر زغلول يا بلح
يا روح بلادك ليه طال بعادك
تعا صون بلادك
سعد وقال لى ربى نصرنى
وراجع لوطنى

وظلت هذه الأغنية وثيقة مصرية، شـــاهدة على كفاح الشعب المصرى، ضد المحتل، وتأكد أن الأغنية الوطنية، تذكى المشاعر وتلهب حماس المواطن ولها دور السحر فى النفوس، وتكون أقوى من الرصاص والأســـلحة الفتاكة على المعتدى والمحتـــل، وتزداد قوة عندمـــا تصحبها الموســـيقى المؤثرة على وجدان الجماهير، واعتبر الشعب المصرى إرغـــام بريطانيا على عودة سعد ورفاقه من المنفى انتصاراً للثورة المصريـــة، وعودة الـــروح إلى مصر، وتعالـــت الأصوات بالأغنية الشـــهيرة لبديع خيرى وســـيد درويش (مصرنا وطنا سعدها أملنا .. كلنا جميعاً للوطن ضحية .. أجمعت قلوبنا هلالنا وصليبنا .. أن تعيش مصر عيشة هنية).

سيد درويش

عاد ســـعد من المنفى وتراجعت بريطانيـــا، وهتـــف المصريون فرحاً وخرجت الجماهير تهتف، يحيا ســـعد وفى نفس الوقت حزنت الجماهير على وفاة فنان الشعب سيد درويش وبكى المصريـــون على وفاتـــه ورثاه أمير الشعراء أحمد شوقى قائلاً:

سيد الفن اســـترح من عالم آخر
العهد بنعماه البلاء
والجماهير تستقبل الزعيم الوطنى

يونس القاضى

بيرم التونسى

بكلمات الشيخ يونس القاضى وألحان موسيقار الشعب سيد درويش الذى كان يعد نفسه للقاء الزعيم رافعاً صوته بلحنه الذى أعده لاستقبال سعد، وكان مهموماً بتحفيظ النشيد لفرقة كورال المعهد العباسى بالإسكندرية، وقد استلهم مطلع النشيد من خطب الزعيم مصطفى كامل حيث كان يكرر دائماً فى خطبه بلادى بلادى لك حبى وفؤادى واختار سيد درويش تلك الكلمات وأعاد الشاعر يونس القاضى كتابة النشيد وكلماته:

بلادى بلادى بلادى... لك حبى وفؤادى

مصر يا أم البلاد ... أنت غايتى والمراد

وعلى كل العباد ... كم لنيلك من أيادى

بلادى بلادى بلادى.. لك حبى وفؤادى

مصر أنت أغلى درة.. فوق جبين الدهر غرة

يا بلادى عيشى حرة.. واسلمى رغم الأعادى

مصر يا أرض النعيم.. سدت بالمجد القديم

مقصدى دفع الغريم... وعلى الله اعتمادى

مصر أولادك كرام ... أوفياء يرعوا الزمام

سوف نحظى بالمرام... باتحادهم واتحادى

وكان لهذا النشيد قوة روحية، تدفع الشعب المصرى للمقاومة، ضد الاحتلال البريطانى والعثمانى للبلاد.

وأغانى سيد درويش وألحانه عبرت عن توجه اجتماعى وسياسى، مأخوذ من روح الشعب ومعبراً عن آماله وآلامه، فكانت أغانيه صوت الشعب بكل طوائفه، فهو من كوم الدكة أقدم الأحياء الشعبية بالإسكندرية، تألم بآلامهم، وعاش تجاربهم، فغنى لمجتمع العمال بجميع أطيافه، للسقائين وعبر عن متاعبهم، وللشيالين والجزارين والعربجية والجرسونات وبائعى اللبن

بديع خيرى

والبوابين والسياسيين وبائعى الورد والصعايدة والرشايدة والمغاربة أيضاً، وكانت تلك الأغانى الشعبية، سلوى لكل تلك الشرائح المصرية، وشارك بأغانيه أفراح وأحزان المصريين، ومن هنا كانت أغانيه لها سحر فى النفوس، سريعة الانتشار، يحفظها الناس ويتغنى بها فى المقاهى والشوارع على اختلاف شرائحهم.

وكانت حياة هذا المبدع قصيرة، ولكنها ثرية العطاء بأجمل الألحان والأغانى، 36 عاماً عمر هذا الفنان، الذى لحن أكثر من (80) لحناً و10 أدوار و20 موشحاً و66 طقطوقة ولحن أناشيد لعدة مسرحيات، وكانت مسرحياته للتنديد بالمستعمر العثمانى والبريطانى وأشهرها (شهرزاد) و(العشرة الطيبة) و(الانتخابات) ولحن لمعظم الفرق الفنية والموسيقية فى عهده مثل الريحانى، جورج أبيض، على الكسار ولحن أوبريت (كليوباترا وأنطونيو) وقدمتها الفنانة منيرة المهدية، وتميزت ألحان سيد درويش بالتجديد فقد طبق العلوم الموسيقية الحديثة على ألحانه وأدخل التوزيع الموسيقى والغنائى على بعضها، وطبق مجموعات الكورال على البعض منها ودعا إلى تخليص الموسيقى من الزخرف والتكلف، فجاءت موسيقاه

زينب ادريس المعروفه بنعيمه المصرى

وألحانه من نسيج الوطن المبدع.

وأشاد به الكتاب والمثقفون والفنانون معترفين بعبقريته وإبداعاته، مثل:

حسين فوزى - توفيق الحكيم - محمود تيمور - العقاد.

وقال رياض السنباطى (أنا وعبد الوهاب وزكريا أحمد أخذنا عن سيد درويش ولم نعطه شيئاً).

وقال عنه محمد عبدالوهاب: يخطئ من يتصور أنه أغنية ولحن، إنه فكر تطور، ثورة، فسيد درويش هو الذى جعلنى أستمع للغناء بحسى وعقلى بعد أن كنت أستمع بحسى فقط إنه فكرة العصر، التى لولاها لما لحن الملحنون بالأسلوب الذى يلحنون به الآن، ولا ننسى أنه أول من أدخل اللهجة المسرحية السليمة للأعمال المسرحية.

ويضيف عبدالوهاب: من فضل الشيخ سيد درويش على الألحان العربية أنه أدخل الأسلوب التعبيرى فى ألحانه، حتى فى الأدوار التقليدية الكلاسيكية التى لحنها، بالإضافة إلى أن له أفضالاً كثيرة على كل ألوان الغناء.

وقال نجيب الريحانى: إنه روح هائمة على وجه الأرض، إنه سيد درويش، فنان الشعب.

الارتقاء بالحوار العربى الأوروبى

حققت الدبلوماسية المصرية، وجامعة الدول العربية انجازا بارزا فى علاقاتهما الخارجية، عندما استطاعتا جذب دول الاتحاد الأوربى للعودة إلى حوار عربى أوربى شامل، يضم كل الدول العربية، وكل دول الاتحاد الأوربى فى محفل مشترك. وأكثر من ذلك أن يجرى هذا الحوار على مستوى القمة لأول مرة.

فقد استضافت شرم الشيخ، فى فبراير 2019، القمة العربية الأوربية الأولى على مستوى القمة. فجاءت كحلقة متممة لسلسلة لقاءات وحوارات عربية أوربية، أنهت تاريخ طويل من الصراع والعداء والعدوان، وحولته إلى علاقات للمصالحة والحوار والتعاون، والمشاركة، والجوار بين الجانبين. فحتى أوربا الموحدة التى جاء للحوار، إنما هى نتاج لقرون من العداء والحروب فيما بين دولها التى تتحدث بأكثر من عشرين لغة. ويحسدوننا لأن العرب يتحدثون لغة واحدة.

سفير جمال الدين البيومي

gbayoumi@hotmail.com

ووراء المجموعتين، العربية والأوروبية، يقف تاريخ طويل من الحروب والعداء والاحتلال، منذ الحروب الصليبية (1096 - 1291)، التى سعت للسيطرة على القدس والأراضى المقدسة، حتى معركة «نافارين» البحرية (المصرية التركية الأوروبية) فى أكتوبر 1827، وصولاً للعدوان الثلاثى على مصر عام 1956. غير أن انتصار مصر فى حرب أكتوبر 1973، وانتصار العرب فى حرب البترول المصاحبة لها، غيرا الحسابات والموازين. ففرضت دبلوماسية الحوار نفسها.

وبدأ «الحوار العربى الأوروبي» أولى خطواته، عندما دعت القمة العربية فى الجزائر سنة 1974، دول التجمع الأوروبى (الاتحاد الأوروبى حاليًا) للحوار، واستجابت دول أوروبا، فقام حوار عربي/أوروبى من خلال جامعة الدول العربية. أظهرت دول التجمع الأوروبى خلاله تفهماً أفضل للموقف العربى. وعبر الحوار عن إرادة سياسية مشتركة استهدفت قيام العلاقات على أسس الندية وتحقيق المصالح، بإعادة اكتشاف وتنمية الروابط التى تؤثر على الطرفين وتشمل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ومارس الطرفان أنشطة الحوار من خلال «لجنة عامة» تضم ممثلى كل من الدول أعضاء جامعة الدول العربية، وأعضاء المجموعة الأوروبية، بالإضافة إلى مقررى اللجان الفنية، وعددها سبع لجان تختص بالموضوعات الآتية:

1 - التجارة
2 - الصناعة
3 - الزراعة
4 - التعاون العلمى والتكنولوجي
5 - التعاون المالي
6 - التعاون الثقافى والعلمى والاجتماعي
7 - البنية الأساسية

وبهذا اقتصر الحوار السياسى والأمنى، على اجتماعات اللجنة العامة التى شهدت نقاشات ساخنة حول مشكلة الشرق الأوسط وحقوق الفلسطينيين. ورغم التقدم فى أنشطة الحوار الفنية، فقد بدأ يواجه صعوبات على الجانبين. بين طرف أوروبى لا يقدم أكثر من القاسم المشترك الأدنى لمواقف أعضائه من القضايا محل الاهتمام العربى. وطرف عربى يتبنى القاسم المشترك الأعظم لمواقف أعضائه.

وعندما بدأت مصر مسيرة السلام مع إسرائيل ارتكبت الدول العربية أكبر خطأ بتجميد عضويتها فى الجامعة العربية. مما أدى بالحوار إلى الجمود والتوقف، عندما أصر العرب على مواصلة الحوار دون مشاركة مصر ورفض الجانب الأوروبى لذلك. وكان الحوار قد بلغ الغاية التى استهدفها الأوروبيون، واستنفذ أغراضهم منه عندما تمكنوا من إعداد خطط لتوفير إمدادات البترول. وأقاموا حوارات تقسم العرب إلى دول الخليج، ودول المغرب، وعقدوا اتفاقات للتجارة والتعاون مع دول جنوب وشرق المتوسط، ضمت ثمانى دول عربية متوسطية (سوريا - لبنان - الأردن - مصر - السلطة الفلسطينية - تونس - الجزائر - المغرب).

الحوار العربى الأوروبى:

انقسمت علاقات العالم العربى بالاتحاد الأوروبى، إلى مجموعات حددتها الأولويات الأوروبية التى قسمت العالم العربى على النحو التالى:

أولاً: دول مجلس التعاون الخليجي:

وهى الدول العربية المنتجة للبترول وذات الفوائض المالية، ويضمها مجلس التعاون الخليجى (السعودية والكويت والإمارات وقطر والبحرين وعمان). وعقدت اتفاقاً للتعاون مع الاتحاد الأوروبى فى عام 1989. ويتفاوض الجانبان منذ مدة لعقد اتفاق جديد حول منطقة للتجارة الحرة. ويبدو أن الاتحاد الأوروبى فقد اهتمامه بعقد هذا الاتفاق حيث لا يعطيه مزايا إضافية، فى ضوء أن الرسوم والعوائق الجمركية فى دول الخليج تكاد تكون معدومة التأثير.

ثانياً: دول حوض المتوسط:

عقد الأوروبيون والدول العربية المتوسطية - لاحقاً - اتفاقيات منفصلة للتعاون الشامل ضمن إعلان برشلونة فى نوفمبر 1995 الذى شاركت فيه دول الاتحاد الأوروبى الخمس عشرة (وقتها) واثنتا عشرة دولة متوسطية (تركيا - قبرص - مالطا - سوريا - لبنان - الأردن - السلطة الفلسطينية - إسرائيل - مصر - تونس - الجزائر - المغرب). وعقدت فى إطارها اتفاقيات للمشاركة تنظم مختلف مجالات العلاقات، وتقيم مناطق للتجارة الحرة. وأعلن مؤتمر برشلونة عن ميلاد تجمع اقتصادى وسياسى أوروبى متوسطى، لتدعيم الأمن والاستقرار فى إقليم البحر المتوسط، بدعم جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وتغطى اتفاقيات المشاركة الأوروبية المتوسطية موضوعات من أهمها:

1 - الحوار السياسي

ويدور حول الموضوعات والقضايا الأمنية العالمية والإقليمية، وتأكيد قيام العلاقات على أسس المبادئ الديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان.

2 - حرية التجارة

إقامة مناطق للتجارة الحرة، وإلغاء كافة الرسوم والعوائق على مدى 12 سنة.

3 - حركة رؤوس الأموال

- يدعم الاتفاق تحرير انتقال رؤوس الأموال.
- ويتيح اتخاذ إجراءات تقييدية عند مواجهة مصاعب فى ميزان المدفوعات.
- ويدعو للانضمام لعدد من الاتفاقات

فى مجال حماية الملكية الفكرية.

•الاعتراف المتبادل بالمواصفات لتسهيل حركة التجارة.

4 - التعاون الاقتصادي

•دعم ومساندة التنمية فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية وما يتعلق بتحرير التجارة.

•التعاون فى مجالات الصناعة، والزراعة، والصيد، والاستثمار، والسياحة، والاتصالات، والجودة والمواصفات، وتطوير التعليم والتدريب، والمعلومات، والتعاون العلمى والتكنولوجى، ومكافحة المخدرات وغسيل الأموال.

5 - التعاون الاجتماعى والثقافي

•الحوار فى المسائل الاجتماعية، حول أوضاع العمالة والهجرة غير المشروعة والمعاملة المتساوية لمواطنى الجانبين. ومحاربة الجريمة المنظمة وتجارة المخدرات.

•تشجيع دور المرأة وتعليمها، وتنظيم الأسرة، وتطوير النظم الاجتماعية والصحية، ودعم حقوق الإنسان والديمقراطية، والعلاقات الاجتماعية المهنية.

•التعاون الثقافى لتشجيع الفهم المتبادل، والتبادل الشبابى وتشجيع الترجمة، وحماية الآثار، والتدريب، وإقامة المناسبات الثقافية.

ثالثاً: دول إفريقيا والكاريبى والهادى APC

تنتمى خمس دول عربية - هى السودان والصومال وجيبوتى وموريتانيا وجزر القمر إلى فئة الدول الأقل نمواً التى تضمها مجموعة اتفاقيات (لومي) التى عقدها الاتحاد الأوروبى، وتضم عدداً من الدول الإفريقية ودول الكاريبى والمحيط الهادى ACP. وتحصل هذه الدول على مساعدات فى شكل منح لا ترد. كما تحصل على مزايا تجارية تفضيلية دون مقابل.

رابعاً: اليمن:

ترتبط اليمن باتفاق متواضع للتعاون الاقتصادى والفنى مع المجموعة الأوروبية.

خامساً: العراق وليبيا:

ولم يضعهما الاتحاد الأوروبى ضمن أولوياته. وكانت ليبيا (القذافي) مترددة فى الاستجابة لدعوة الحوار والتعاون مع الأوروبيين.

وبالنسبة لتجربة مصر، يمكن القول إن المساعدات الأوروبية أسهمت فى تنمية قطاعات عديدة. وتعتبر مصر من بين أفضل البلدان التى تستخدم مساعدات التنمية. وقد أثبتت أن مساعدات التنمية تصب فى صالح كل من المانح والمتلقى. فإجمالى المساعدات الأوروبية المقدمة لمصر للفترة 1996/2013 بلغ معدلها السنوى 171 مليون دولار. فى حين حققت صادرات الاتحاد الأوروبى إلى مصر فى عام 2008 (مثلاً) ما يقرب من 19 مليار دولار. مما يعنى أن كل دولار من المساعدات الأوروبية اشترت مصر فى مقابله صادرات أوروبية بنحو 111 دولاراً. ويؤكد ذلك على أن مساعدات التنمية هى أفضل استثمار للعلاقات يوجهه الاتحاد الأوروبى إلى الجنوب.

وكانت القمة العربية فى بيروت عام 2002، قد كلفت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، بالعمل على تنشيط العلاقات العربية الأوروبية فى مختلف المجالات. بما يمكن أن يكون بداية لتنشيط الحوار، وتبادل اعتماد السفراء بين المنظمتين، وتبادل المعلومات، وبرامج التدريب.

لكن الرد الأوروبى على المبادرة العربية (وقتها) جاء بيروقراطياً وغير مشجع. وأكدت لى الراحلة «أنا ليندة» (وزيرة خارجية السويد التى اغتالها إرهابى من بلدها)، أن هناك دولاً أوروبية تقاوم مثل هذا التوجه بحجة غيبة إسرائيل عنه. ثم نجح الجانبان أخيراً فى العودة إلى صيغة الحوار الكلى. بل وترقيته ليعقد لأول مرة على مستوى القمة. أسوة بحوارات أوروبا مع إفريقيا وأمريكا اللاتينية وغيرها.

ومع تقديرنا لاختيار مصر مقراً لانعقاد أول محافل القمة العربية الأوروبية، فإن هذا لا يدهشنا، حيث سبق اختيار القاهرة لانعقاد أول قمة إفريقية أوروبية فى سنة 2000 والتى جمعت 68 رئيس دولة. وبالمثل فإن الرئيس الأمريكى «باراك أوباما» عندما أراد أن يخاطب 1400 مليون مسلم اختار منصة جامعة القاهرة.

المتوسطية وقضايا المستقبل

تحكم مستقبل العلاقات العربية الأوروبية قضايا أساسية، تتطلب الحوار الجاد لمواصلة العلاقات وتنميتها، وإتاحة مجال للدول العربية للحركة والمشاركة فى القيادة واتخاذ القرارات. ونلخص ذلك فى القضايا السبع التالية:

القضية الأولى:
الحوار السياسى والديمقراطية وحقوق الإنسان:

يتصدر العلاقات الحوار السياسى حول جهود السلام والأمن والاستقرار والديمقراطية وحقوق الإنسان الأساسية، والتنمية الإقليمية. ويتطلب ذلك:

- أن تتعرف الدول العربية على دوائر الوفاق التى يمكن أن تربطها بمواقف مشتركة مع أوروبا.
- إسهام الجانب الأوروبى فى حل النزاعات الإقليمية، وعدم الاكتفاء بدور مكمل للدور الأمريكى.
- التخلى عن فرض أى من الأطراف لثقافته على الآخر. وعن تبنى معايير مزدوجة كاستنكار الأوروبيين لتعدد الزوجات، فى حين لا يمانعون فى الجمع بين زوجة وصديقة. بل ويطالبون باحترام زواج المثل، أو المطالبة بإلغاء عقوبة الإعدام، التى مازالت مطبقة فى كثير من الدول.

القضية الثانية: حق الانتقال والهجرة غير المشروعة

تمثل الهجرة غير المشروعة هاجساً مهماً لأوروبا. فهناك بلدان بحجم ألمانيا أو فرنسا تضم بين سكانها نسبة 10٪ من الأجانب والمهاجرين. والمقدر أن دولا أوروبية عديدة تزداد حاجتها إلى سكان جدد بأعداد كبيرة لموازنة الهرم السكانى غير المتناسق عمرياً، نتيجة تراجع معدلات المواليد عن معدلات الوفيات. إلا أن هناك خشية من أن تشكل الهجرة تهديداً للاستقرار إذا تمت بصورة غير منظمة وغير قانونية. وتثير التحليلات الأوروبية ما يلى:

1 - مع تلاشى الحدود الأوروبية، صارت الهجرة مشكلة عامة، وليست مسألة وطنية أو قُطرية.

2 - يثير تنامى الهجرة مشاعر مناهضة للمهاجرين لدى الجماعات اليمينية، التى بدأت فى تحقيق نجاحات فى الانتخابات.

3 - والجانب الخطير والمقلق للعرب، هو أن انضمام دول من شرق أوروبا إلى الاتحاد الأوروبى - لها تاريخ طويل فى تهجير مواطنيها إلى الأراضى الفلسطينية المحتلة - يجعلها تطالب الاتحاد الأوروبى، أن ينظر فى حركة الهجرة من بلدان أعضائه الجدد إلى الأراضى الفلسطينية، والتى تشكل ضغوطاً على فلسطين والدول العربية فى الجنوب.

4 - فهجرة اليهود من دول أوروبا إلى فلسطين المحتلة، تعنى هجرة غير شرعية أيضاً. لأنها تتجه إلى أراض محتلة. وكل مواطن أوروبى ينزح إلى الأراضى الفلسطينية يهدد بطرد فلسطينى من بلده.

5 - يتسم الموقف الأوروبى من التوسع فى بناء المستوطنات الإسرائيلية بالتذبذب والضعف. وتراجع التصويت الأوروبى حول هذا الأمر الخطير، ليصوت أحياناً بالامتناع بعد أن كان يعتبر هذه المستوطنات غير مشروعة وتضر بعملية السلام.

6 - يتعين التفرقة بين مكافحة مشاكل الهجرة غير المشروعة وأسبابها، وبين حق انتقال الأفراد فى إطار تحرير التجارة وحركة الاستثمار والخدمات. حيث تؤدى القيود الأوروبية على حق الانتقال المشروع إلى التأثير سلباً على نتائج تحرير التجارة. فالقيود على حق الانتقال تحد من نتائج تحرير التجارة، وتعتبر من قبيل القيود غير الجمركية، المعوقة لتحرير التجارة.

القضية الثالثة:
التهديدات الأمنية، والإرهاب:

هناك خشية من تهديدات الإرهاب على جانبى المتوسط. بينما عكست

بعض عمليات العنف فى الشرق الأوسط حالة يأس من أولئك الذين لم تتح لهم أية وسيلة للوصول إلى العدالة. وهو موقف يوفر دعوة مفتوحة للعنف، طالما أن هناك من لا يرضخ للعدالة والشرعية الدولية. ويتعين إدراك أن الفقر لا يصنع الإرهاب ولكن الإرهاب يستغل الفقراء ويستفيد من الظلم. وتوفر التنمية الاقتصادية والاجتماعية أفضل وسيلة لمكافحته.

وتثير المعايير الأوروبية (والغربية) المزدوجة للتعامل مع قضية انتشار أسلحة الدمار الشامل والصواريخ بعيدة المدى، شعوراً بين بلدان الشرق الأوسط بغيبة العدالة. إذ بإمكان دولة واحدة على الأقل فى جنوب المتوسط امتلاك مثل تلك الأسلحة، ولديها صواريخ يمكن أن تحمل رؤوساً نووية يصل مداها لأراضى دول فى الاتحاد الأوروبى. وهو أمر لا يثير قلق الأوروبيين بقدر قلقهم من سعى أية دولة أخرى نحو الاستخدام السلمى للطاقة النووية.

القضية الرابعة:
التعاون الإقليمى وسياسة الجوار

يعتبر التعاون الإقليمى وسيلة لتحقيق السلام. وهناك تجاوب أوروبى لتوجهات دول جنوب المتوسط العربية لإقامة تجمع إقليمى جنوب/ جنوب، مثل تجمع دول إعلان أغادير الذى يجمع كلاً من الأردن وتونس ومصر والمغرب.

وليس من المتصور قيام تعاون إقليمى يضم إسرائيل دون أن يشكل جزءاً من عملية السلام ذاتها. بمعنى أن قيام تعاون إقليمى خارج إطار عملية السلام، يضم إسرائيل، دون حصول الشعب الفلسطينى على حقوقه، سيكون مصيره الفشل وإضاعة الوقت.

يضاف إلى ذلك سياسة الجوار الأوروبية الجديدة التى توسع من نطاق التعاون الإقليمى ليشمل شركاء الاتحاد الأوروبى فى الشرق. لكن مصممى هذه السياسات أغفلوا أن منطقة جنوب المتوسط لديها ــ أيضاً ــ جيران أجدر بالتعاون والاندماج. فمصر - مثلاً ووفقاً للطرح الحالى - تستطيع المشاركة فى تعاون إقليمى يشملها مع أوكرانيا وإسرائيل. ولا يسمح بتعاون يضم مصر مع كل من السودان أو السعودية. وهذه مفارقة يصعب تسويقها بسهولة.

القضية الخامسة:
النظرة إلى العرب والمسلمين:

يسجل التاريخ حقيقة أن العداء لم يقم يوماً بين الإسلام والمسيحية كديانتين، وإنما حدث صراع بين الشمال والجنوب على المصالح والطرق والثروات، استخدم فيه الصليب أو الهلال، فقط، لتعبئة أنصار الطرفين. بل إن كثيراً من كتابات المستشرقين الأوروبيين أسهمت فى التعريف بالإسلام وأضافت الكثير إلى دراساته الجادة. حتى أن أول معجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم هو من وضع ألمانى (كتاب «نجوم الفرقان فى أطراف القرآن» للمستشرق الألمانى فلوجل فى عام 1842).

ومع ذلك فقد صار بعض ما يكتب عن العرب والإسلام فى أوروبا يتسم بالتحيز والمعاداة دون أساس موضوعى. وهناك من يدافع عن كتابها تحت شعارات حرية الرأى. ويتطلب الأمر تشجيع الحوار الصريح والجاد لعلاقة أوروبا مع الإسلام والمسلمين والعرب. وفى مقدرة الجانبين تصحيح هذا الخطأ، فى ضوء أنهما يتشاركان فى قيم ومثل بل وعقائد عديدة.

القضية السادسة:
التوسع الأوروبى بين الأورومتوسطية، وسياسة الجوار:

بدأ الاتحاد الأوروبى - من مايو 2004 - مرحلة توسع جديدة بسياسة خارجية مشتركة. وقد تلازم توسع الاتحاد الأوروبى، مع الإعلان عن «سياسة الجوار» مع جيرانه الجدد. وهو ما يتطلب مد الجسور بين الدول الرئيسية فى أوروبا، وبين بلدان العالم العربى، للمساهمة فى مبادرات إقليمية وعالمية لدعم التنمية وسيادة القانون، بما يوفر للدول المتوسطة والصغيرة حمايه حقوقها. والأهم تفعيل اتفاقيات المشاركة، لما توفره من فرص لقيام تكتل اقتصادى متقدم، ولما تضيفه من قوة تفاوضية للمجموعة العربية الأوروبية فى المفاوضات التجارية الدولية متعددة الأطراف فى إطار منظمة التجارة العالمية. وهناك حاجة لطمأنة كل الأطراف إلى عدم وجود منافسة ضارة أو مفاضلة بين التوجه الأوروبى نحو الشرق المكمل للاتحاد الأوروبى، ونحو الجنوب المتعاون والمتفاعل معه.

القضية السابعة:
الحوار العربى الأوروبى فى الإطار الإقليمى:

أصبح شكل ومضمون علاقات التعاون العربى/ الأوروبى يختلف حالياً عما كان عليه الحال وقت عملية الحوار العربى الأوروبى فى عقد السبعينيات. وصارت العلاقات تنظم وفق معايير وتقسيمات وضعها الاتحاد الأوروبى، ولا تعبّر بالضرورة عن أولويات الجانب العربى.

ومن هنا ظهرت الحاجة للاتفاق بين الدول العربية والاتحاد الأوروبى على الرجوع للحوار بينهما بطريقة مؤسسية فى إطار شامل يضم «كل» الدول العربية و«كل» دول الاتحاد الأوروبى، وهو ما نجحا فيه مؤخراً. ولم يعد متصوراً ألا يكون للاتحاد الأوروبى والدول العربية حوار يجمعها. ويتعين مع التطور الجديد قيام مؤسسات لإدارة الحوار ــ بجانب القمة ــ على المستوى الوزارى والمستويات الفنية المختلفة.

خاتمة:

تتطلب العلاقات العربية الأوروبية، مواصلة تحسين نتائجها المحققة، خاصة بالنسبة للدول العربية، وأيضاً لتحديد أبعاد هذه العلاقات وتوجهاتها فى المستقبل، مع الأخذ فى الاعتبار ما يلى:

1 - الحاجة للإحاطة بمفردات وآليات التعاون القائمة والاتفاق على مسارات جديدة لتطوير العلاقات. مع تجنب خلق عزلة بين عرب المتوسط وعرب الخليج وعرب المغاربية.. إلخ .. وغيرهم.

2 - أهمية تحديد مسارات تعمق العلاقات وتفتح مجالات جديدة تضيف مزايا إضافية فى مسائل الاستثمار ونقل التكنولوجيا والتعليم وفتح أبواب التجارة والنفاذ إلى الأسواق.

3 - التأكد من أن المبادرات الجديدة لمحاربة الهجرة غير المشروعة، لن تستخدم لإنقاص حقوق مواطنى دول الجنوب المقيمين فى أوروبا. فهناك ملايين العرب (ونحو مليون مصري) يقيمون بصورة مشروعة فى الاتحاد الأوروبى، ولا يعاملون وفقاً للمعاملة الوطنية.

4 - حققت مسيرة برشلونة لأغلب الدول العربية المتوسطية نجاحاً طيباً فى شقيها التجارى والتنموى. فتضاعفت قيمة مساعدات التنمية، كما زادت الصادرات. وبالنسبة لمصر ـ كمثال - فقد زادت الصادرات بنحو أربعة أضعاف ما كانت عليه فى عام 2002 .

لكن لم يتحقق نفس القدر من النجاح فى الإطارين السياسى والاجتماعى. فالاتحاد الأوروبى لا يتخذ مواقف حاسمة تساند الحل العادل للصراع العربى الإسرائيلى. ولم ينجح فى تحسين النظرة إلى المسلمين والعرب. وبغض النظر عن الاعتداءات، فى أوروبا، على التقاليد والعقائد والرموز الإسلامية تحت دعاوى حرية الرأى.

وفى نفس الوقت يلقى بتهمة العداء للسامية ضد من ينتقد إسرائيل. وعلى العكس من ذلك نجح العرب إلى حد كبير فى تحسين صورة أوروبا فى المنطقة العربية.

5 - والمهم أن نوفر لعلاقات المستقبل ضمانات - من المصداقية والشفافية والجدية - ما يؤكد أن المبادرات الجديدة سوف تضيف إلى المصلحة العربية الأوروبية، ولن تخصم من أرصدة الأوضاع الراهنة.

إشكاليات تعيين الحدود البحرية وتهديدات الملاحة الدولية

أثارت اكتشافات الغاز فى منطقة شرق المتوسط خلال السنوات القليلة الماضية سلسلة من التساؤلات القانونية والسياسية، بل واحتمالات الصراع والتنافس، خاصة وأن المسح الجيولوجى لهذه المنطقة كشف عن مخزونات هائلة تتجاوز تقديراتها 120 تريليون قدم مكعبة من الغاز، مما ينبيء بعلاقات دولية جديدة تحكمها التحالفات وربما الأطماع والمناورات.

سفير د. عزت سعد

عضو مجلس إدارة الجمعية المصرية للقانون الدولى

saad.ezzat@gmail.com

وبمقدار ما أحدثته تلك الاكتشافات من موجات تفاؤل عارمة لدى شعوب دول المنطقة، اتسم سلوك بعض دولها، خاصة تركيا وبدرجة ما إسرائيل، بالتوتر والتخبط وعدم الاستعداد للدخول فى توافقات منصفة وعادلة مع جوارها. فقد اتسم السلوك التركى - ولايزال - باستفزاز دول المنطقة لاسيما فى ضوء عدم قدرة أنقرة على تحقيق مخططها كممر أساسى للغاز لأوروبا، سواء من روسيا أو من شرق المتوسط. وربما تتجه تركيا إلى التصعيد لأجل الحصول على مكاسب تعويضية، وذلك على مستويين: الأول هو الضغط على قبرص بهدف إثارة التوترات حول المشروعات الجديدة للحصول على مكتسبات جديدة تتجاوز مياهها الاقتصادية، أما المستوى الثانى فيتمثل فى التحرش العسكرى بسفن الشركات العاملة فى المنطقة للمساومة فى الحصول على دور فى مشروعات إمداد الغاز، سواء من خلال إسرائيل أو اليونان.

ومما لا شك فيه أن الإعلان، فى 14 يناير 2019، عن إنشاء منتدى للتعاون فى قضايا غاز المتوسط، فى أعقاب مؤتمر بالقاهرة شاركت فيه دول سبع هى: مصر واليونان وقبرص وإسرائيل وفلسطين وإيطاليا والأردن، يمثل تطوراً إيجابياً فى اتجاه اعتبار مصر مركزاً للطاقة فى الإقليم، بعد اختيار القاهرة مقراً لأمانة المنتدى الجديد.

ومن حسن الطالع أن الاكتشافات الجديدة تقع ضمن ما يعرف بالمنطقة الاقتصادية الخالصة التى تناولتها اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982، وهى الاتفاقية الدولية العامة التى تحكم كل ما يتعلق بالبحار فى القانون الدولى المعاصر. وكان قد بدأ الحديث عن المنطقة الاقتصادية الخالصة كمنطقة جديدة من مناطق البحر، فى منتصف القرن الماضى باعتبارها منطقة واسعة من البحر لا تمارس الدولة الساحلية السيادة عليها سوى فى المجال الاقتصادى فقط، أى فى مجال استثمار الثروات الحية وغير الحية المعدنية والبترولية، على أن تظل المنطقة فى غير هذا المجال جزءاً من أعالى البحار والتى تحكمها قواعد خاصة نصت عليها الاتفاقية. وكان قد ثار خلاف كبير بين الدول البحرية الكبرى والدول النامية فى هذا الشأن. فقد تمسكت الأولى باعتبار المنطقة الاقتصادية الخالصة جزءاً من أعالى البحار، وذلك خلال نهاية أعمال الدورة الحادية عشرة من مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار فى إبريل 1982. وقد نجحت الدول النامية فى النهاية فى تمرير الجزء الحادى عشر من الاتفاقية من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، ودخول الاتفاقية حيز النفاذ فى 16 نوفمبر 1994، وهو الجزء الخاص بمنطقة « التراث المشترك للإنسانية».

ووفقاً لنص المادة (55) من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، تعرف المنطقة الاقتصادية الخالصة بأنها «المنطقة الواقعة وراء البحر الإقليمى للدولة وملاصقة له، ويحكمها النظام القانونى المقرر فى الاتفاقية، والذى تخضع بموجبه حقوق الدولة الساحلية وولايتها، وحقوق الدول الأخرى بموجبه وحرياتها لأحكام تلك الاتفاقية». وتحدد المادة (56) من الاتفاقية سلطات واختصاصات الدول فى المنطقة الاقتصادية الخالصة بالنص على أن «للدولة الساحلية حقوق سيادية بغرض استكشاف واستغلال الموارد الطبيعية الحية منها وغير الحية للمياه التى تعلو قاع البحر، ولقاع البحر، وباطنية أرضه، وحفظ هذه الموارد، وإدارتها» وكذلك بالنسبة للأنشطة الأخرى للاستكشاف والاستغلال الاقتصاديين للمنطقة كإنتاج الطاقة من المياه والتيارات والرياح. كما تضيف المادة (56) حقوقاً أخرى مثل إقامة الجزر الاصطناعية، والمنشآت، والتركيبات، والبحث العلمى والبحرى وحماية البيئة البحرية والحفاظ عليها، على أن تولى الدول الساحلية، فى ممارستها لحقوقها هذه وأدائها لواجباتها، بموجب هذه الاتفاقية، المراعاة الواجبة لحقوق الدول الأخرى، والمنصوص عليها فى المواد أرقام (58) و(88) و(115) من الاتفاقية.

ولقد حددت المادة (57) من الاتفاقية نطاق المنطقة الاقتصادية الخالصة، بأنها «لا تمتد إلى أكثر من 200 ميل بحرى من خطوط الأساس التى يقاس منها عرض البحر الإقليمى. وبمعنى آخر فإن امتداد المنطقة لا يزيد عن المائتى ميل بحرى، وبالتالى تتوقف المنطقة الاقتصادية الخالصة للدولة الساحلية عن حدود ذلك الحد الأقصى، ومن المنطقى فى هذا السياق أن يكون للاعتبارات الجغرافية، لا سيما ما يرتبط منها بمد اتساع البحر، تأثيرها على تحديد امتداد المنطقة الاقتصادية الخالصة. وتشير المادة (74) من الاتفاقية إلى أن «تحديد حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة بين الدول ذات السواحل المتقابلة

اشكاليات تعيين الحدود البحرية وتهديدات الملاحة الدولية

أو المتلاحقة عن طريق الاتفاق على أساس القانون الدولى، طبقاً لنص المادة 38 من النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية، من أجل التوصل إلى حل منصف».

ومن المنطقى القول بأن هناك أسباباً متنوعة تدفع الدول الساحلية إلى تعيين حدودها البحرية، على رأسها رغبتها فى تحديد سيادتها على مناطقها وامتداداتها البحرية، والتى قد تسبب صراعاً مع الدول المجاورة. فقد زادت مساحة المياه التى تمتد إليها سيادة الدولة الساحلية، لاسيما بعد أن أقرت الاتفاقية الحد الأقصى لمساحة المنطقة الاقتصادية الخالصة بمائتى ميل بحرى من خط الأساس، فضلاً عن تنظيم الأحكام الخاصة بالجرف القارى، والذى قد يمتد لثلاثمائة وخمسين ميلاً بحرياً من ذلك الخط، وهو ما أدى جميعه إلى تعارض الأنشطة التى اعتادت الدول القيام بها كالصيد وغيره، مما يولد النزاعات بين الدول ذات الحدود البحرية المتقابلة أو المتلاصقة.

ويضاف إلى ذلك رغبة الدولة الساحلية فى تنظيم ومباشرة أنشطتها المختلفة على امتداداتها البحرية وتحقيق أقصى استفادة منها، خاصة وأن هذه المناطق تحوى الكثير من الموارد والثروات المعدنية التى تؤثر فيها أعمال التنقيب والاستغلال بما يستوجب تحديد الحدود بينها حتى لا تتداخل ادعاءات الدول فى شأنها.

وقد شرعت عدة دول مقابلة لمصر على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وعلى وجه التحديد قبرص وتركيا واليونان، فى الدخول فى مفاوضات مع مصر؛ بغية تعيين الحدود البحرية فى المنطقة الاقتصادية الخالصة، سيما وأن اتساع البحر المتوسط لا يسمح بحصول كل من مصر وهذه الدول المقابلة لها على الشاطئ الآخر من البحر على الحد الأقصى الذى حددته اتفاقية قانون البحار للمنطقة الاقتصادية الخالصة وهو مائتى ميل بحرى.

وقد ترتب على هذه المفاوضات نجاح مصر وقبرص فى التوقيع على اتفاقية لتعيين حدود المنطقة الاقتصادية بينهما فى السابع عشر من فبراير 2003، على حين لم تنتهِ المفاوضات بين مصر وكل من تركيا واليونان فى هذا الشأن إلى اتفاقات نظرًا لاختلافات فنية وقانونية وسياسية حالت دون الوصول إلى مثل هذه الاتفاقات حتى الآن.

والواقع أن الاتفاقية المصرية - القبرصية فى شأن حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة بينهما جاءت مستندة بشكل كامل على نصوص وأحكام اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، والتى وقعت وصدقت عليها الدولتان. حيث اعتبرتها الدولتان بمثابة المرجعية الفنية والقانونية لاتفاقيتهما المشتركة، والتى حددت كل منهما نقاط الأساس الخاصة بها استنادًا إليها، فحددت مصر، تنفيذًا لأحكام اتفاقية الأمم المتحدة، ثلاثًا وخمسين نقطة أساس تم إيداعها لدى الأمين العام للأمم المتحدة عام 1991، كما حددت قبرص سبعًا وخمسين نقطة أساس تم إيداعها لدى الأمين العام للأمم المتحدة عام 1996، وقد أودعت كل من الدولتين نقاط أساسها هذه مدعومة بالخرائط البحرية ذات الصلة، ولم يعترض على أى من هذه أو تلك أية دولة من دول العالم الأعضاء فى المنظمة الدولية.

وبناءً على هذا فقد تبلورت الاتفاقية المصرية القبرصية فى خط مكون من ثمانى نقاط، يبدأ بالنقطة رقم (1) غربًا مقابلًا للسواحل التركية، وينتهى بالنقطة رقم (8) شرقًا إلى جوار سواحل غزة وإسرائيل. وقد تضمنت الاتفاقية إشارة أوردتها الفقرة الخامسة من المادة الأولى تقضى بإرجاء البت فى النقطتين (1) و(8) لحين التوصل إلى اتفاق مع الجانب الشرقى، أى فلسطين (قطاع غزة) وإسرائيل، والجانب الغربى، أى تركيا، بشأن ترسيم الحدود البحرية معهما، على أن تكون النقطتان المذكورتان نقطتين حدوديتين ثلاثيتين حال توقيع اتفاق ترسيم للحدود البحرية مع الدول المقابلة أو المجاورة، فتؤخذ النقطة رقم (8) من اتفاقية ترسيم الحدود المصرية القبرصية فى الاعتبار كنقطة بداية لترسيم الحدود البحرية بين مصر وتركيا، وتؤخذ النقطة رقم (1) منها فى الاعتبار كنقطة بداية لترسيم الحدود البحرية بين مصر وكل من فلسطين وإسرائيل.

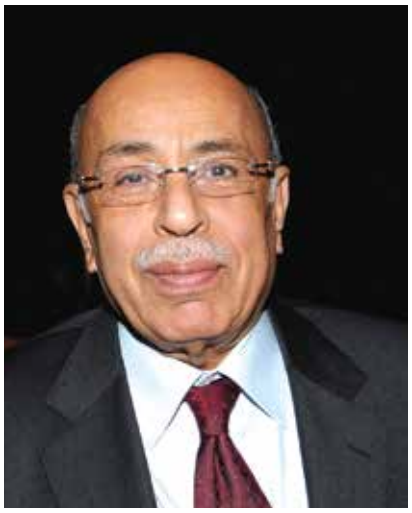

الدكتور مفيد شهاب

وكانت مصر قد وقعت اتفاقية تعيين حدودها البحرية مع المملكة العربية السعودية فى القاهرة فى 8 إبريل 2016، وتم التصديق عليها فى أغسطس 2017.

ومعلوم أنه فيما يتعلق بتركيا فقد أسقطت رؤيتها للحدود البحرية فى البحر المتوسط على خريطة تظهر فيها قبرص مقسمة إلى جزئين، الجزء الشمالى المسمى فيها بقبرص التركية، والجزء الجنوبى المسمى بقبرص اليونانية. وتضمنت الخريطة المقترح التركى لتعيين الحدود البحرية بين تركيا ودول حوض البحر المتوسط المجاورة والمقابلة لها ومن بينها مصر.

وبناءً على ذلك المقترح شرعت كل من تركيا و«الجمهورية القبرصية الشمالية التركية» (تركيا هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تعترف بهذه الجمهورية) فى التوقيع على اتفاقية تعيين حدود بحرية بينهما فى سبتمبر 2012، وفيها أقرت تركيا لقبرص الجنوبية اليونانية اثنى عشر ميلًا بحريًا فقط كمياه إقليمية فى مواجهة الساحل الغربى لقبرص معتبرة إياها مجرد جزيرة وليست دولة.

ومن هذا المنطلق نظرت تركيا فى مقترحها هذا إلى حدودها البحرية مع مصر باعتبار خط الطول الذى تنتهى عنده الحدود التركية مع «قبرص الشمالية التركية» هو بداية التعيين مع مصر.

وهنا فإنه يتعين الإشارة إلى أن وجهة النظر التركية هذه، والتى تعتبر قبرص جزيرة وليست دولة، وبالتالى لا يحق لها سوى الحصول على بحر إقليمى فحسب

المستشار عمر مروان

(12 ميلاً بحرياً)، مع تجاهل أحقيتها كدولة عضو بالأمم المتحدة فى ترسيم حدودها البحرية مع الدول المجاورة والمقابلة لها استنادًا إلى اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار والتى هى طرف من أطرافها. إضافة إلى عدم انضمام تركيا إلى اتفاقية قانون البحار، وعدم إيداعها لنقاط أساسها لدى الأمين العام للأمم المتحدة حتى تبدى أى من الدول المجاورة أو المقابلة اعتراضها عليها إن كان له مقتضى.

فى السياق عاليه، عقدت الجمعية المصرية للقانون الدولى مؤتمرها السنوى فى 22 ديسمبر الماضى بمقر الجمعية، تحت شعار «إشكاليات تعيين الحدود البحرية وتهديدات الملاحة الدولية»، حيث افتتح أعماله الأستاذ الدكتور مفيد شهاب رئيس الجمعية والسيد المستشار/ عمر مروان وزير الشئون القانونية وشئون مجلس النواب نائباً عن الدكتور مصطفى مدبولى رئيس مجلس الوزراء الذى عقد المؤتمر بدعمه ورعايته.

وفى كلمته الافتتاحية، عرض د. شهاب لأهمية الموضوع والأسباب وراء اختياره شعاراً للمؤتمر السنوى للجمعية، خاصة فى ضوء تصاعد النزاعات الدولية حول تعيين وترسيم الحدود البحرية بين الدول، وتهديدات حرية الملاحة الدولية، لاسيما المرور فى الممرات والمضايق البحرية.

ومن جانبه تناول المستشار عمر مروان فى كلمته أهمية قضايا البحار لمصر بحكم موقعها الجغرافى وإطلالتها على مساحات بحرية كبيرة فى البحرين الأبيض المتوسط والأحمر، والتى تزخر بكميات كبيرة من الثروات الحية وغير الحية مؤكداً أن مصر حريصة على التعاون لدعم حرية الملاحة الدولية فى البحار التى تطل عليها وفى البحار والمحيطات كافة وفق أحكام قانون البحار، مع حرصها الشديد فى الوقت ذاته على عدم السماح بالإخلال بأى من حقوقها أو مصالحها فى البحار. وقد أكد حرص مصر الشديد على ضمان حرية الملاحة فى مضيق باب المندب وإبعاده عن دائرة الصراعات السياسية الدولية باعتباره المدخل الجنوبى لقناة السويس التى أنشأتها مصر ودعمتها بقناة موازية جديدة لخدمة التجارة والملاحة الدولية وضمان مرور كافة السفن بحرية ودون عوائق.

وعقب افتتاح المؤتمر بدأت أعمال الجلسة الأولى وعنوانها «تهديدات الملاحة البحرية وجهود المجتمع الدولى لحمايتها» وتضمن المحور الأول «أهمية الملاحة البحرية وضرورتها» أما المحور الثانى، فقد تناول التهديدات الحالية للملاحة البحرية وجهود المجتمع الدولى لحمايتها».

وجاءت أعمال الجلسة الثانية تحت عنوان «طرق تعيين الحدود البحرية وأهميتها» متضمنة محاور ثلاثة:

- المحور الأول: تناول أهمية تعيين الحدود البحرية دراسة قانونية تفصيلية للاتفاقية المصرية القبرصية لتعيين الحدود البحرية.
- أما المحور الثانى: فقد تناول آليات ترسيم الحدود البحرية طبقاً لقواعد اتفاقية عام 1982م .
- أما المحور الثالث: فقد عرض جغرافية مصر البحرية.

وعقب ذلك جاءت أعمال الجلسة الثالثة بعنوان «طرق تأمين الملاحة البحرية فى ظل التهديدات الحالية» وتضمنت محورين المحور الأول «المحكمة الدولية لقانون البحار»، والمحور الثانى «جوانب من التهديدات البحرية للمضايق».

وفى الختام أكد المؤتمر أهمية الموضوعات التى تناولتها جلساته الثلاث، وانتهى إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، لعل أبرزها:

1 - التأكيد على أن ضمان وسلامة الملاحة البحرية فى المضايق الملاحية يعد التزاماً قانونياً ملزماً لكافة الدول، ويلزم الأمم المتحدة بالقيام بدورها إزاء ذلك.

2 - أهمية التأكيد على الصفة الإلزامية لاتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982م للكافة، سواء الدول الأطراف بالاتفاقية وغير الأطراف.

3 - تعيين مصر حدودها البحرية مع قبرص جاء من واقع التزامها واحترامها لالتزام تعيين الحدود البحرية الأمر الذى مكنها من عمليات البحث والتنقيب عن الثروات الطبيعية فى المنطقة الاقتصادية الخالصة لمصر.

4 - مصر وقبرص واليونان أطراف فى اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار عام 1982م بينما كل من تركيا وإسرائيل ليست من الدول الأطراف فيها.

5 - إسهام مصر بإيجابية فى كل ما من شأنه قيام أو تفعيل نظام قانون دولى للبحار: عادل وحاسم وتلتزم كافة الدول بتنفيذه، إشارة لدورها فى نشأة وتطوير قواعد قانون البحار أوائل القرن العشرين وبصفة خاصة مؤتمر الأمم المتحدة الثالث.

6 - التأكيد على حتمية حل المنازعات التى تنشأ بينها وبين غيرها من الدول، أو فيما بين الآخرين حول نزاعات البحار، سواء بشأن حرية الملاحة أو ترسيم الحدود البحرية أو استغلال الثروات أو غيرها، عن طريق التسوية الودية كما جاء فى القسم الخاص بذلك فى اتفاقية عام 1982م، وفى ضوء مبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

7 - أهمية العمل الجاد من قبل مصر مع جيرانها فى البحرين الأبيض والأحمر، وكذا مع باقى الدول البحرية فى كل ما من شأنه حماية حرية الملاحة الدولية والتعاون فى استغلال ثروات أعالى البحار «الحية وغير الحية» ومكافحة عمليات القرصنة ومحاربة التلوث احتراماً للاتفاقيات المختلفة فى هذا الشأن والتزاماتها.

أهم التوصيات:

1 - أهمية التوسع فى التعاون الإستراتيجى بين مصر واليونان وقبرص فى كافة المجالات.

2 - أهمية الإسراع فى إنهاء تعيين الحدود البحرية بين مصر واليونان على غرار تعيين الحدود البحرية مع قبرص.

3 - أهمية التأكيد على إنشاء كيان مؤسسى إقليمى يضم الدول المشاطئة للبحر الأحمر للعمل على تأمين وسلامة وحماية الملاحة البحرية فيه.

أنابيب الغاز الطبيعى

بين المصالح الاقتصادية والهيمنة السياسية

يشـــهد العالم مع بداية الألفية الثالثة بدءاً من عام 2000 «حرب الغـــاز العالمية» وقد بدأت مع بدايات نضوب احتياطيات النفط فى عدة مناطق من العالم. بالإضافة إلى تزايد الاعتماد العالمى على الغاز الطبيعى كأحد أهم مصادر الطاقة النظيفة.

ومع بداية الاكتشـــافات البترولية فى الشرق الأوســـط أصبح البترول والغاز من أدوات صنع السياســـة الخارجية بســـبب زيادة اعتمـــاد دول العالم علـــى الطاقة، ومن ثم زيادة أهميـــة خطوط نقل الوقود ما جعلها تمثل شـــرايين حيـــاة للأنظمة الحاكمة ووسائل ضغط ومقاومة لتحقيق أهداف السياســـة الخارجيـــة لتلك الدول، ثم تحولهـــا إلى زيادة نفوذ الدولة والنظام الحاكم على المستويين الإقليمى والعالمى، وبالتالى أصبح من المنطقى تحول خطوط نقل البترول والغاز إلى أهداف رئيسية لأية قوى ترغب فى الضغط على حاكم معين أو إسقاط نظم حكم فى مناطق معينة.

أنابيب الطاقة Gaz Pipe lines:

وأنابيب الطاقة، أو شـــرايين الطاقة الجديدة كما يســـميها البعض، إن هى إلا أنابيب الغاز العابر للقارات، وقد بدأت هذه الشرايين بالانتشار شرقاً فى هضاب آسيا الشمالية والوسطى وسهولها. كما وصلت خلال السنوات الأخيرة إلى أمريكا اللاتينية وبينما تتصارع الدول المنتجة على امتداد أوراسيا Eurasia، كما يبرز صراع من نوع آخر للتحكم بهذه السلعة الإستراتيجية، من خلال نقاط ارتكاز مرور شرايين وأعصاب الطاقة الجديدة والمتجددة عبر أراضيها.

ولقد أصبح الغاز الطبيعى المسال خلال الســـنوات الأخيرة أحد أهم مصادر الطاقة النظيفة المطلوبة فى معظم أنحاء العالم.

احتياطى الغاز واستهلاكه عالمياً:

الغاز الطبيعى هـــو أحد أهم مصادر الطاقـــة البديلـــة عن البتـــرول، وهو من المحروقات ذات الكفـــاءة العالية القليلة الكلفة وقليلة الانبعاثـــات الملوثة للبيئة، ويعتبر من موارد الطاقة المهمة للصناعات الكيماويـــة، ويقدر الاحتياطـــى العالمى حالياً بحوالى 200 تريليون م3، كما يقدر الاستهلاك الســـنوى حوالى 3.5 تريليون م3، أى أن كميات الغاز المتوافرة فى العالم

سفير د .عادل السالوسي

dr.adelelsaloussy@hotmail.com

يمكنها تغطية ما تبقى من القرن الحادى والعشرين.

وتصنف الاحتياطيات العالمية كالآتى: روسيا الاتحادية 50 تريليون م3، تليها إيران 35 تريليـــون م3، قطـــر 30 تريليون م3، تركمانســـتان 25 تريليون م3، ثم الولايات المتحدة، والســـعودية، والإمارات، وفنزويلا، ونيجيريا، والجزائر، والعراق، ثم الصين.

وتعتبر الولايات المتحدة أكبر مستهلك فى العالم تليها روســـيا والاتحاد الأوروبى وإيران والصين واليابان والسعودية وكندا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا والهند.

صراع الأنابيب بين شركات الإنتاج ودول العبور:

ومع مطلع الألفية الثالثة، وضعت الدول الخطط لتحديد أنابيب الغاز، فقامت روسيا بتنفيذ بعـــض الأنابيب لتعزيز موقعها فى سوق الطاقة الأوروبى، كما قام الأوروبيون والأمريكيون بدعم بعض خطوط الأنابيب كخيار إستراتيجى للحد من هيمنة الروس على سوق الطاقة الأوروبى والعالمى. فضلاً عن المشاريع لخطوط نقل الغاز التى تبنتها الصين والهند وباكستان فى إطار مقاربات تختلط حســـاباتها الاقتصادية باعتباراتها السياسية والإستراتيجية بعيدة المدى.

الأنابيب الروسية:

باشرت روســـيا بناء عدد من أنابيب الغاز إلى شمال أوروبا وجنوبها، وأيضاً إلى منطقة البلقان وتركيا، وأبرز هذه الخطوط خطا «السيل الشمالي» و«السيل الجنوبي» اللذان يتجهان إلى أوروبا عبر بحر البلطيق والبحر الأسود. الخط الأول يتجه عبر بحر البلطيق نحو ألمانيا مباشرة بطول 1224 كم. ويتشـــكل من أنبوبين طاقة كل منهما 27.5 مليار م3 سنوياً، وبواسطته ستتمكن روسيا من نقل غازها إلى كل من الدانمارك وهولندا وبلجيكا وبريطانيا وفرنسا وبولندا وتشيكيا، وســـيوزع الغاز على 26 مليون منزل فى أوروبا.

أما السيل الجنوبى (south stream)، فقد انطلق فى 2007 مناصفة بين شركتى إينى الإيطالية وغاز بروم الروســـية لنقل الغاز الروسى إلى جنوب أوروبا ووسطها عبر البحر الأســـود وبلغاريا، ويبلغ طوله 900 كيلـــو متر وتبلغ طاقته 63 مليار م3 سنوياً، وهو المشـــروع الروسى المنافس لخط «نابوكو».

خط نابوكو والخطوط التركية:

خط نابوكو هـــو مبـــادرة أوروبية مدعومة من الولايات المتحـــدة الأمريكية تهدف لكســـر الهيمنة الروسية على سوق الغاز فى أوروبا، بدأت عـــام 2002، من خـــلال أنبوب لنقل الغاز مـــن منابعه فى آسيا الوســـطى والقوقاز باتجاه الأسواق الأوروبيـــة. بعيداً عن الأراضى الروســـية وخلال أزمة الغاز التى نشـــبت بين روسيا وأوكرانيا شـــتاء عام 2006، والتى أحدثت ضجـــة إعلامية وسياســـية فـــى أوروبا، شاع على نحو واسع اســـتخدام مصطلح الاســـتخدام السياســـى للغاز، وأن روسيا لديها ســـلاح فعال للضغـــط على الغرب، وبالتالى لابد من تقليص الاعتماد الأوروبى على الوقود الأزرق الروسى.

وعلـــى خلفيـــة ذلك التطـــور، تبنت المفوضية الأوروبية مشـــروع نقل الغاز من آسيا الوسطى والقوقاز إلى أوروبا عبر تركيا، من خلال خـــط أنابيب عرف بخط

«نابوكو»، ويقضى مشروع «نابوكو» بمد خط أنابيب ينطلق من ثلاث دول فى آسيا الوسطى، هى كازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان، ثم يمتد غرباً فى قاع بحر قزوين حتى أذربيجان ومنها إلى جورجيا ثم تركيا، ويواصل الخط بعد ذلك مساره إلى بلغاريا ورومانيا والمجر والنمسا حيث محطات التجميع والتوزيع.

وقد وقع فى يونيو 2011 اتفاقية عبور خط «نابوكو» بين الدول الأربع وتركيا كما أعلنت كل من مصر والعراق عزمها المشاركة فى المشروع، فيما أعلنت إيران أيضاً رغبتها الانضمام إلى المشروع، وقد أعلن المسئولون عن «نابوكو» أن بناء الخط سوف يبدأ فى 2013 وأول شحنة غاز سوف تكون فى 2018، وأن الطاقة الكلية سوف تصل إلى 31 مليار م3 سنوياً، وهى الأكبر بين ثلاثة خطوط من المقرر أن تصدر الغاز الطبيعى من آسيا الوسطى والقوقاز، وربما الشرق الأوسط إلى الأسواق الأوروبية عبر تركيا.

لماذا الصراع على الغاز الطبيعى؟

فى يناير 1997 وافقت الدول الصناعية الكبرى فى كيوتو باليابان على اتفاقية خفض الانبعاث الكلى للغازات الدفيئة فى الغلاف الجوى عن مستوى يحول دون إلحاق ضرر بالنظام المناخى العالمى. واتجهت الدول الكبرى إلى الاعتماد بقوة على الطاقة المتولدة من الغاز بدلاً من النفط، ولكن الولايات المتحدة وعلى عكس أوروبا رفضت التوقيع على الاتفاقية، بل سعت لمنع أوروبا من تقييم وارداتها من الغاز باليورو بدلاً من الدولار.

ويرى بعض الباحثين أنه منذ تلك اللحظة بدأت «الحرب المقدسة» من أجل الغاز.

فيما بدأت الثورات الملونة تجتاح بعض بلدان أوروبا عام 2004 (جورجيا - أوكرانيا) بينما اجتاحت روسيا أبخازيا لاحتكار تصدير الغاز إلى أوروبا وذلك عبر خطوط أنابيب أوكرانيا وبيلاروسيا وفى الجانب الآخر سعت الولايات المتحدة إلى جلب الغاز من تركمانستان وآسيا الوسطى إلى أوروبا عبر مشروع خط أنابيب «نابوكو».

فالولايات المتحدة ترمى من مشروع «نابوكو» الطموح إلى استخراج الغاز من رابع أكبر احتياطى فى العالم (تركمانستان) وتصديره مباشرة إلى أوروبا عبر بحر قزوين من دون المرور عبر روسيا، وهى إستراتيجية حيوية لحلف الأطلسى يريد بها تحرير الجمهوريات السوفيتية السابقة وأوروبا من النفوذ الروسى.

الرد الروسى على مشروع نابوكو:

ردت روسيا على مشروع نابوكو بإستراتيجية ذات مسارات متعددة من أجل محاولة إيقاف هذا المشروع، فبدأت بإثارة نقاش حول الصفة القانونية لبحر قزوين، فالقانون الدولى يفرق بين البحيرة والبحر فيما يخص الحقوق والالتزامات الناشئة للدول المطلة عليه، فإذا كان السطح المائى بحراً، كانت الدول المحيطة به تتقاسم ثرواته حسب طول شاطئ كل منها. أما إذا كان الحوض بحيرة فإن الدول المحيطة به تتقاسمه وثرواته بالتساوى، وعلى هذا الأساس تبنت روسيا تعريف حوض بحر قزوين على أنه بحيرة تتجدد مياهها بواسطة نهر الفولغا الروسى، والقانون الدولى يمنحها حق الاستفادة بالتساوى مع باقى الدول المحيطة بالحوض. وهكذا إلى أن يتم الاعتراف بقزوين كبحر لا يحق لتركمانستان أو أذربيجان أو غيرها إنشاء حقول نفط أو غاز على الساحل القزوينى من دون موافقة الروس، كذلك اتجهت روسيا نحو احتكار عقود بيع وشراء الغاز فى آسيا الوسطى، وتحديداً من جميع الدول التى ستمد خط نابوكو بالغاز تركمانستان وأوزبكستان.

الهدف من نابوكو:

ما الهدف من نابوكو؟ وما جدوى إنشاء هذا الخط لنقل الغاز الذى جففت روسيا كل مصادره، ولا تتوافر له حتى الجغرافيا ليمر فيها.

ويرى بعض المحللين بأن الولايات المتحدة اعتمدت وحلفاءها إستراتيجية هجومية للرد على كل العراقيل الهادفة لإنجاح المشروع، فمضوا قدماً فى مشروع بناء خط الأنابيب أولاً ثم البحث عن الغاز ثانياً، وذلك عملاً بالقول الأمريكى المأثور «لقد اتخذت قرارى فلا تشوش علىّ بالحقائق والوقائع». كما أن الإصرار على المشروع يمثل ضغطاً إستراتيجياً دائماً على روسيا، ما يدفعها إلى تلبية حاجات أوروبا من الغاز، كذلك بررت مطامح تركيا التى ستستفيد من تحولها إلى عقدة ونقطة ارتكاز خط أنابيب الغاز. فضلاً أن نابوكو سيعود عليها بعائد سنوى كبير وسيساعدها فى المفاوضات الجارية مع أوروبا بهدف الانضمام إلى الاتحاد الأوروبى، ومن هنا يمكن فهم أبعاد الموقف التركى من الأحداث الجارية فى المنطقة من تونس إلى ليبيا ومصر وسوريا وحتى غاز شرق المتوسط، وإذا ما علمنا أن نابوكو عبارة عن اتحاد بين شركات ألمانية ونمساوية وبلغارية وتركية ورومانية بدعم أمريكى.

نابوكو بين الاقتصاد والسياسة فى الشرق الأوسط:

يرى بعض الاقتصاديين الإستراتيجيين أن عدم توافر الغاز الآسيوى لخط نابوكو سيتم تعويضه بالغاز المتوسطى، حيث تدل المعلومات المتوافرة على أن حوض المتوسط هو الأغنى فى العالم بالغاز، وأن سوريا ستكون الدولة الأغنى بمواردها، وعقده طرق الأنابيب القادمة من الشرق، وكذلك الأمر بالنسبة لخط الأنابيب الإيرانى والقطرى عبر العراق وسوريا فلبنان، والصراع الدائر فى المنطقة سببه الرئيسى رفض بعض دول الإقليم وبخاصة سوريا

وإيـــران الانصيـــاع لإرادة بعـــض الدول الأوروبية والولايات المتحـــدة وتركيا فى إنجاز هذا الملف.

لقد بات واضحاً أن الإمساك بزمام موارد الغاز الطبيعى وأنابيبـــه وممراته، أصبح جزءا أصيلاً من معايير القوة الجيوسياسية فى عالـــم اليوم، من جهة أخرى تكشـــف آليات الصراع الدولـــى الحالى أن النظام العالمى الجديد يتشكل وفق ضرورة ترتكز على منظومات القوة الاقتصادية والهيمنة العســـكرية والنفوذ السياسى وكلها تقوم على حجر أساســـى هو الطاقة بشكل عام والغاز الطبيعى بشـــكل خاص. كما تدل الوقائـــع التى تشـــهدها المنطقة، على أن هذا الإقليم سيشكل لسنوات قادمة مسرحاً للصراع والتجاذب الجيوسياسى العالمى، وأن دول المنطقة تدور فى حلقة من العنف والاهتزازات وبخاصة تلك التى تحتوى على إمكانات هائلة من الغاز.

ومـــن هنـــا يمكـــن إدراك معنـــى التركيز الغربـــى على ســـوريا بموقعها الجيواســـتراتيجى المهـــم علـــى البحر المتوســـط وثرواتها الواعدة، فهى مفتاح آســـيا من خلال الخط الذى يمتد من إيران عبر العراق وســـوريا إلـــى البحر ولبنان (طريق الحرير الجديد)، وربما هنا ســـبب الخلاف ومربط النزاع والتداخلات الدولية الغربية، والاشتباك الإقليمى من الخليج إلى تركيا، وحتى روسيا أيضاً التى تعتبر سوريا «بوابة موســـكو» كما قالـــت الإمبراطورة الروسية كاترين الثانية العظمى وبطرس الأكبـــر، ففوق أرضها وفـــى بحرها وبين سلطتها هذا المفتاح.

أصل تسمية نابوكو:

تســـمية نابوكو تم اســـتلهامها من مقطوعة موســـيقية أوروبية تدعى أوبرا نابوكو للموسيقى الإيطالى جوزيب فيردى منتصف القرن التاســـع عشـــر، وتستلهم نابوكو قيمـــة التمســـك بالتعاليم الدينية والاســـتعداد للموت من أجلها، انطلاقاً من إحدى القصص الـــواردة فى العهد القديم والتى تحكى جزءاً مـــن تاريخ اليهود أيام الســـبى البابلى على عهـــد نبوخذ نصر العراقـــى (605 - 562 ق.م) الـــذى قام بسبى اليهود إلى بابل عام 586 ق.م، ودمر معبد سليمان فى القدس وأجبر اليهود على عبـــادة آلهة بابل. وهـــذه المقطوعة ترمز إلى التحرر من العبوديـــة والخضوع وتم اعتمادها كتسمية لمشروع الأنابيب إشارة إلى الرغبة فى التحرر من الوصاية الروسية فى مجال الغاز.

غاز شرق المتوسط بين صراع الموارد والنفوذ:

إن المســـألة تتخطى ترسيم الحدود البحرية والمناطـــق الاقتصادية الخالصة EEZ وترتبط بقدرة كل دولة فى الدفاع عن سيادتها وحقوقها ومصالحها خلال حقب الانهيار أو التفكك أو التبعية، فما سمعناه خـــلال الفترة الأخيرة يؤكـــد هذه المقولة من الأحداث المتعلقة باســـتخراج وملكية الغـــاز الطبيعى فى منطقة شـــرق البحر الأبيض المتوســـط، وتداعياته على علاقات دول المنطقـــة والحـــدود البحرية بينها خاصة بعد اتفاقيـــة الأمم المتحدة لقانون البحار عـــام 1982 والحديث عن المناطق الاقتصادية الخالصة التى تمتد لمســـافة 200 ميل بحرى مقاســـة من بداية قياس البحر الإقليمى للدولة الشـــاطئية، فهناك الخلاف على الحـــدود البحرية بين لبنان وإسرائيل، ورفض تركيا لقيام قبرص بأية عمليات تنقيب طالما أن أزمة انقسامها ما زالت قائمة، وتفرع ذلك إلى رفض اتفاقية ترسيم الحدود البحرية المصرية القبرصية الموقعة عـــام 2013، بالإضافة إلى تداخل الحدود البحرية لكل من مصر وإســـرائيل وقبرص ولبنان وتركيا واليونان فى محاولة لكل منها للفوز بالثروة الجديدة فى حوض شرق المتوسط مما لا يســـتبعد أن يكون هنـــاك تداخل لصراع النفـــوذ بين القوى الإقليمية والكبرى بســـبب التجاذب حول الطاقة، وما يمكن أن يهدد باتخاذ النزاعات فى حالة نشـــوبها أبعاداً أكثر خطورة فى المستقبل.

واليوم وفى موازاة اكتشـــافات الغاز والبترول الصخرى، مع بدايات اســـتنفاد موارد البتـــرول الخام، وبداية التركيز على الغاز الطبيعى، الأمر الذى جعل روسيا وهى الأولى فى إنتاج واحتياطى الغاز الطبيعى فى العالم أن تتنبه إلى تطور اكتشـــافات حوض غاز المشـــرق الذى ســـوف يهدد هيمنتها على السوق الأوروبية، ويمكن أن يحرر الاتحاد الأوروبى من التبعية لروسيا فى مجال طاقة الغاز الطبيعى.

ومن الواضح أنه ومن خلال القواعد العسكرية الروسية البحرية والجوية على الساحل السورى فى طرطوس واللاذقية على البحر المتوسط تنسج روسيا سياسة تعتمد على البقاء لاعباً أساسياً فى الشرق الأوسط لفترة طويلة، وتعتبر أن نفوذها المكتسب يمنع المنتجين فى حوض شرق المتوســـط من المس بمصالح موســـكو على المـــدى البعيد. الأمر الذى يفســـر الحروب بالوكالة على الأرض الســـورية التى لها جوانب تتصل بالســـيطرة على موارد الطاقة وطـــرق النقل، وإن كانت معنية أساساً بتغيير وجه الإقليم بمجمله وإعادة تركيبه.

كما وأن هـــذه المنطقة من العالم فى شـــرق المتوســـط والخليج تعتبر البوابة الرئيســـية لاحتياطيـــات النفـــط والغاز الطبيعـــى، ومع مـــرور الوقت ســـتترك الاكتشافات الحديثة آثارها على التوازنات العامة فى المشهد الجيوبوليتيكى.

أضواء على القمة العربية الأوروبية

كانت رحلة طويلة اســـتغرقت نحو 75 عاماً ما بين بدء الحوار العربى الأوروبى على المستوى الفنى فى عام 1975 فى القاهرة وانعقاد القمة العربية الأولى بين الاتحاد الأوروبى (28 دولة) وجامعة الدول العربية (22 دولة موقوفاً منها سوريا حالياً) فى شرم الشيخ فى مصر يومى 24 ــ 25 فبراير 2019.

وكان الحوار العربى الأوروبى قد توقف منذ توقيع مصر اتفاقية السلام مع إسرائيل عام 1979 ورفض الدول العربية - وقتئذ - لهذه الاتفاقية إلى أن قبلت جميع الدول العربية بعد ذلك بعملية السلام مع إسرائيل انطلاقاً من مبدأ الأرض مقابل السلام والتى تمثلت فى المبادرة العربية التى اعتمدتها القمة العربية فى مارس 2002.

وكان لانعقـــاد القمـــة الأولى برعاية الاتحاد الأوروبى وجامعـــة الدول العربية ووضع شـــعارى المجموعتين الإقليميتين جنباً إلـــى جنب فى المؤتمـــر وعلى كافة المســـتندات الصادرة عنه له دلالة مهمة وهى أن الدول الأوروبية أقرت بالتعامل مع جامعة الدول العربية بعد أن كان وربما لا يزال لبعض هذه الدول تحفظات معينة على الجامعة نظراً لأنها تضم فى عضويتها عدداً من الدول العربية التى لم تعترف بإسرائيل رســـمياً وربما واقعياً بالنسبة للبعض وقد يكون مما ساعد على التقارب بين الجامعة والاتحاد قيام حالة من التعامل الواقعى بين دول خليجية عربيـــة وبعض دول المغرب العربى مع إسرائيل وتبادل زيارات بعض كبار المسئولين من العرب والإسرائيليين إن سراً أو علناً فى بعض الأحيان.

وقد اتفق علـــى عقد القمة العربية - الأوروبية الأولى فـــى مصر لعدة اعتبارات منهـــا أن مصر هى المقـــر الدائم لجامعة الدول العربية، ومن ثم فإن انعقاد القمة فى القاهرة أو شرم الشيخ أو أية مدينة مصرية أخرى هى من دولة المقر، كما أن مصر لها علاقات جيدة مع كل الدول الأوروبية ولها علاقات مع إســـرائيل ومن ثم فهى مؤهلة لأن ترأس القمة الأولى مشاركة مع رئاسة الاتحاد الأوروبى على مدى ثلاث ســـنوات، أى ربمـــا تعقد القمة الثانية كما تم الاتفاق عليه فى عام 2022 فى بروكسل، ومن ثم فإن العمل المشترك بين الاتحاد الأوروبى وجامعة الدول العربية سيكون مدعوماً من مصر بما لديها من خبرات وقبول عام لدى الطرفين.

إن انعقـــاد القمة العربيـــة الأوروبية

سفير رخـا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

الأولى يأتى فى ظل أوضاع صعبة تمر بها كل من الدول الأوروبية والدول العربية، وقد اتضح عملياً مدى التفاعل والتأثير المتبادل للأزمات والصعوبات فى كل من المنطقتين على الأخرى والحاجة الملحة إلى جســـر الخلافات وتفعيل التعاون المشترك بينهما من أجل المصالح المتبادلة وتحقيق الأمن والاستقرار.

الأوضاع العربية:

تعيـــش الدول العربيـــة حالياً مرحلة صعبـــة مليئـــة بالصراعـــات والأزمات والخلافات ســـواء الظاهر منها أو المستتر ومنها:

- الأزمات الناشبة بالصراع المسلح فى ســـوريا وليبيـــا واليمـــن والأوضاع المضطربة فى العراق والسودان والجزائر وتونس والصومال ودخـــول قوى إقليمية ودولية متعددة ولأغراض متنوعة فى هذه الأزمات، وعدم وجود حالة من الاتفاق التام بين الـــدول العربية علـــى كيفية مواجهة وتســـوية هذه الأزمات. فإذا كانت الدول العربية تتفق بصفة عامة على تسوية هذه الأزمات بالطرق السلمية وهو ما تعبر عنه كل البيانات التى تصدر عقب الاجتماعات الثنائية أو الجماعيـــة العربية إلا أنه توجد خلافـــات كبيرة حول ســـبل التوصل إلى تسويات سلمية.
- اختلاف وتفاوت فى المواقف بين الدول العربية على تحديد من هو الذى يمثل خطراً كبيراً على أمن واســـتقرار وسلامة هذه الدول، هل هى إسرائيل بكل ما تمثله من اختلاف فى الأهداف التوسعية والرغبة فى السيطرة مع اختلافات ثقافية كبيرة أم هى إيران وما تســـعى إليه من تمدد وسط نفوذها فى المنطقة رغـــم ما يجمعها مع الدول العربية من مصالح مشتركة وعوامل ثقافية وديموغرافية وجغرافية خاصة مع الخليج العربى، اختلاف أحدث انقســـاماً متعـــدد الجوانب وأثر ســـلبياً على العمل العربى المشترك.
- رغم اتفاق الدول العربية على مدى خطورة الإرهاب على أمنها واســـتقرارها وبالتالى عمليات التنمية الشـــاملة فيها إلا أنه لا يوجد اتفاق عـــام بينها على تعريف وتحديـــد المنظمات الإرهابيـــة والأعمال الإرهابيـــة وتبـــادل المعلومات وكشـــف الجهـــات التى تمول وتســـلح وتســـاعد المنظمات الإرهابية من وراء الســـتار، كما أن ثمة إشـــكالية أخرى وهى أن ما تعتبره بعض الدول منظمات إرهابية يشـــارك فى الحياة السياسية والبرلمانية فى دول أخرى بل وفى حكوماتها.
- التفاوت الكبير بين الدول العربية بالنســـبة لموضوعات اللاجئين والهجرة والهجرة غير النظامية وذلك على ضوء أن بعض الدول العربية - خاصة دول مجلس التعاون الخليجى - لديها ضوابط قانونية وأمنية محكمة بشـــأن دخول الأجانب إلى أراضيها ولا تعد مصدراً أو معبراً للهجرة أو اللاجئين على العكس من دول عربية أخرى تعانى من كثافة سكانية عالية وتعد مصدراً أو معبراً للهجرة واللاجئين.

أمـــا دول الأزمـــات العربية ســـوريا وليبيـــا واليمن والعراق والســـودان فهى مصدر للاجئين والهجرة بكل أنواعها. وقد استطاعت مصر منذ عام 2016 أن تحكم السيطرة على منع الهجرة غير النظامية من أو عبر أراضيها.
- تفاوت متطلبات ومجالات التجارة والاســـتثمار بين الـــدول العربية والدول الأوروبية. فإذا كانت الدول العربية المصدرة للبترول والغاز لديهـــا فائض من الأموال

مؤتمر القمة العربية الأوروبية بشرم الشيخ

أضواء على القمة العربية الأوروبية

فإنها بدأت منذ بضع سنوات التخطيط لاقتصادياتها لما بعد الاعتماد على سلعة رئيسية واحدة هى البترول وهو سلعة غير متجددة، ومن ثم فهى تطلب التكنولوجيا والأدوات الصناعية الحديثة، بينما دول أخرى تحتاج إلى قروض واستثمارات مع توفر الموارد البشرية لديها.

الأوضاع الأوروبية:

تمر الدول الأوروبية بمرحلة صعبة لم تعشها منذ انتهاء الحرب الباردة وتؤثر عليها جميعاً بل وتمثل تحدياً كبيراً لحلم الوحدة الأوروبية وتحقيق المواطنة الواحدة إن لم يكن التغلب على الحدود الثقافية والقومية التى تفصل بين كثير من الدول الأوروبية بل وتمثل مصدراً للانقسام فى بعض الدول الأوروبية وأهم التحديات التى تواجهها:

- نمو وتزايد التيارات اليمينية الشعبوية ذات النزعات القومية فى عدة دول أوروبية وإعلانها صراحة عن رفض الآخر بل ومطالبة بعضها بالخروج من الاتحاد الأوروبى والتركيز على المصالح القومية وعدم المشاركة فى تحمل أعباء الآخرين. وقد حصلت بعض هذه القوى على نسب تمثيل برلمانى فى بعض الدول الأوروبية لها تأثير على ما يتخذ فيها من قرارات، كما أن هذه الاتجاهات تتماهى مع الإسلاموفوبيا ورفض اللاجئين والهجرة بكل أنواعها.
- تزايد الخلافات بين دول الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة الأمريكية فى عهد الرئيس الأمريكى ترامب الذى يرفع شعار أمريكا أولاً ويطالب الأوروبيين بزيادة مساهماتهم فى ميزانية حلف الأطلنطى «الناتو» وأن عليهم أن يتحملوا نفقات الدفاع عن أنفسهم، واتخاذه عدة قرارات اقتصادية وعسكرية وسياسية دون التنسيق مع الشركاء الأوروبيين، وهو ما أدى إلى إعادة أوروبا إحياء فكرة إنشاء جيش خاص بها للدفاع عن نفسها بالتوازى مع حلف الناتو وهو ما زاد من حدة الاحتقان بين أوروبا وأمريكا.
- قرار بريطانيا الخروج من الاتحاد الأوروبى وما أثاره من حالة ارتباك وانقسام شديدين داخل بريطانيا سواء بين الحكومة وأعضائها، أو بينها والمعارضة، والتأرجح بين عدة احتمالات خوفاً من أن تؤدى ترتيبات الخروج التى توصلت إليها الحكومة البريطانية مع الاتحاد الأوروبى إلى انقسام فعلى فى بريطانيا خاصة إيرلندا الشمالية، وهو الاتفاق الذى رفضه البرلمان البريطانى.

ويخشى الاتحاد الأوروبى أن يتم خروج سهل لبريطانيا يكون بداية لخروج دول أخرى بما يؤثر سلبياً على ماضى ومستقبل الاتحاد، لذا يضع شروطاً وقواعد صارمة ومكلفة لخروج بريطانيا وما له من آثار مالية واقتصادية سلبية على الاتحاد.

- التأثيرات العملية الكبيرة للأزمات العربية «خاصة فى سوريا وليبيا» على دول الاتحاد الأوروبى من حيث تدفق اللاجئين والهجرة غير النظامية بأعداد كبيرة سواء هرباً من مناطق القتال أو القادمين من دول أخرى متجهين إلى الدول الأوروبية، ورفض بعضها لاستقبالهم أو حتى الالتزام بقرار الاتحاد الأوروبى بتوزيع حصص من المهاجرين على الدول الأعضاء.

كما أن مشكلة اللاجئين والمهاجرين أثرت على الانتخابات فى ألمانيا ولم يحصل حزب المستشارة ميركل على أغلبية نسبية كافية لمجرد إبداء ميركل تعاطفاً مع اللاجئين وقولها إن ألمانيا فى حاجة إلى قوى عاملة شابة، كما أثرت نفس المشكلة على الإسراع بإجراء الاستفتاء ونتائجه فى بريطانيا للخروج من الاتحاد الأوروبى ولو بنسبة بسيطة رغم الأضرار الكبيرة التى لحقت ببريطانيا حتى الآن وسعيها إلى تنشيط الكومنولث البريطانى وعلاقاتها مع الدول العربية.

- إدراك الدول الأوروبية أن روسيا تعود إلى الشرق الأوسط بقوة من خلال نقطتى ارتكاز لها فى سوريا وإيران، والتوسع فى علاقاتها مع مصر، والعمل على أن يكون لها دور فى الأزمتين اليمنية والليبية، وأن روسيا وإيران من المنتظر أن يكون لهما دور كبير فى عملية إعادة الإعمار فى سوريا وغيرها من الدول العربية التى دمرتها وخربتها الأزمات، وأن هذا يتطلب البدء مبكراً فى توثيق العلاقات مع الدول العربية، وتفعيل قنوات التواصل والتشاور حول الحلول السلمية لهذه الأزمات، وكيفية التعاون فى عملية إعادة الإعمار وإعادة اللاجئين والنازحين الراغبين فى العودة.

- وقد سبق القمة بأيام قليلة عقد مؤتمر تشاورى فى إيرلندا على مستوى وزراء الخارجية لبعض الدول العربية والأوروبية لبحث آخر تطورات عملية السلام فى الشرق الأوسط وخاصة القضية الفلسطينية وقد حضره وزراء خارجية كل من مصر والأردن والسلطة الفلسطينية وفرنسا وإيرلندا وبلغاريا والسويد، وسكرتير عام وزارة الخارجية الأسبانية، وقد اتفقوا على أنه لا حل دائم لتحقيق السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط إلا عبر التوصل إلى سلام دائم بين الفلسطينيين والإسرائيليين واستعادة كافة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وفقاً للمرجعيات الدولية، ودعم وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «أونروا» لتمكينها من أداء المهام المنوطة بها.

وقد تضمن البيان الختامى للقمة العربية هذا الموقف وأكد على حل الدولتين على أساس إقامة دولة فلسطينية على حدود 4 يونيو 1967 وعاصمتها القدس الشرقية،

وهذا بمثابة رد واضح عن ما تسرب مما يسمى صفقة القرن الأمريكية والتى تركز على الحلول الاقتصادية والاجتماعية، بحيث يقام كيان فلسطينى بسلطان أوسع قليلاً من الحكم الذاتى وأقل كثيراً من دولة، وترك مشكلات المستوطنات والقدس واللاجئين الفلسطينيين والحدود بين إسرائيل والكيان الفلسطينى المزمع.

والحقيقة أن القمة العربية الأوروبية تبنى على علاقات أوروبية عربية فى كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية والتكنولوجية والعلمية عبر سنوات طويلة، سواء على المستويات الثنائية، أو اتفاقات المشاركة مع الاتحاد الأوروبى، ومن ثم تأتى القمة تتويجاً لهذه العلاقات ورغبة من الجانبين فى إرساء انطلاقة للتعاون الجماعى بين المجموعتين العربية والأوروبية فى مواجهة التحديات التى سبق عرضها لكل مجموعة على حدة ولكليهما معاً فى ظل متغيرات إقليمية ودولية متسارعة تمس مصالح وأمن واستقرار الطرفين.

وقد شهدت القمة حضوراً أوروبياً متميزاً حيث شارك فيها 24 رئيساً ورئيس وزراء أوروبى من إجمالى 28 دولة أوروبية مشاركة، كما كانت المشاركة العربية من دول عربية رئيسية فعالة رغم الظروف التى تمر بها عدة دول عربية. واتسمت مناقشات الجلسات المغلقة بالمصارحة والوضوح خاصة فى القضايا موضع الاختلاف بهدف توسيع نطاق الأرضية المشتركة من أجل تحقيق المصالح المتبادلة بين المجموعتين العربية والأوروبية.

وقد صدر عن القمة بيان ختامى تضمن أهم الموضوعات التالية:

1 - إن القمة بداية عصر جديد من التعاون والتنسيق بين الدول العربية والاتحاد الأوروبى من شأنه تعزيز الاستقرار والرفاهية فى المنطقتين.

2 - دعم السلام والاستقرار والازدهار وضمان الأمن وتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية، والاهتمام بالنساء والشباب.

3 - تفعيل التعاون الأوروبى العربى الإفريقى لمواجهة التحديات المشتركة مثل الهجرة، وحماية ودعم اللاجئين، واحترام حقوق الإنسان، وإدانة كافة أشكال التحريض على الكراهية للأجانب، وتعزيز مكافحة الهجرة غير النظامية، واستئصال الاتجار بالبشر، ودعم التعامل مع التغيرات المناخية.

4 - التعاون الاقتصادى والاستثمار والتنمية المستدامة، والتجارة والطاقة وأمن الطاقة والتكنولوجيا ومصائد الأسماك والزراعة لزيادة الثروة وخفض البطالة.

5 - التوصل لتسويات سياسية للأزمات الإقليمية وفقاً للقانون الدولى، والقانون الإنسانى الدولى، وتأكيد المواقف المشتركة من عملية السلام فى الشرق الأوسط بشأن وضع القدس وعدم شرعية المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة وفقاً للقانون الدولى، والالتزام بالتوصل لحل الدولتين وفقاً لكافة قرارات الأمم المتحدة لإنهاء الاحتلال الذى بدأ عام 1967 والذى يشمل القدس الشرقية، والتوصل إلى سلام شامل من خلال مفاوضات مباشرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين تتناول جميع قضايا الحل النهائى.

6 - التأكيد على استمرار الدور الذى تقوم به وكالة الأونروا وضرورة دعمها بكل الوسائل.

7 - مناقشات حول التطورات الأخيرة فى سوريا وليبيا واليمن، وسبل إحراز تقدم حول المصالحة والتوصل لتسويات سياسية مستدامة بموجب قرارات الأمم المتحدة، والتأكيد على ضرورة الحفاظ على وحدة وسيادة وسلامة أراضى واستقلال هذه الدول.

8 - تناول التهديدات للسلم والأمن الدولى والإقليمى بما فى ذلك الإرهاب والتطرف والأعمال التى تقوض الاستقرار، والانتشار والاتجار فى الأسلحة غير المشروعة والجريمة المنظمة، وهى جميعاً تتطلب جهوداً منسقة وفقاً للقانون الدولى بما فى ذلك القانون الدولى لحقوق الإنسان، والاتفاق على أن ثمة ترابط بين السلام والأمن وحقوق الإنسان والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتعاون والتنسيق لمكافحة انتقال الإرهابيين والمقاتلين الأجانب عبر حدود المجموعتين العربية والأوروبية، ومواجهة كل أشكال الدعم للإرهابيين مالياً وسياسياً ولوجستياً وعسكرياً.

9 - الاهتمام بمنظومة منع انتشار الأسلحة النووية، وأهمية إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل ووسائل إيصالها.

10 - مكافحة عدم التسامح الثقافى والدينى والتطرف، وتجنب القوالب السياسية السلبية والتمييز المؤدى إلى التحريض على العنف ضد الأفراد وفقاً لديانتهم أو معتقداتهم، وإدانة أى ترويج للكراهية الدينية ضد الأفراد بكل الوسائل.

11 - توجيه كل المؤسسات بالتعاون مع الجهات الوطنية المعنية لتحديد السبل والآليات اللازمة لتفعيل التعاون المشترك فى جميع المجالات، أخذاً فى الاعتبار آليات التعاون القائمة بما فى ذلك اتفاقات المشاركة بين الدول العربية والاتحاد الأوروبى.

وقد كان اجتماع قادة وممثلى 49 دولة فى مدينة شرم الشيخ للمشاركة فى القمة العربية الأوروبية الأولى، فرصة متميزة للعديد من اللقاءات الثنائية بين عدة زعماء ومسئولين لبحث الموضوعات التى تهمهم على المستويات الثنائية والإقليمية والدولية، وهى بدورها فيها إثراء للتفاهم والتواصل وتخدم سواء مباشرة أو بطريق غير مباشر العمل الجماعى.

وتم الاتفاق على عقد القمة الأوروبية العربية كل ثلاث سنوات بالتناوب بينهما على أن تعقد القمة القادمة فى بروكسل عام 2022.

لذا فمن المتوقع أن ترتب جامعة الدول العربية ومصر مع الاتحاد الأوروبى لقاءات فرعية سواء نصف سنوية أو سنوية على مستويات متدرجة ما بين خبراء ووزراء خارجية وغيرهم من كلا الطرفين لمتابعة تطورات ما تم التوافق بشأنه كما ورد بالبيان الختامى، وتحقيق مزيد من التقارب بشأن الموضوعات المختلف عليها، خاصة وأن المرحلة القادمة ستكون حافلة بمتغيرات عديدة سواء فى مسيرة الحلول السلمية للأزمات العربية، ومتطلبات إعادة الإعمار وإعادة المهاجرين والنازحين، وكذلك بشأن تطورات السياسة الأمريكية على ضوء ما ستسفر عنه الانتخابات الأمريكية القادمة ومدى إمكانية استمرار الرئيس ترامب وسياساته من عدمه، وحسم موضوع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبى أو بقائها، ومسيرة السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين وكلها قضايا تحتاج إلى متابعة مستمرة.

هل تقود مصر الفضاء الإفريقى من الهيمنة الى الاستقلال؟

شـــهدت مصر خلال شهر فبراير إطلاق القمر الصناعى المصرى إلى جانب فوز مصر باستضافة وكالة الفضـــاء الإفريقية، حيث اتخذ المجلس التنفيذى للاتحاد الإفريقى، قراراً باســـتضافة مصر لوكالـــة الفضاء الإفريقية. وهو ما يعبر عن ثقة أولاً فى الدور المصرى، وثانياً إعطاء الثقة فى قدرة الوكالة على خدمة القارة بأسرها على صعيد تكنولوجيا الاستشعار عن بعد وعلوم الفضاء، وهو الأمر الذى يساعد فى دفع جهود التنمية الوطنية والإقليمية الإفريقية، وفقاً لأجندة إفريقيا 2063..

د. عادل عبد الصادق

مدير مشروع المركز العربى لأبحاث الفضاء الإلكترونى

adelsadek@hotmail.com

وعلى المســـتوى الدولى طرأت العديد من المتغيـــرات التى تعبر عـــن تصاعد الاهتمام الدولـــى بالفضاء الخارجى وعن تكالب القوى الكبرى على توظيف الفضاء الخارجى لتحقيق أهداف إستراتيجية على حســـاب قارة إفريقيا، ومـــن جهة أخرى تصاعد المخاوف بشأن المزيد من عسكرة الفضاء الخارجى وتأثيـــر ذلك على الأمن الدولى.

والأمن الجماعـــى الدولى، وبخاصة فى ظل تحول الفضاء لســـاحة للبحث عن المكانة والقوة والنفـــوذ، إلى جانب حالة التعدد فـــى الفاعلين والتصاعد فى التأثير جراء ثورة علمية وتكنولوجية غير مسبوقة فى ظل حالة الاستخدام المزدوج للفضاء الخارجى.

ومن ثم نشب صراع محموم من أجل الاســـتحواذ على «القـــوة الفضائية» بين القوى الكبرى فى النظـــام الدولى. والتى ارتكـــزت بدورها علـــى نظرية «جيمس أوبـــرج «. والتى تعبر عـــن حاصل جمع القدرة التكنولوجية، والسكان، والاقتصاد، والصناعة، والقوة العسكرية، وإرادة الدولة وغيرها من العوامل التى تســـهم فى دعم إمكانيات الدولة على ممارســـة الإكراه، أو الإقناع أو ممارســـة التأثير السياسى على أعمـــال الدول الأخرى، بغـــرض الوصول للأهـــداف الوطنية من خـــلال القدرات الفضائية.

ومن ثم تسابقت العديد من الدول فى

تبنى مشروعات وطنية للفضاء الخارجى أو بالتعاون مع القوى الكبرى الحليفة، وحظي الاستخدام العسكرى والسلمى للأقمار الصناعية باهتمام كبير بالنظر إلى دورها فى حماية الأمن القومى والرخاء الاقتصادى، وبخاصة دورها فى التكتيكات الحربية، والتجسس، وتأمين نظام الملاحة الجوية، والإنذار المبكر، وفى مجال الاتصالات وبخاصة الإنترنت، والبث الإذاعى والتليفزيونى، والاستشعار عن بعد، والأرصاد الجوية، والملاحة عبر نظام تحديد المواقع العالمى.

وعلى الرغم من ذلك فقد بدت مؤشرات تكشف عن تصاعد الاتجاه نحو عسكرة الفضاء الخارجى سواء عبر تطوير قدرات عسكرية فى الفضاء أو فى تطوير أسلحة فضائية يكون من شأنها أن تحمل معها احتمال تعرض أية دولة تمتلك «قوة فضائية» للهجوم، أو أن تصبح هدفاً لهً فى حالة النزاع المسلح، وهو ما يكون له تأثير يتجاوز طرفى أو أطراف الصراع المفترضين، وإصابة كافة أنظمة الاستخدامات السلمية، وهو الأمر الذى يكون له تداعيات ذات طبيعة سياسية واقتصادية وأمنية على المجتمع الدولى قاطبة.

وهو الأمر الذى فرض على القارة الإفريقية بأن يكون لها دور فى صياغة السياسات العلمية المتعلقة بالفضاء الخارجى على اعتبار أنها من أكثر المتضررين سواء عبر التوظيف العسكرى للفضاء الخارجى أو عبر التوظيف التجارى والاقتصادى، وهى مقدرات إستراتيجية للشعوب الإفريقية، ومن ثم جاء مشروع إنشاء وكالة الفضاء الإفريقية والتى رأت النور بعد ما يزيد عن ثمانى سنوات من الجهود المضنية التى قادتها مصر، إدراكاً من ناحية لدورها والتزامها المعنوى تجاه القارة، ومن جهة أخرى تعزيزاً لأن يكون الفضاء الخارجى منصة التعاون المشترك.

وبدأ ذلك منذ قرار وزراء الأرصاد الأفارقة دراسة إنشاء برنامج فضاء إفريقى، بالتنسيق مع المفوضات والجهات المعنية، وشكلت مفوضية العلوم والتكنولوجيا بالاتحاد الإفريقى مجموعة عمل من بعض الدول الإفريقية المهتمة بمجال الفضاء، لإعداد رؤية مبدئية للسياسات والإستراتيجيات الفضائية فى إفريقيا.

وتكثفت الجهود فى هذا الصدد عبر عقد سلسلة من الاجتماعات ما بين عام 2012 لعام 2015، والتى أسفرت عن إعداد مسودة للسياسة والإستراتيجية المتعلقة بالفضاء الإفريقى، وتم عرضها على مجلس وزراء البحث العلمى الأفارقة، وتقدمت مصر - التى استضافت ثلاثة اجتماعات من اجتماعات مجموعة العمل - بطلب لاستضافة وكالة الفضاء الإفريقية فى القمة الإفريقية والتى عقدت فى يناير 2016.

وبعد إقرار سياسة وإستراتيجية الفضاء الإفريقية من جانب اللجنة الوزارية الفنية المتخصصة للتعليم والعلوم والتكنولوجيا، وصدر قرار المفوضية بتكليف قسم الموارد البشرية والعلوم والتكنولوجيا بالاتحاد الإفريقى بالعمل مع مصر؛ لدراسة الجوانب القانونية والمالية، الخاصة بتنفيذ سياسة وإستراتيجية الفضاء بإفريقيا، وإنشاء وكالة فضاء إفريقية، وأهمية بحوث الفضاء لإفريقيا فى دعم الأمن القومى والأمن الغذائى والتنمية، والإنجاز الذى حققته القارة الإفريقية من إعداد سياسة وإستراتيجية للفضاء، وأهمية إنشاء وكالة فضاء إفريقية لتحقيق أهداف القارة.

وجاء ذلك بفعل المقومات التى تتمتع بها مصر إلى جانب الدور التاريخى لمصر فى القارة الإفريقية، وقيامها بإحراز تقدم فى مجال صناعة الفضاء الخارجى عبر الانتهاء من الموافقة على إنشاء وكالة فضاء وطنية، وتعتمد العديد من الدول الإفريقية على الدعم والتعاون الدولى فى تدشين برامجها الفضائية مثل دور الولايات المتحدة والصين والهند وروسيا.

وكانت مصر قد أعلنت عن إطلاق قمرها الصناعى «إجيبت سات A» فى فبراير الماضى، وإعلان رواندا إطلاق أول قمر صناعى لتقديم خدمة الإنترنت فى 3 مارس 2019، وأطلقت أنجولا أول قمر صناعى للمواصلات «أنجوسات»، وشهد عام 2017 إطلاق العديد من الأنشطة الفضائية بالنسبة للقارة الإفريقية، حيث أطلقت أربعة أقمار صناعية تابعة لدول منتمية لهذه القارة. وأصبحت أنجولا سابع دولة إفريقية تملك آلة ذات مدار ثابت فوق الأرض بعد المغرب وغانا.

ويضاف ذلك إلى التطور الذى قدمته أربع دول إفريقية أخرى فى مجال الأقمار الصناعية وهى الجزائر ومصر ونيجيريا وجنوب إفريقيا.

وتمثل الاستخدامات المدنية للأقمار الصناعية محط أنظار القارة الإفريقية إلى جانب الاستخدامات الأمنية، وذلك من خلال دورها فى نمو الروح الوطنية وتعزيز المكانة الدولية، والمساهمة فى تنمية الوعى بأهمية العلم والتكنولوجيا كأساس للتقدم، وهو ما يمنح الشعور بالفخر لدى الشباب الإفريقى، والاستجابة لطموحه وكفاءاته وإمكانياته، وتساعد الأقمار الصناعية فى مواجهة الآثار السلبية للتغير المناخى والتصحر ومكافحة الهجرة والإرهاب. وتوفر قاعدة اقتصادية إفريقية يكون لها رؤية طويلة المدى وفى نفس الوقت تسعى لامتلاك التكنولوجيا الحديثة لجميع دول القارة، وهو ما يصب فى نمو الصناعات الفضائية داخل القارة الإفريقية وهو ما ينعكس بشكل إيجابى فى النمو الاقتصادى وتوفير فرص عمل جديدة.

والأهم من ذلك تطوير برامج فضائية وطنية وبخاصة أن القارة تستهدف بالأساس تحقيق التنمية والتعاون الدولى المعزز لبناء القدرات الوطنية، وبخاصة فى ظل ليس فقط تكالب الدول الكبرى بل تكالب الشركات الدولية الخاصة لإطلاق أقمار صناعية للاتصالات داخل القارة وبخاصة الإنترنت مثل مشروع شركة جوجل وشركة الفيسبوك وشركة «سبيس إكس» فضلاً عن الأقمار الصناعية التى

هل تقود مصر الفضاء الإفريقى من الهيمنة الى الاستقلال؟

تمتلكها القوى الكبرى.

وكان الاتحـــاد الإفريقى قد اعتمد فى 2016، «السياسة والإستراتيجية الفضائية الإفريقيـــة» لتطوير البرامـــج الفضائية ودعمها مادياً ودفع التعاون فى هذا المجال وبخاصة فى ظل تضاعف الطلب الإفريقى على الترددات فى كل عام، متخطياً ســـعة شبكة ألياف الاتصالات الأرضية، وتشجيع شركات تشغيل الأقمار الصناعية التجارية على إطلاق المزيد منها.

وكان من المتوقع على نطاق واسع أن ينهى وصول الكابلات البحرية إلى شواطئ شـــرق إفريقيا قبل خمس سنوات فحسب، حقبة اتصالات الأقمار الصناعية التى ظلت لعقـــود حلقة الوصل الوحيـــدة للمنطقة بالعالم الخارجى.

لكن ما يحدث هو العكس، حيث تبدد عوامل الجغرافيا السياسية للقارة، وبخاصة وجود عدد كبير من البلدان الحبيســـة مثل زامبيا وجنوب السودان ورواندا.

وتبقـــى الأقمار الصناعية الوســـيلة المثلى لمد شـــبكات الاتصالات إلى أعداد غفيـــرة من الناس وفـــى المناطق النائية والفقيـــرة وبخاصـــة أنه مـــا زال مئات الملايين فى القارة محرومين من شـــبكة الإنترنت، وهم هدف إســـتراتيجى من قبل الشركات الخاصة الدولية. والتى إن فلحت ستعمل على عزل تلك الشعوب والمناطق عن الإنترنت المحلى وعن توجهات النظم السياســـية الإفريقية، وهـــو ما يعرض مقدرات القارة إلى الاســـتغلال والتوظيف السياســـى والاقتصادى مـــن قبل قوى خارجية جديدة.

والحصول علـــى المعطيات الفضائية للبلـــدان الإفريقية والتخفيـــف من آثار الكوارث الطبيعية وكذا تحســـين معرفة المـــوارد الطبيعية وإدارتها المســـتدامة، وذلك إلـــى جانـــب إقامة نظـــام لجمع المعطيـــات اللازمة للتوقعـــات الخاصة بالمحاصيل الزراعيـــة والتحكم فى تنمية المناطـــق الحضريـــة ووقـــوع الكوارث الطبيعية ومعالجة وتحليل معطيات الأقمار الصناعية الواردة المســـاهمة فى الميثاق الدولى «الفضاء والكوارث القصوى» التابع للأمم البلدان المعنية فى شـــمال إفريقيا والساحل.

فعلى سبيل المثال فى حالة نجاح إقامة شـــبكة من الأقمار الصناعية الإفريقية فى تقديم خدمة الإنترنت بحلول عام 2035. سيؤدى ذلك إلى التأثير السلبى على شركة SpaceX الأمريكيـــة، والتى تســـعى إلى تقديم خدمة الإنترنت عبر أقمارها الخاصة من بداية عام 2019.

وتســـاعد وكالة الفضاء الإفريقية فى توســـيع دائرة الاستكشـــافات الفضائية وغيرها من أعمال الاستشعار عن بعد، بما يعزز العمل الإفريقى المشـــترك لتطوير علوم الفضاء من خلال تكامل كافة الأبحاث التى تجريها الـــدول الأعضاء فى الوكالة، خاصة فى مجال الســـيطرة على مصادر المياه الخاصـــة بالدولـــة، ودعم حماية الحدود وترسيم مشاريع تطوير المدن.

وتتيح وكالة الفضاء الإفريقية عملية دخول القارة السمراء لـ«نادى الكبار» الذى يضم الدول التى تمكنت من امتلاك وكالات للفضاء، مما يعزز انطلاق القارة بقوة نحو العالمية، ومن الأهمية بمكان تعزيز قدرة الوكالة فى حماية الأقمار الصناعية لدول القارة فى الفضاء الخارجى، واســـتحداث ونقل وتوطيـــن وتطوير علوم وتكنولوجيا الفضـــاء، وامتلاك القـــدرات الذاتية لبناء وإطلاق الأقمـــار الصناعيـــة، بما يخدم إســـتراتيجيات دول القـــارة فى مجالات التنمية والأمن القومى.

فإن مـــا تتوقـــع الـــدول الإفريقية تحقيقـــه فى الفضاء يمكـــن أن يؤثر فى الأجندة الجيوسياســـية للبلدان فى آســـيا وأمريكا الشـــمالية وأوروبا. بالنسبة لكل قمر صناعى ومركبة يتم إطلاقها، ستتأثر مجموعة من الدول بشكل إيجابى وسلبى. وبهذه الطريقة، لا يغيـــر الفضاء توازن القوى فى إفريقيا فحسب، بل قد يغير فى النهاية مصائر بلدان بأكملها.

وهو ما يفرض ضـــرورة البحث عن حلول وبدائل لمنع عسكرة الفضاء، وأهمية التوصل إلـــى معاهدات لمنـــع مضادات الأقمار الصناعية، والأســـلحة المنشـــورة فى الفضاء، وضمها إلـــى اتفاقيات الحد من التسلح، إلى جانب الإجراءات الطوعية التى قد تســـاعد على بناء الشفافية والثقة المتبادلتيـــن. وتفعيل اتفاقية عام 1976، واعتماد اتفاقية أخرى للحد من التســـلح فى الفضـــاء الخارجـــى وأن تقوم مصر بذلك بالتعاون مـــع دول القارة، وأهمية تعزيز دور الأمم المتحدة والمجتمع المدنى العالمـــى والرأى العـــام والإعلام لفرض قيود على مثل ذلك التطـــور المدمر لأمن واستقرار المجتمع الدولى.

وعلى القـــدر الذى يتطلـــب ذلك أن تكـــون هناك قـــوة عمليـــة وتكنولوجية ســـواء بالتعاون الدولى أو من خلال بناء المشـــروعات الوطنية للفضاء الخارجى، ومواجهة تحدى تحول الهدف من السيطرة على القمر أو استكشـــاف الكواكب خارج المجموعة الشمســـية إلى مجال لممارسة الهيمنة والسيطرة من جانب الدول الكبرى أو بتحـــول الفضاء إلى منصـــة للصراع والتنافـــس الدولى بدلاً من أن يكون مجالا للتعاون والتكامل لخدمة الإنسانية.

«تصدير الثورة»: الجدل المزمن للثورات

شـــهد شهر فبراير إحياء الذكرى الأربعين للثورة الإيرانية التى حققت انتصارها النهائى فى العاشر من شـــهر فبراير من عام 1979. وأياً كان الموقف الفكرى أو السياسى أو الثقافى لكل إنسان تجاه تلك الثورة ومجرياتها، فلا يكاد يختلف اثنان على أنها إحدى الثورات الكبرى التى شـــهدها القرن العشـــرون للعديد من الأســـباب التى لا يتســـع المجال لذكرها هنا على نحو واف أو شـــامل. إلا أن ما أعادته الثورة الإيرانية إلـــى الواجهة فى زمنها هو إحياء ذلك الجدل والنقاش الذى يكاد أن يكون غير منتهٍ ويشـــمل كافة الثورات الإنسانية، خاصة الكبرى منها.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

ولـــم يبدأ هـــذا الجدل مـــع ثورات التاريخ الحديث والمعاصر للبشرية الذى يـــؤرخ له عادة باندلاع الثورة الفرنســـية عام 1789، بل يعود إلـــى ثورات مبكرة فى التاريخ الإنســـانى. وفى حالة العالم العربى والإســـلامى على سبيل المثال فقد كانت العديد مـــن الثورات مثالاً على نزعة تصدير الثـــورة ولها نزعـــة أممية، بينما ثورات أخـــرى انتهى بها الأمر إلى التركيز على تعزيز قبضتها على الأوضاع الداخلية أو الســـعى لإدخال تحسينات جذرية على الحالة الاقتصاديـــة والاجتماعية والثقافية والتشريعية والقانونية والسياسية للبلد أو الإقليم أو المنطقة التى نجحت تلك الثورة فى بسط ســـلطتها عليها. كما أن هناك ما بين تلـــك الثورات ما تـــراوح على فترات زمنية مختلفة بين الخيارين: خيار السعى لتصدير الثورة وخيار بناء الدولة الوطنية والتركيز علـــى تقوية الداخـــل وتعزيز مناعته.

إلا أن هنـــاك العديد مـــن المحللين الذين خلصوا إلـــى أن «تصدير الثورة» لا يتأتى فقط من بذل نشاط وجهود مخطط لها بغـــرض تصدير أطروحـــات الثورة ومرجعياتها وأهدافهـــا العقائدية، بل إنه يتحقق أيضاً عبر ما يســـمى بإيجاد حالة «النمـــوذج»، أى أنه عندما تتوافر مقومات قوة الدولة التى تحدث بها الثورة وتحدث طفرة فى مجمـــل أوضاعها بحيث تحدث نقلة نوعية فى مكانة تلك الدولة إلى الأفضل وتصير فى مصـــاف البلـــدان المتقدمة والمؤثرة على الساحتين الإقليمية والدولية فى زمانها، فإن هذا فى حد ذاته يجعل من تلك الدولة وفكرها بمثابة «النموذج» الذى تسترشد به دول أو شعوب أخرى، خاصة إذا كانت متشابهة فى بعض ظروفها، مع تلك الدولة، أو على الأقـــل لبعض القوى الفكرية أو السياســـية أو الاجتماعية فى دول أخرى مجاورة أو متشابهة فى بعض الخصائص، خاصـــة التاريخية والثقافية، مع تلك الدولة، وذلك بدون أن تبذل الدولة أو أجهزتها جهداً مخططاً فى هذا الاتجاه، سوى أنشـــطة الترويج الخارجى للنموذج الذى تمثلـــه بالطرق المتعـــارف عليها اقتصادياً وثقافياً، بل وأيضاً فنياً ورياضياً.

ومن الثورات التى شهدناها فى العصر الحديث للتاريخ الإنسانى وشهدت تنازعاً مهماً ومتواصلاً زمنيـــاً وكانت له تأثيراته المفصلية على النظام السياسى الذى خلفه هذا التنازع هو حالة الثورة البلشـــفية فى روسيا القيصرية فى أكتوبر 1917. ومن تميز ذلك التنـــازع ومحوريته تحول إلى النموذج النظرى الذى يقاس عليه فى علم التاريخ وكذلك فى العلوم السياسية بالنسبة للثـــورات الأخرى فى حالـــة الصراع بين أنصار «تصدير الثـــورة» وأنصار التركيز على بنـــاء «الدولة الوطنيـــة القوية التى تتحول إلى نموذج» للدول والشعوب والقوى المحيطـــة بها، خاصة تلك التى تتشـــابه معها فى بعض الظـــروف والخصائص.

وما أعنيه هنا هو النزاع المسمى بـ «النزاع الستاليني/ التروتســـكي»، نسبة إلى كل من الزعيم السوفيتى والشيوعى «جوزيف ستالين» والمناضل والمنظر البارز «ليون تروتســـكي». ولهذا النـــزاع قصة يتعين التعرض لها بقدر من التأصيل والتفصيل فى هذه المرحلة من المقال.

وقـــد يقول قائـــل إن الماركســـية كأيديولوجية هى ذات طبيعة أممية تتطلع للانتشـــار على الصعيـــد العالمى ككل، وبالتالـــى فمن المنطقى أن تســـعى إلى تصدير الثورة الاجتماعية الاشـــتراكية/ الشيوعية التى تجسدها تلك الأيديولوجية من «دولة المركز» التى تنتصر فيها «الثورة الأولى» إلى دول وأقاليم أخرى. وبالتأكيد فإن هذه المقولة فـــى جوهرها صحيحة، ولكن المهم هو تعريف المقولة على نحو صحيح أيضـــاً، أى تغطية الوجهين: وجه تصديـــر الثورة عبـــر دور خارجى فعال ونشيط ومتدخل فى شئون الدول الأخرى، مقابل وجه آخر يسعى لبناء الدولة الوطنية القوية التى تصبح بدورها النموذج للدول والشعوب الأخرى بدون عمل تدخلى موجه فى ذلـــك الاتجاه من جانب هـــذه الدولة الوطنية باســـتثناء الأنشـــطة الترويجية المشـــروعة التى تقوم بها كل دولة لبناء صورة خارجية إيجابية لذاتها والحصول على مساندة العالم الخارجى.

إلا أن الثابت أنـــه بعد انتصار الثورة البلشـــفية عام 1917 تحولت روسيا إلى قبلـــة لكل الثوريين الماركســـيين من كل حدب وصوب، خاصة فى تلك المرحلة من القارة الأوروبية، وترتب على ذلك أن توقع الشيوعيون الســـوفيت قيام ثورات مماثلة لثورتهم فى مختلف أنحاء أوروبا تدعمهم وتشـــكل عوناً لهم وتؤكـــد أممية الثورة

«تصدير الثورة»: الجدل المزمن للثورات

والأيديولوجية، إلا أنه سرعان ما تعرضت الثورة الوليدة لتحديات جدية وحادة فى عقر دارها، أى فى الداخل الروسى، حيث سرعان ما قامت الحرب الأهلية بين الروس البيض والروس الحمر وحظى الطرف الأول بكل الدعم من البلدان الرأسمالية الكبرى فى ذلك الوقت، وبالتالى تم استنزاف الثورة وتم النيل من قدرتها على بسط سلطتها على كافة أرجاء أراضيها، وتزامن ذلك مع حقيقة أن الثورات الشيوعية فى البلدان الأوروبية الأخرى إما لم تقم أصلاً أو قامت محاولات بها وتعرضت للهزيمة أو الإحباط. وبعد انتصار الروس الحمر وسيطرتهم على البلاد كانت الأوضاع الاقتصادية قد وصلت حالة من التدهور اضطر معها الزعيم فلاديمير الينش أوليانوف الشهير بـ«لينين» إلى اتباع ما أطلق عليه «السياسة الاقتصادية الجديدة» والتى اتهمها بعض البلشفيك أنها تحتوى على عناصر رأسمالية، إلا أن الهم الأساسى كان بناء الاقتصاد وليس التدخل فى الخارج لتصدير الثورة، سوى من خلال الأنشطة الدعائية والاعتماد على دعم وتضامن الشيوعيين فى بقية أنحاء العالم، خاصة فى أوروبا.

وخلال حياة لينين بدأ التناقض الستاليني/ التروتسكى فى التبلور، ما بين تأكيد ستالين على أولوية الحفاظ على الدولة الشيوعية الأم الوليدة التى تجسدت فى وطن الأيديولوجية الماركسية وبين تأكيد تروتسكى على أنه لا أمن ولا أمان ولا استقرار للثورة أو الدولة فى روسيا بدون اندلاع الثورات فى كل أنحاء العالم، بدءًا بأوروبا، وأن على روسيا تقديم كل الدعم لتلك الثورات المخطط لها أو المتوقعة. وكان من الواضح خلال حياة لينين وحكمه أنه بمرور الوقت يتعزز دور ستالين مقابل تحجيم فى دور تروتسكى بالرغم من الدور المركزى للأخير فى نجاح الثورة وفى بناء الجيش الأحمر وفى الانتصار على الروس البيض فى الحرب الأهلية، مما عكس أنه من الناحية الفعلية انحاز لينين بشكل متزايد بمرور الوقت وفى ضوء التحديات التى واجهها لرؤية ستالين على حساب رؤية تروتسكى.

فلاديمير لينين يخاطب الحشود فى الميدان الأحمر سنة 1919

وبعد وفاة لينين طرأت تغييرات كثيرة كرست من قوة وسلطة ستالين وجعلت رؤيته هى الغالبة بشكل حاسم ونهائى من جهة بناء الدولة القوية التى تصير نموذجاً لكافة المؤمنين بالماركسية عبر العالم، وعلى الجانب الآخر تعززت قناعات تروتسكى بأن الثورة الدائمة والمستمرة والأممية هى الضمانة الوحيدة لاستمرار الثورة وحيويتها وتصحيح مسارها كلما احتاج الأمر لذلك فى روسيا، وانتهى الأمر كما هو معروف للجميع بخروج تروتسكى للمنفى فى عام 1929 حيث انتهى به المقام فى المكسيك، كما أنشأ أنصاره الدولية الرابعة مما مثل تكريساً مؤسسياً ونهائياً لاستمرار النزاع، بل الصراع، بين ستالين وتروتسكى وأنصارهما من بعدهما، وهو الذى انتهت مرحلته الأولى نهاية دموية بتدبير ستالين اغتيال تروتسكى فى منفاه فى المكسيك فى عام 1940.

ونعود الآن إلى تناول الثورة الإيرانية، فنذكر أنه خلال مسيرة الثورة وفى بدايات فترة ما بعد انتصارها كان هناك انقسام واضح بين معسكرين، ومن المفارقات أن معسكراً منهما ضم فى صفوفه، ولأسباب مختلفة بالتأكيد فى ضوء خبرات متراكمة متباينة، كلاً من تيارات الإسلام السياسى وتيارات اليسار، وهو المعسكر الدافع بقوة آنذاك فى اتجاه تصدير الثورة، وعلى الجانب الآخر كان معسكراً يضم التيارات الوطنية/ القومية وكذلك التيارات الليبرالية، وكلاهما دعا للاهتمام بالداخل الإيرانى وبناء عوامل القوة والمنعة مما يؤكد الأدوار القائدة لإيران فى دوائر تحركها الإقليمية وأيضاً على الساحة الدولية وبما يجعل منها فى النهاية نموذجاً تسعى الدول والشعوب الأخرى فى جوار إيران ودوائر انتمائها إلى الاقتداء به والسعى لتكرار تجربتها كما يكسب إيران التقدير والاحترام من جانب شعوب العالم الأخرى.

ويتعين هنا التوقف عند هذه المسألة لشرح السبب فى هذا الاستقطاب أثناء فعاليات الثورة وفور انتصارها، فالواقع أن تلك السنوات والسنوات السابقة مباشرة عليها شهدت بالفعل نشاطاً فاعلاً لتنظيمات إسلامية ويسارية إيرانية فى بلدان خارجية ولعب دور تدخلى فى تلك البلدان، حتى قبل انتصار الثورة، فعلى سبيل التحديد كانت بعض التنظيمات الإيرانية اليسارية المسلحة لاتزال تدعم ثوار «إقليم ظفار» فى سلطنة عمان، وذلك نكاية فى نظام الشاه الذى لعب جيشه دوراً حاسماً فى انتصار الحكومة فى مسقط على هؤلاء الثوار فى سبعينيات القرن العشرين. إلا أن الأدوار الخارجية الأهم للتنظيمات اليسارية والإسلامية الإيرانية الثورية المسلحة كان فى لبنان تحديداً، سواء بالتعاون مع أطراف لبنانية أو فلسطينية.

فمن جانب التنظيمات الفلسطينية، من الثابت أن مصطفى شمران أول وزير دفاع بعد انتصار الثورة الإيرانية كان قد تواجد سراً لسنوات فى لبنان قبل انتصار ثورة 1979 الإيرانية، وقام هو ورفاق له بتدريب عناصر من حركة فتح (حركة التحرر الوطنى الفلسطينى) فى معسكرات داخل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان، بالإضافة إلى تدريب عناصر من حركة «أمل» (أفواج المقاومة اللبنانية) الشيعية اللبنانية. أما من جانب التنظيمات اليسارية، فقد تواجدت كوادرهم فى لبنان أيضاً، سواء لتدريب تنظيمات مسلحة تابعة

لفصائل المقاومة الفلسطينية ذات التوجه اليسارى، خاصة كل من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وجماعة أحمد جبريل، وكانت التدريبات تتم أيضاً فى معسكرات داخل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين. إلا أن تلك التنظيمات اليسارية الإيرانية كانت تقوم أيضاً بتدريب فصائل لبنانية يسارية، خاصة تلك التى كان لها تواجد فى الجنوب اللبنانى ومنطقة البقاع، والتى كانت منغمسة ضمن فصائل الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية فى مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة آنذاك على لبنان.

وهكذا بالنسبة لهاتين المجموعتين من التنظيمات وقياداتها لم يكن مفهوم «تصدير الثورة» مجرد مفهوم نظرى أو أمر مجهول بل كان نشاطاً مارسوه فعلياً وعلى الأرض لسنوات قبل الثورة وخلالها خارج الأراضى الإيرانية. ولهذا لم يكن من الغريب أن يجمعهم معاً الدعوة إلى تبنى الدولة الإيرانية الجديدة ومؤسساتها لمفهوم تصدير الثورة، بل والسعى فى الأيام الأولى بعد انتصار الثورة إلى تجسيده فى شكل نصوص دستورية بعد سيطرة عدد من القوى والجماعات الثورية المختلفة على زمام السلطة فى إيران. إلا أنه كان هناك تباين واضح فى تعريف كل من الطرفين لطبيعة وحدود مفهوم «تصدير الثورة». فبينما ركزت الشخصيات والجماعات الإسلامية آنذاك على كونه داخل حدود العالم الإسلامى، مع إمكانية أن يكون أيضاً ممتداً لدى الجاليات الإسلامية التى تعيش خارج حدود العالم الإسلامى، مع التركيز، ولو دون الإعراب عن ذلك صراحة فى ذلك الوقت، على البلدان الإسلامية التى يشكل فيها الشيعة أغلبية أو أقلية مهمة، وأيضاً على الجاليات الإسلامية الشيعية خارج حدود العالم الإسلامى.

أما على الجانب الآخر، فإن التنظيمات اليسارية انقسمت ما بين تنظيمات يسارية ماركسية أو علمانية تتحدث بشكل أممى وعالمى ودون التفرقة بين نصرة قضايا الثورة داخل حدود العالم الإسلامى أو خارجها ومنح الموضوع بعداً طبقياً واضحاً، وما بين تنظيمات اليسار الإسلامى، خاصة «مجاهدى خلق إيران» فى ذلك الوقت، والتى كانت تمنح الأولوية داخل حدود العالم الإسلامى، ولكنها ترى فى الوقت نفسه أهمية لعب دور فاعل خارج حدود هذا العالم وعلى الصعيد العالمى ككل، ولكنها كانت أيضاً تمنح بعداً طبقياً لدعم الثورات على الصعيدين الإسلامى والعالمى.

متظاهرون فى طهران فى 1979 يرفعون صورة الخمينى

ولكن ماذا عن موقف رجال الدين، وفى مقدمتهم آية الله الخمينى الذى تحول فى سنوات منفاه فى باريس إلى رمز للثورة وجامع لمختلف الفصائل الثورية الإيرانية المتباينة فيما بينها؟

الواقع أن تحليلاً لتصريحات الخمينى، سواء خلال فعاليات الثورة ومن منفاه فى فرنسا، أو فى الأيام الأولى للثورة بعد انتصارها، يدرك أن مواقفه المعلنة كانت تتراوح بين الانحياز لطرح تصدير الثورة وبين تبنى فكرة الدولة النموذج وبناء الدولة الوطنية القوية، وربما فعل ذلك لاعتبارات تتعلق بإيجاد توازنات فيما بين مواقف مختلف التيارات المشاركة فى الثورة وعدم الرغبة فى إثارة الشقاق فى جدار القوى الثورية بسبب هذه المسألة، وتحديداً بين القوى الإسلامية واليسارية من جهة والقوى الوطنية/ القومية والليبرالية من جهة أخرى.

إلا أن رجل دين آخر مهم وبارز فى مسيرة الثورة الإيرانية خلال فترة الثورة وبعد انتصارها، وهو «إمام جمعة طهران» آية الله سيد محمود طلقانى، وهو كان أيضاً من رموز تيارات اليسار الإسلامى داخل إيران فى ذلك الوقت، حرص لدى استقباله وفداً من جبهة الساندينيستا الثورية اليسارية فى نيكاراجوا والتى نجحت ثورتها فى الاستيلاء على الحكم فى نيكاراجوا فى يوليو من عام 1979، وحرصت على إرسال وفد فور انتصارها إلى إيران الثورية للتنسيق والتعاون بين الثورتين فى مواجهة الأخطار والتحديات المشتركة، أن يؤكد على الطابع الأممى للثورة الإيرانية ودورها الفعال الخارجى فيما أسماه «نصرة المستضعفين فى العالم».

إلا أن المحصلة النهائية لهذا الجدل والاختلاف فى الرؤية فيما بين القوى الثورية الإيرانية تجسد فى واقع الأمر فى وجود نصوص واضحة فى أول دستور لإيران بعد الثورة عام 1979 تجمع بين الحديث عن تصدير الثورة وبين الحديث عن الدولة النموذج، وهو ما جعل الأمر يستمر عرضة لتفسيرات مختلفة للنصوص الدستورية المذكورة فيما بين مختلف أطراف المشهد الثورى الإيرانى فى ذلك الوقت، وهو جدل ونقاش لم تحسمه تعديلات تالية طرأت على الدستور الإيرانى على مدار العقود الأربعة الماضية وفى أكثر من مناسبة.

وكانت تلك النصوص الدستورية هى الخطوة التى أسدلت الستار على الفصل الأول، ولكنه ربما الأهم، فى مسيرة الثورة الإيرانية لعام 1979، فيما يخص مفهوم «تصدير الثورة» من جهة فى مواجهة مفهوم «الدولة النموذج» من جهة أخرى، ولكنه بالتأكيد لم يكن الفصل الأخير فى هذا الجدل المستمر حتى الآن فى الحالة الإيرانية، كما أن الحالة الإيرانية فى حد ذاتها لم تكن الحالة الأخيرة ضمن ثورات العالم التى تتجلى فيها مجدداً معالم النزاع الستاليني/ التروتسكى حول مفهوم «تصدير الثورة»، والذى أشرنا إليه تفصيلاً فيما سبق فى هذا المقال.

هل كان الاتحاد السوفيتى شراً مطلقاً؟

كان الانطباع لديّ قبل أن أعمل فى المنطقة السوفيتية هو أن الاتحاد السوفيتى كان شراً كله وأن سقوطه كان هدية للعالم كله، ولكن بعد عملى فى هذه المنطقة تغير مفهومى تماماً حيث تبينت محاسنه ومساوئه - ولولا سقوطه لما استبيحت العراق وسوريا وليبيا واليمن - على الوجه التالى:

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

المحاسن أولاً:

1 - **البنية الأساسية:** عندما زرت جمهورية القرم تعجبت جداً من أن تكون عاصمة الجمهورية هى مدينة سيمفروبل تلك المدينة الصغيرة الهادئة ولكن صديقى فى القرم والذى كان مرشدى للتعرف على خفاياها أوضح لى السبب وشاهدته بعينيى، فتلك الأرض التى تزيد مساحتها عن مساحة بلجيكا محاطة بالجبال الشاهقة الارتفاع وشديدة الضخامة وبالتالى فإن المدينة الوحيدة المنبسطة وليس بها جبال هى سيمفروبل لذلك أنشئ بها المطار ومحطة السكك الحديدية حيث لا تصلح أية مدينة أخرى لذلك.

وعندما تنقلت فى كل أجزاء الجمهورية من يالتا إلى سيفاستوبل.. إلخ شاهدت هذه الجبال العملاقة ولكنى فى نفس الوقت تعجبت من كثرة الأنفاق الضخمة فى الجبال والطرق الممتازة متراميه الأطراف حتى فى الأماكن النائية بل إن الاتحاد السوفيتى نجح فى الاستفادة من الجبال على شواطئ ميناء سيفاستوبل وجعلها مأوى لسفنه وغواصاته العادية والنووية وشاهدت أطول خط ترولى باص فى العالم حيث يطوق القرم ويمر بكل مدنها فقدرت جهود الحكومة الأوكرانية (1991 - 2014) فى كل هذا الإنجاز ولكن صديقى أبلغنى أن هذه البنية الأساسية قد تمت فى العهد السوفيتى ولم يتم شئ ذو بال فى العهد الأوكرانى.

وأيضاً فإن شبكات الكهرباء والماء كانت تغطى كافة أنحاء الجمهوريات الشاسعة الأطراف وبجودة ممتازة. وتكرر معى نفس الأمر فى جمهوريات سوفيتية أخرى.

2 - الصحة: كنت فى مستشفى بكييف، وكانت ممرضة حسناء تحقننى بمصل وبعدها فوجئت بها تملأ الحقنة بسائل شفاف وقالت إنه لتطهير الحقنة. فوبختها محتداً عليها بأنه لا يجوز إعادة استخدام الحقنة. فانفجرت ضاحكة قائلة إنها تعرف ذلك تماماً ولكن تعليمات الصحة أنه لابد من تعقيم الحقنة قبل التخلص منها فى صندوق خاص بالنفايات. وصعقت حيث ترددت على مستشفيات كثيرة فى أوروبا ومصر ووجدت الممرضات يتخلصن من الحقن فى صندوق خاص بدون تعقيم. وسألت أحد قدامى الأطباء فذكر أن هذا كان الأسلوب السوفيتى فى الحفاظ على الصحة العامة، وهم مستمرون فى هذا الأسلوب. والأدوية والتطعيمات السوفيتية كانت شديدة الفاعلية لعدة أمراض وتكاد تكون مجاناً.

3 - الثقافة والتعليم: اهتم الاتحاد السوفيتى اهتماماً كبيراً بالثقافة والتعليم، فقد ازدهرت طباعة الكتب والترجمات، وازدهر المسرح والباليه، حتى أصبحت فرقة البولشوى أشهر فرقة فى العالم، وأيضاً الموسيقى والأدب. وعن التعليم فحدث ولاحرج عن المدارس السوفيتية.

4 - الرياضة: كانت هى مجال التفوق والحصول على الكؤوس والميداليات لاهتمام الدولة بها منذ بداية التحاق الأطفال بالمدارس واكتشاف مواهبهم وإمكانياتهم.

5 - السكك الحديدية: «قصدت أن أجعلها مستقلة عن البيئة لأنها فعلاً تستحق».

استخدمت القطار الألمانى السريع سيمنز من موسكو إلى سان بطرس بورج واستمتعت بفخامته وسرعته رغم تلف بعض أجزاء من المقاعد كتحريك المسند، وأيضاً استخدمت القطار الكورى السريع من كييف إلى مدينة لفيف غرب أوكرانيا، وكان القطار أيضاً سريعاً ولكن التدفئة لم تكن كافية وكانت هناك أيضاً عيوب فى صناعة المقاعد. وعندما استخدمت القطارات السوفيتية عام ٢٠١٤ وجدتها قوية وشديدة المتانة وأنيقة وإن كانت بطيئة والتدفئة بها متميزة. والهدف أنه رغم قدم القطارات السوفيتية إلا أنها مازالت تعمل بكفاءة حتى الآن بينما الغربية الحديثة بدأت تتلف. وطبعاً فإن شبكة القطارات السوفيتية تصل إلى كل المدن والكفور والنجوع.

6 - الأمن والضمان الاجتماعى: كانت الجمهوريات كلها آمنة تماماً، ونسبة الجريمة صفر. وكان الجميع يحصل على احتياجاته من الغذاء والكساء ولا يوجد تشرد فى الشوارع ويأمن الجميع على أولادهم وغدهم.

7 - الفضاء والعلوم: برع السوفيت

قصر "ماسندرا"

رغم وعورة جمهورية القرم إلا أن السوفيت أمدوها بكل البنية الرئيسية اللازمة

شواطئ صخرية

فى علوم الفضاء والفلك والتسلح، وكل من تحدثت معه من كبار السن كان لديه حنين لأيام الاتحاد السوفيتى ويتحسر عليها بعكس الشباب الذين سمعوا عنها ولم يعيشوها.

ثانياً: المساوئ

1 - انعـــدام الحافز الفردى وهو الذى يـــؤدى إلى الإبـــداع بغية التفوق ولماذا يجتهد وهو سيحصل على أجره الثابت سواء أبدع أو تكاسل.

2 - انقسام المجتمع إلى طبقتين فقط طبقـــة أبناء الحزب الشـــيوعى ومن يمت إليهم بصلـــة، وهذه تمتعت بامتيـــازات خاصـــة مـــن منتجعات وسيارات وحتى الطرق. وعامة الشعب وهم عليهم طاعة الأوامر وأداء ما يطلب منهم حتى لو كان من العلماء فيتساوى مع العامل.

3 - رغم أن العلاج للجميع ومجاناً والمستشفيات نظيفة إلا أن الإمكانيات ضئيلة والأجهزة الطبية متخلفة.

4 - التشديد والتضييق على السفر خارج نطاق الاتحاد السوفيتى والكتلة السوفيتية.

5 - افتقـــاد عناصـــر الرفاهية الحديثة.

6 - القبضـــة الأمنيـــة الصارمة والبطش حتى لغير المجرمين.

والحقيقة لو خيـــرت بين النظام السياسى السوفيتى الســـابق والنظام السياسى المطبق فى الولايات المتحدة لما اخترت أيـــاً منهما ولفضلت عليهما دولة تجمع بين مزايا النظامين ولا يوجد بها عيوبهما، ولكنها للأســـف لم توجد بعد وإن كان أقرب إلى النظام السياسى فى الدول الإسكندنافية.

القمة العربية الأوروبية تطلق آمال الاقتصاد

صورة جماعية للقادة المشاركين فى القمة العربية الأوروبية

لا شـــك أن القمة العربية الأوروبية التى عقدت لأول مرة الشـــهر الماضى بمدينة شرم الشيخ تعد نقطة تحول فى علاقات أوروبا والمنطقة العربية، وهى نتاج حوار جاد بين الطرفين بدأ فى أعقاب أزمة أســـعار البترول العالمية عام 1973، وكان دافعه محاولة فهم مشكلات الجانبين وبناء تعاون أوثق قائم على تبادل المصالح.

وبعيداً عن الدلالات السياسية المهمة لعقد هـــذه القمة التـــى ضمت ملوك ورؤســـاء وزعماء 50 دولـــة فى أكبر تجمع عالى المستوى من الجانبين فإن القضايا الاقتصادية فرضت نفسها على اجتماعات القمة حيـــث تضمن البيان الختامى للقمة الدعوة لتعاون اقتصادى أكبر بين الجانبين مع تركيز على ملفى التجارة والطاقة بجانب الإشـــارة إلى مجـــالات أخرى لهذا التعـــاون أبرزها التكنولوجيا والسياحة والزراعة وتنمية الثروة السمكية، مع التأكيد على أهمية الشراكة العربية الأوروبية.

ورغم هذه الدعوة فى البيان الختامى للقمة إلا أنها لا تلبى الطموحات العربية التـــى تتطلع لتعاون اقتصـــادى أكثر فعالية لأن أغلب التحديات السياســـية والاجتماعية التى ناقشـــتها القمة مثل قضايا الهجرة واللاجئين وعدم الاستقرار السياسى ببعض دول المنطقة العربية وراءهـــا الصعوبـــات الاقتصادية التى تعانى منها كثير من الدول العربية.

ولذا فإن التعاون المطلوب أعمق من

أحمد عبد السلام

باحث فى الشئون الاقتصادية فى الأهرام

مجرد تقديم منح أو مســـاعدات مالية أو فنية، وهى الآليات الأوروبية التى لم تســـتطع على مدى نصف قرن تقريباً أن تغيـــر الصورة فى البـــلاد العربية خاصة جنوب وشرق المتوسط فمازالت الهشاشة الاقتصادية تطغى على أوضاع الدول العربية وتفرض تحديات متزايدة تهدد باســـتمرار حالة عدم الاستقرار السياســـى والاجتماعـــى والمزيد من الأزمات الاقتصادية.

ولا شـــك أن قادة أوروبا يدركون الآن أن رخاء بلادهم مرتبط أيضاً برخاء الدول المحيطة وحتى بمنطق الاقتصاد فإن اســـتمرار دول الجوار كأســـواق لتصريف منتجات وسلع أوروبا يتطلب ازدهاراً اقتصادياً فى تلك الدول وزيادة فى القوة الشرائية للمستهلكين العرب.

هذه الحقيقة دفعت المستشـــارة الألمانية أنجيلا ميركل وقبل مشاركتها فى القمة العربية الأوروبية إلى الإعلان عن تشجيع بلادها لزيادة الاستثمارات الألمانية فى الـــدول العربية والإفريقية التـــى يأتى منها المهاجـــرون لبلادها لتوفير الظروف المناســـبة لبقائهم فى أوطانهم وهو الحل الأنجح لملف الهجرة غير الشرعية إلى جانب رغبة ألمانيا فى تعميق التعاون مـــع المنطقة العربية وإفريقيـــا وفى القلب مصـــر بطبيعة الحال.

وبعيداً عن ملف الهجرة وتداعياتها السلبية ودوافع أوروبا لتعاون حقيقى مع المنطقة فـــإن القادة العرب بيدهم

اليـــوم فرصة تاريخيـــة لتغيير الواقع الاقتصادى، وإحداث التنمية الاقتصادية المســـتدامة والأهم أن الأجواء لتحقيق هذه الآمال والطموحـــات تتوافر اليوم أكثر من أى وقت مضى ولعدة أســـباب أهمها:

الأول: الرغبـــة الأوروبية الحقيقية فى مساعدة الدول العربية، وهو ما ظهر من حرص أبرز القادة الأوروبيين على المشاركة فى القمة مثل ميركل وتريزا مای ما يؤكـــد إيمان الحكومات الغربية بأهمية التعـــاون مع الـــدول العربية لتحقيق أهداف إســـتراتيجية لعل من أهمها التعاون فى مجال الطاقة، حيث يرغب الاتحـــاد الأوروبى فى تخفيض اعتماده على الغاز الطبيعى الروســـى لصالح غاز شـــرق المتوسط المكتشف بكميـــات ضخمة فى مصـــر وقبرص واليونـــان، وهو اتجاه يعظم من قدرات العديد من الـــدول العربية ومنها مصر التى يمكنها أن تصبـــح مركزاً إقليمياً لإنتاج وتداول الطاقة.

الثانى: هناك ضرورة إستراتيجية لتعاون أكبر بين الدول العربية وأوروبا للتخفيف من أثر الحرب التجارية الدائرة حالياً بين الولايـــات المتحدة والصين، خاصة مع قلق أوروبا من تأثيرات تلك الحرب وسياســـات ترامب التى تضع أمريكا أولاً وتستهين بمصالح حلفائها إلى جانـــب الطموحـــات الصينية فى الســـيطرة على الاقتصاد العالمى مما يضر بتنافســـية الصناعات الأوروبية، حيث أصبحت الصين أكبر منتج عالمى للحديد والصلب وتغرق السوق العالمية حالياً بمنتجاتها مما دفع أوروبا لفرض رســـوم إغراق وحماية علـــى الصلب والحديـــد الصينى. وهذا الســـيناريو يتكرر فى العديد من الصناعات يكفى أن الصين تحاول حالياً الســـيطرة على سوق التليفون المحمول الآخذ فى النمو، ناهيك عن ســـوق تصنيـــع الماكينات والآلات والمعـــدات الرأســـمالية حيث أصبحت الصين المنافس الأول لألمانيا وإيطاليا فى هـــذا المجال، ولذا تحتاج أوروبا لتقـــارب أكثر مع العالم العربى بجانب دول العالم الأخرى للحفاظ على علاقاتها الاقتصادية.

الثالث: أن أوروبا تبحث عن أسواق جديدة لفوائضهـــا المالية، فبعد الأزمة الماليـــة العالمية لعـــام 2008 وهناك تشـــديد أوروبى وقيـــود متزايدة على الاستثمار بسوق المال الأمريكية بسبب الممارســـات غيـــر المنضبطة فى تلك السوق التى كانت السبب الأول لانفجار الأزمة المالية العالميـــة، وبالتالى فإن الأسواق العربية المتعطشة للاستثمارات خاصة فى القطـــاع المالى والصناعات التحويلية لاشـــك يمكنها الاستفادة من هذا الوضع خاصة مع الاضطرابات التى تسبب فيها البريكست أو خروج المملكة المتحـــدة من الاتحـــاد الأوروبى، وهو الخروج المهدد بالدخول فى نفق مظلم فى ضوء رفض البرلمـــان البريطانى اتفاق الخروج.

الرابع: يتمثل فى التقدم التكنولوجى الهائـــل الذى نعيشـــه الآن حيث يتيح فرصة لتنفيذ العديد من المشـــروعات الاقتصادية التى وقفت أمامها صعوبات فى الماضى بســـبب ارتفـــاع التكلفة والمخاطر، ولاشك أن هذه المشروعات يمكنها تغيير وجه الاقتصاد العربى مثل البدء فى استغلال ثروات البحر الأحمر من المعادن والبترول والغاز ناهيك عن الثروات المدفونة فى الصحارى العربية أو مشروع استغلال منخفض القطارة فى مصر المطـــروح للنقاش منذ عام 1912.

الخامـــس: إن كثيراً من القطاعات الاقتصاديـــة بالـــدول العربية تحتاج لتطوير وتحديث لعل من أهمها القطاع الزراعى الـــذى لايزال يعمـــل بآليات القرون الوســـطى ويحتاج لاستثمارات ضخمة لتحديثه وعلاج مشـــكلاته، إلى جانب أن كثيراً من الصناعات التحويلية فى الوطن العربـــى تحتاج بدورها إلى التكنولوجيا الأوروبية، ناهيك أن بعض الصناعـــات يمكنهـــا أن تصبح وريثة للصناعة الأوروبية نفسها مثل صناعة الأثاث التى تندثر فى إسبانيا وإيطاليا ويمكن لمصر أن تكـــون الامتداد لهما، حيث يرشـــح العديـــد مـــن الخبراء الأوروبيين مصر لتصبح عاصمة الأثاث فى العالم.

أما ســـادس الأســـباب فيتمثل فى الحاجة لرفع كفاءة العنصر البشـــرى لدخـــول الثورة الصناعيـــة الرابعة أو عصر الروبوتات حيث تتوقف التنافسية الآن على مدى اســـتخدام الاقتصاديات المختلفة لهذا التطور التكنولوجى الذى يحد من فرص العمل البشرية فى كثير من القطاعات والأنشـــطة الاقتصادية، وبالتالى فهناك حاجـــة لفتح مجالات عمل جديدة تســـتوعب الثروة الشـــابة التى تتمتـــع بها المنطقة العربية، وهى مجالات قد تكون فى أوروبا التى تعانى حاليـــاً من تناقص قوتهـــا العاملة فى ظل نسب مرتفعة لكبار السن وبالتالى هناك مصلحة متبادلة للطرفين فى هذا الملف.

أخيراً فإن القمة العربية الأوروبية أحيت آمال خبـــراء الاقتصاد فى عالم عربى أكثر إشـــراقاً يستند على تعاون حقيقى بين أوروبا والمنطقة العربية، تعاون يراعـــى المصالح المشـــتركة واحتياجات الجانبين ويرســـخ لتكامل صناعى واقتصـــادى ويســـتفيد من قدرات الاقتصاديات العربية التى تمتلك الكثيـــر من المقومات التى تســـتطيع وضـــع المنطقة العربيـــة فى مصاف كبرى اقتصاديات العالم، خاصة مصر المرشحة لتكون ثامن أكبر اقتصاد فى العالم بحلول عام 2030 إذا استكملت خطط التحديث والتطوير الشاملة التى يقودها الرئيس عبدالفتاح السيسى.

ولتحقيق تلك الرؤية فإن المنطقة العربية تحتـــاج لمبادرة جديدة تمولها أوروبـــا ودول الخليـــج العربى تعيد صياغة ركائـــز الاقتصاد القومى للدول العربيـــة مع التركيز علـــى الصناعات التحويلية وقطاعـــات الطاقة والتعدين والزراعة والســـياحة، إلى جانب تنمية الموارد البشرية خاصة الارتقاء بكفاءة خدمات التعليم بجميع مراحله وأنواعه عال ومتوســـط وفنى وأيضاً بمجالات التدريب والصحة، وأيضـــاً تبنى رؤية جديدة لقطاع المشـــروعات الصغيرة والمتوســـطة تركز على إشـــراكها فى اقتصاد المعرفة، والتوسع فى علاقات التشـــابك والترابط مع الكيانات الأكبر داخل المنطقة العربية أو حتى خارجها ليكون للعرب نصيـــب أكبر من حجم التجارة العالميـــة، وأخيراً التركيز على رفع قدرات الجهـــاز الإدارى الحكومى بكل الدول العربية لأنه هو المسئول عن إدارة كل جوانـــب حياة المواطنين وفى يده نجاح أو فشل تنفيذ تلك المبادرات.

التطوع وبناء القوة الشاملةً

فى رأيى أن عملية بناء القوة الشاملة فى مصر بما فى ذلك استثمار التطوع والعطاء يجب أن تتم فى إطار تحقيق الأمن القومى والمصالح القومية المصرية فى إطار منظومة شاملة يعتبر التطوع والعطاء من أهم مقوماتها خاصة فى مرحلة بناء ونهضة مصر الحديثة بقيادة السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى.

إنه من خلال تشرفى بعضوية المجلس القومى للمرأة أكثر من دورة إلى جانب عضويتى بالاتحاد العام للجمعيات الأهلية ولجنة التمويل الخارجى والمحلى، ومشاركتى فى الاطلاع على أنشطة العديد من المنظمات والمؤسسات الأهلية فى بعض محافظات مصر على الطبيعة خاصة فى القاهرة والجيزة والمنيا وأسيوط وسوهاج والإسكندرية، وكذلك الاطلاع على دور العمل الأهلى خلال خدمتى فى بعثاتنا الدبلوماسية بأديس أبابا ولندن وبروكسل وموسكو وغيرها، فقد لمست دور التطوع والعطاء فعلاً فى تنمية تلك البلاد وفِى إدارة السياسة الخارجية لها فى التعامل مع العديد من الدول.

واتصالاً بذلك الدور فى مصر فإن من أهم ما يميز الشخصية المصرية فى هذا النطاق هو أن الإنسان المصرى محب دائماً للخير والعطاء بشكل تطوعى، ويظهر ذلك فى أوقات الشدائد سواء فى داخل مصر أو خارجها، وأنه فى هذا الشأن لا ينتظر عائداً معنوياً أو عائداً مادياً، وهو الأمر الذى لمسته خلال خدمتى الدبلوماسية بالخارج وداخل مصر.

كما أن ثقافة العطاء تتواجد فى المجتمع المصرى والنسيج الاجتماعى المصرى بشكل جلى، وينطلق ذلك من مكونات الشخصية المصرية القوية بالوازع الدينى والإنسانى والمعتقدات الروحية التى تكمن فى داخلها عبر الزمن .

تجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من صور التضحية والعطاء من أبرزها شهداء ومصابو الوطن الذين ضحوا

سفير د. يوسف الشرقاوى

yelsharkawy@yahoo.com

بحياتهم عبر التاريخ خاصة فى سبيل تحرير واستقلال واسترداد أراضى مصر المحتلة خاصة فى حرب أكتوبر المجيدة 1973 وغيرها، وكذا الدفاع عن القضايا العربية والإفريقية والآسيوية.

لا شك أن أسمى أنواع العطاء هو التضحية من أجل الآخرين أو القيام بأعمال تطوعية من أجلهم دون ربح أو عائد.

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى من يقومون بأعمال الخير فى منزلة عليا حيث يقول رسولنا الكريم صلى الله علية وسلم: «إن لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس حببهم فى الخير وحبب الخير إليهم أولئك هم الآمنون من عذاب النار يوم القيامة».

يلاحظ أن العمل التطوعى يقوم بدور ملموس فى العديد من المجتمعات، وبشكل إلزامى، الأمر الذى دفع الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إصدار قرار باعتبار عام 2001 هو العام العالمى للمتطوعين .

وقد تبين أن البلاد التى تهتم بالعمل التطوعى وترعاه قد حققت زيادة فى الناتج القومى الإجمالى، وحققت تحسين الأداء من أجل التنمية، وحسن استثمار الطاقات غير المستغلة والجمع بينها بصرف النظر عن اللون أو الدين أو الجنس.

إن من بين أهمية العمل التطوعى تحقيق التكافل الاجتماعى فضلاً عن تعزيز روح المواطنة التى هى إحدى ركائز بناء مصر الحديثة.

يقول سبحانه وتعالى «فمن تطوع خيراً فهو خير له»، ويقول سبحانه وتعالى «ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم»، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

إن ما يعزز من قيم التطوع فى مصر ما نراه من العديد من المؤسسات التعليمية مثل جامعتى القاهرة وعين شمس والتى تعتبر نتيجة للعمل التطوعى ونظام الوقف، وكذلك مستشفى المواساة بالإسكندرية والعديد من المدارس والمستشفيات والخدمات الاجتماعية والمشروعات الخيرية.

تجدر الإشارة إلى تنامى العديد من المشروعات الخدمية التابعة لجمعيات ومؤسسات إسلامية والكنائس القبطية والإنجيلية والكاثوليكية فى كافة مجالات التنمية الاجتماعية والصحية فى ربوع مصر وخارجها.

كما أن هناك العديد من رموز مصر الذين يمارسون العطاء دون مقابل مثل البروفيسور د. مجدى يعقوب خاصة من خلال مؤسسة القلب ومركز مجدى يعقوب فى أسوان وجهود تلك المؤسسة المتميزة فى الرعاية الطبية فى إثيوبيا والعديد من دول حوض النيل وإفريقيا،

العمل لتطوعى

وجهود أ.د. فاروق الباز وأ.د. مصطفى السيد وأ.د محمد غنيم وغيرهم فى مجالات متعددة سواء بإجراء عمليات أو إلقاء محاضرات أو أبحاث علمية متقدمة ومتميزة كنموذج للعطاء والمساهمة فى عمليات التطور والبناء والتنمية.

وفى إطار العمل فى هذه المرحلة الدقيقة للمساهمة فى عملية بناء مصر الحديثة وحل مشكلات البطالة والفقر والتعليم وتحقيق حقوق الإنسان، وغرس ثقافة الديمقراطية والمشاركة فإنه يجب فى رأيى استنفار الوعى التطوعى لدى المواطنين من خلال :

1 - أنه يجب استثمار العمل التطوعى فى إطار قانون ومؤسسات الدولة والحفاظ على الأمن القومى المصرى وخطة التنمية الشاملة والجهود المجتمعية، ويجب تنمية وشحذ قيم التطوع فى المجتمع المصرى من خلال وضع القواعد اللازمة لوضع حوافز للمتطوعين، بل وأيضاً تحقيق أن يكون التطوع واجباً إلزامياً وليس خيريا فقط .

2 - من المهم صياغة قانون جديد للتطوع بالاختيار يقنن عملية المساهمة بالوقت والعلم والخبرة والمال فى تحقيق الصالح العام نظراً لأنه ليس فقط نوعاً من البر والإحسان لأبناء الوطن بعضهم لبعض ولكن أيضاً أسلوباً من أساليب المشاركة للمجتمع الأهلى والمنظمات غير الحكومية كشريك رئيسى فى عملية التنمية فى مثلث الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المصرى .

3 - أنه فى إطار تشجيع التطوع فإنه يجب تطوير وتحديث الجمعيات الأهلية فى المجتمع وقانونها كى تتواكب مع التغيرات الحديثة وفِى إطار الحفاظ على الأمن القومى، حتى تكون قادرة على أداء دورها التنموى وفى خدمة جميع أبناء المجتمع دون تمييز على أساس الدين أو الجنس باعتبار أن فاقد الشىء لا يعطيه من خلال بناء قدراتها buildingcapacity فى إطار الصالح العام وتوفير ضمان الاستدامة sustainability لعملية بناء القدرات من حيث التمويل والعمليات الفنية اللازمة مع الأخذ فى الاعتبار ضرورة المتابعة والتقويم وإرساء مبادىء المحاسبة accountability فى العمل التطوعى كعمل ملزم ودائم وليس مؤقت وترسيخ مفاهيم المؤسسية institutionalization فى العمل التطوعى والالتزام بمعايير الجودة والأداء الملتزم perfection والتمسك بأهداب الموروث الثقافى cultured ethics فى مصر والذى حقق نجاحات متعددة فى المجال التطوعى التنموى .

4 - مراعاة أن يكون دور الأجهزة الحكومية فى إطار رعاية بناءة والحفاظ على مؤسسات الدولة .

5 - أن يكون العطاء والعمل التطوعى مكملاً للحكومة والقطاع الخاص وليس التداخل والتنافس .

6 - وضع برامج لغرس ثقافة العطاء والتطوع فى المدارس الابتدائية ومراحل التعليم المختلفة فى شكل علمى وملزم.

7 - ضرورة وضع آليات مناسبة تتيح لمن يرغب فى العمل التطوعى الاتصال بها ويحدد نوعية المشاركة والوقت المناسب .

8 - تبنى مشروع قومى لبناء مصر الحديثة، وتعبئة المجتمع من خلال استثمار الإعلام والفضائيات ووزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالى وليكن مثلاً البدء فى المساهمة فى مشروع مكافحة الأمية، وتشجيع الاستثمارات والسياحة والنظافة فى الأحياء وعملية التشجير وغير ذلك .

9 - اختيار يوم سنوى للتطوع ولتكريم أبرز المتطوعين على مستوى كافة الوحدات الإدارية فى كل حى وقرية ونجع وبندر ومركز وناحية وكفر ثم على مستوى المحافظة ثم على مستوى الجمهورية كحافز معنوى لتنشيط العمل التطوعى الجاد وإعلاء قيم العطاء.

أقترح النظر فى تبنى مكتبات مصر العامة وقصور الثقافة والمجلس القومى للمرأة والأحزاب السياسية والنقابات والوزارات المختلفة لموضوع غرس ثقافة العطاء من خلال وضع آلية كيفية المساهمة وتقديم خدمات لإحدى الفئات فى مجتمعنا المصرى فى مجالات مختلفة من خلال تخصيص البعض من الراغبين أوقاتهم لتقديم خدمة معينة فى مجالات التعليم أو تدريب أو عرض خبرات باعتبار أننا لدينا مساهمات عديدة من خلال خدماتنا، وأننا من نسيج هذا الشعب نعيش ظروفه وآلامه ونتنسم آماله وطموحاته ونأخذ منه ويعطينا، ولدينا رصيد خبرات تراكمية ومتنوعة لا تتوفر لغيرنا، ونعلم أن الكثيرين بيننا يساهمون فرادى فى أعمال بر وإحسان وخير كثيرة فنعم العطاء فى بناء القوة الشاملة لمصر الغالية.

الدبلوماسية ودورها فى إدارة العلاقات الدولية

تحتفل وزارة الخارجية فى 15 مارس من كل عام بيوم الدبلوماسية والذى يتوافق مع ذكرى عودة العمل بوزارة الخارجية فى 15 مارس 1922 وذلك بعد إعلان الاستقلال عن بريطانيا، حيث كان قد تم إلغاء الخارجية المصرية لمدة سبع سنوات بعد إعلان الحماية البريطانية على مصر 1914 باعتبار وزارة الخارجية أحد أهم مظاهر السيادة والاستقلال، وكان المندوب السامى البريطانى هو وزير الخارجية آنذاك. وبعد ذلك التاريخ أى 15 مارس أصبح لمصر تمثيل دبلوماسى وقنصلى بالخارج. وفى 16 مارس صدر منشور موجه لممثلى الدول الأجنبية فى مصر بتعيين عبد الخالق ثروت باشا وزيراً للخارجية.

إلا أنه تاريخياً فإن الخارجية المصرية تعد من أعرق وأقدم المؤسسات الدبلوماسية فى العالم حيث يعود تاريخ إنشاء أول وزارة خارجية مصرية إلى عام 1819 حيث وجه محمد على أمراً إلى «الخواجة باغوص بك يوسيفيان» لتولى وظيفة الترجمان ليقوم بالاتصال بالجاليات الأجنبية فى مصر وللتعامل بين مصر والمجتمع الدولى. وبهذه المناسبة يخصص هذا المقال للتعرف على الدبلوماسية بأنواعها المختلفة ودورها فى إدارة العلاقات الدولية وذلك كما يلى:

أولاً: تعريف الدبلوماسية

الدبلوماسية بمعناها العام الحديث، والذى يتماشى مع مفهوم القانون الدولى هى مجموعة المفاهيم والقواعد والإجراءات والمراسم والمؤسسات والأعراف الدولية التى تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، بهدف خدمة المصالح العليا (الأمنية والاقتصادية) والسياسات العامة، وللتوثيق بين مصالح الدول بواسطة الاتصال والتبادل وإجراء المفاوضات السياسية وعقد الاتفاقات والمعاهدات الدولية.

وتعتبر الدبلوماسية أداة رئيسية من أدوات تحقيق أهداف السياسة الخارجية للتأثير على الدول والجماعات الخارجية بهدف استمالتها وكسب تأييدها بوسائل شتى منها ما هو إقناعى وأخلاقى ومنها ما هو ترهيبى (مبطن). وبالإضافة إلى توصيل المعلومات للحكومات والتفاوض معها تعنى الدبلوماسية بتعزيز العلاقات بين الدول وتطورها فى المجالات المختلفة وبالدفاع عن

سكرتير ثان هند منذر ابورية

مصالح وأشخاص رعاياها فى الخارج وتمثيل الحكومات فى المناسبات والأحداث، إضافة إلى جمع المعلومات عن أحوال الدول والجماعات الخارجية، وتقييم مواقف الحكومات والجماعات إزاء قضايا راهنة أو ردات فعل محتملة إزاء سياسات أو مواقف مستقبلية. ولقد عرف العمل الدبلوماسى أنواعاً مختلفة للممارسة الدبلوماسية منها ما هو تقليدى ومنها ما هو معاصر.

ثانياً: الدبلوماسية الثنائية أو التقليدية

هى أقدم صور العمل الدبلوماسى، ويقصد بها تنظيم العلاقات بين دولتين على أساس مفاوضات ثنائية بينهما. والدبلوماسية الثنائية تتمثل مهامها فى المحاور الرئيسية التالية: بناء العلاقات السياسية/ التعاون والبعد الأمنى/ الثقافة والإعلام والتعليم/ الدبلوماسية العامة/ التعاون والتنسيق والتواصل بين وزارات الخارجية/ الدبلوماسية الاقتصادية/ الشئون القنصلية/ دبلوماسية القمة الثنائية بين رؤساء الدول والحكومات. وتمارس الدبلوماسية الثنائية الأطراف دورها عبر بعثات دبلوماسية تقليدية، أى عبر سفارات معتمدة فى الخارج، والتى نظمت مهامها، وروعيت حصاناتها وامتيازاتها والتى حددتها اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية عام 1961.

ثالثاً: دبلوماسية المنظمات الدولية

تمتاز دبلوماسية المنظمات بطابع الديمومة والاستمرارية عبر بعثات الدول الدائمة لدى المنظمات الدولية. وهى تخضع لقواعد ثابتة مستمدة من القانون الأساسى للمنظمة واللوائح الداخلية لهيأتها العامة وتقاليد العمل فيها. وهى تمارس داخل إطار ثابت فى مقر المنظمة الدولية بمعاونة الأمانة العامة الدائمة. وأحياناً تكون ذات طابع مؤقت عبر دعوة إحدى المنظمات الدولية لمؤتمر لبحث قضايا دولية محددة. وتمتاز دبلوماسية المنظمات الدولية بعلاقاتها الواسعة مع أشخاص دوليين آخرين مثل علاقاتها ببعضها البعض أو علاقاتها مع دول أعضاء وغير أعضاء فيها، وكذلك مع حركات تحرير وطنية (عضوية مراقب) وأخيراً مع منظمات دولية متخصصة (وضع استشاري). وتتم ممارسة المنظمة الدولية لعلاقاتها الخارجية بواسطة مجموعة من موظفيها، يسمون بالموظفين الدوليين، ويتمتعون بوضعية خاصة بهم، منصوص عليها فى دستور المنظمة، أو بروتوكول ملحق بالاتفاقية الإنشائية أو من خلال اتفاقية المقر. وهذه الأخيرة الهدف منها تنظيم العلاقات ما بين المنظمة والدولة المقيمة على أرضها. ونشير هنا إلى اتفاقية فيينا لعام (1975) الخاصة بالعلاقات ما بين الدول والمنظمات الدولية ذات الصفة العالمية، (الأمم

المتحدة والمنظمات الدولية المتخصصة التابعة لهـا)، والقصد منها تنظيم هذا الشكل من الممارسة الدبلوماسية، من حيث إنها تطبق علـى البعثات الدائمة للدول المعتمـدة لدى أو فى المنظمات الدولية أو حتى على الوفود المشـاركة فى اجتماعات أو مؤتمـرات المنظمة الدولية.

رابعاً: دبلوماسية المؤتمرات الدولية

هنـاك ظاهرة جديدة تتسـم بها الدبلوماسـية الحديثـة وهـى كثرة المؤتمرات، حتى أنها تكاد تتكرر خلال الشهر الواحد للتشـاور فى مشكلة أو لاتخاذ موقف مشـترك إزاء قضية ما. وتمتاز هذه الدبلوماسـية بأنها مؤقتة ودائمة فى نفـس الوقت، لأنها تتم عبر وفود لدول وأشخاص دولية أخرى. كما أنها تعقد فى زمـان ومكان محددين لبحث قضية ما أو مجموعة من القضايا الدولية المختلفة. وكمثال افتتاح الجمعية العمومية للأمم المتحـدة أو مؤتمرات القمة أو وزراء خارجيـة أو مؤتمرات دولية عامـة... إلخ. ويتم انعقادها بناء على دعوة الدولة أو المنظمات الدولية. وسواء كانت هذه المؤتمرات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية... إلخ، فإن العمل فيها يخضع لأسلوب يختلف جذرياً عن الدبلوماسـية الثنائية التقليدية، فإذا كانت الاتصالات التى تجرى بين أعضاء المؤتمر قد تكون ثنائية وسرية أحياناً فإن كثيراً من المناورات الدبلوماسـية تجرى علانية لإشراك الرأى العام فيها، وللتأثير عليه رغبة فى الاسـتفادة من ذلك فى توجيه سياسات الدول، كما أن العمل فى المؤتمر عمل جماعى يخضع للتصويت وتكون نتائجه علنية.

خامساً: دبلوماسية القمة أو الدبلوماسية المباشرة

ويقصد بها المؤتمرات التى يعقدها رؤساء الدول فيما بينهم لمناقشة بعض القضايا الدولية، أو العلاقات بين الدول المشـتركة فى لقاء القمة. لقد شـاع فى السـنوات الأخيرة هـذا النمط من الدبلوماسية، ولقد جاءت فكرة لقاءات القمة كوسـيلة لوضع حلول جذرية أو اتفاقيات مهمة بين الدول، حيث إن لقاء زعماء الدول بمـا لديهم من صلاحيات واسعة سيسـاعد على سرعة الوصول إلـى قـرارات مهمة. ولقـد أصبحت معظم الاتفاقيـات الدولية المهمة التى تم الوصول إليهـا بعد الحرب العالمية الثانيـة وكانت ذات أثـر على مجرى العلاقات الدولية كانـت وليدة لقاءات قمة بين الدول.

سادساً: الدبلوماسية الاقتصادية

يقصد بالدبلوماسـية الاقتصادية النشـاطات الدبلوماسية التى تستخدم العامـل الاقتصـادى فـى التعامل السياسـى. وعادة ما يتم ذلك من قبل الدول المتقدمة فى مقابل الدول النامية، وقد برزت هذه الدبلوماسية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، فقد تم إنشـاء العديد من المنظمات الدولية ذات الطابع الاقتصادى التى تشـكل إطاراً للنظام المالى الدولى وللنشـاطات التجارية للدول الحديثة، ومـن أهمها صندوق النقد الدولـى (IMF) والاتفاق العام للتعريفات والتجـارة(ITO) ومنظمة التعاون والتطور الاقتصادى (OECD) وغيرها. ويعتقد البعض أن الأسـلحة الاقتصادية لهذا النوع من الدبلوماسية أصبحـت متفوقة بمقيـاس الفاعلية التقليدى فى الممارسـات الدبلوماسية بين الـدول. مما جعـل التهديد الذى تستشعره الدول لاستقلالها أخذ ينتقل مـن دائرة الأمـن إلى دائـرة التبعية الاقتصادية.

سابعاً: الدبلوماسية الشعبية أو دبلوماسية الإعلام

تظهر الدبلوماسـية الثقافية فى العالم الدبلوماسـى كأداة جديدة لخلق علاقات دبلوماسـية أفضـل لأن تغير أفكار الناس مرتبط بنشر ثقافة بلدانها. وتعتبـر الدبلوماسـية الثقافية نمطاً جديداً ومتطوراً من أنماط الدبلوماسية الدوليـة، ويقصـد بها تلـك الجهود الدبلوماسية التى ترمى إلى إحداث تغيير فى التصـورات التى تحتفظ بها الدول عن غيرها وما يرتبـط بذلك من تغير فى أنماط سلوكها تجاه الدول الأخرى، وإيجـاد تأييد شـعبى لثقافة معينة يساعد على خلق اسـتجابات إيجابية لسياسـة الدولة خارج حدودها أى فى الدول الأخرى بما يسمح بإقامة علاقات مسـتقرة وروابط ودية بين الشعوب، وخلق المناخ لكل نظام سياسـى لأن يتفهم ويدرك مخاوف وأمانى وتطلعات ومصالح النظم السياسية الأخرى.

ومـن أبـرز المسـاهمات فـى الدبلوماسـية الثقافية تلـك الجهود الحثيثة التى تبذلهـا «منظمة التربية والثقافـة والعلـوم» التابعـة للأمم المتحدة، تقوم اليونسـكو بالعمل على إقامة حمـلات ثقافية بين الشـعوب وتشـجيعها على التعاون بغض النظر عن جنسـيتها وعقائدها، ونبذ التمييز العنصرى والاجتماعى والتوتر الدولى، وتشـجيع التفاهم الثقافى بين الشرق والغـرب، والمحافظـة علـى التراث الإنسانى، كذلك تقوم اليونسكو بالعمل على رفع مسـتوى العلوم الطبيعية لما لها من أثر مباشـر فى رفع المستوى الاقتصادى والاجتماعـى والثقافى فى العالم، ويشـتمل هـذا البرنامج على البحث عن الموارد الطبيعية، وتنسـيق البحث العلمى على المستويات القومية والدولية.... إلخ.

أما الدبلوماسـية الشـعبية غير المباشـرة فتستخدم بشـكل أساسى الإذاعات المسموعة والمرئية الفضائية منها بشكل خاص حيث إن هذه الأخيرة تقوم بنقل وجهة نظرها حول القضايا المختلفة وتحاول التأثير فى الشـعوب التى يصل إليها بثها وأحياناً يكون هذا البث بلغة الفئة المتلقية فعلى سـبيل المثال هيئة الإذاعـة البريطانية BBC وكذلك فعلت الولايات المتحدة من خلال راديو صوت أمريكا، وروسيا الاتحادية إذاعة السلام والتقدم... إلخ.

وختاماً فإن كافة ما سبق من أدوات وآليات للعمل الدبلوماسى فإن جميعها تتكامل مع بعضها البعض فكما سـبق توضيحه، فإن مجتمـع اليوم لا يمكن الاعتمـاد فيه فقط على الدبلوماسـية التقليديـة والتى تمـارس من خلال البعثات الرسمية المعتمدة وإنما تتطلب الجمع بين عدد مـن الآليات والأدوات الأخـرى وعلـى رأسـها الاقتصادية والثقافيـة لكى تسـتطيع الدول إعلاء مصالحها القومية.

المصطلحات والتعريفات المرتبطة بمنظمات ووكالات الأمم المتحدة:

مؤتمر الأمم المتحدة لنزع السلاح

United Nations Conference on Disarmament

سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

أولاً: تعريف المؤتمر

تأسس مؤتمر نزع السلاح فى عام 1979 كمنتدى متعدد الأطراف للتفاوض بشكل موحد على مستوى دولى فى شئون نزع السلاح.

جاء التأسيس ضمن أعمال الجلسة الخاصة الأولى لمؤتمر نزع السلاح المنعقد بعام 1978 بحيث يعمل على جمع الهيئات التى تتناول موضوع نزع السلاح ضمن مؤسسة واحدة ومنها: لجنة الأمم العشر لنزع السلاح ولجنة الأمم الثمانية عشرة لنزع السلاح.

بالرغم من الانفصال المؤسسى بين منظمة الأمم المتحدة ومؤتمر نزع السلاح إلا أن مدير عام مكتب جنيف للأمم المتحدة يعد أميناً عاماً لمؤتمر نزع السلاح، كما يتولى مهام مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة الخاص بشئون نزع السلاح.

ثانياً: أعمال المؤتمر

يتطرق المؤتمر من خلال أعمال المنظمة إلى تغطية مسائل وآفاق متعددة، بتناول بعض المهام التى قد تتجاوز المهمة الرئيسية التى تأسس المؤتمر بناءً عليها ومنها عشر مسائل رئيسية:

1 - جميع مجالات التسلح النووى.
2 - الأسلحة الكيميائية.
3 - أسلحة الدمار الشامل.
4 - الأسلحة التقليدية.
5 - خفض ميزانيات القوات المسلحة.
6 - خفض أعداد العاملين فى القوات المسلحة.
7 - نزع السلاح والتنمية.
8 - نزع السلاح والأمن الدولى.
9 - الجهود الدولية فى مجال بناء الثقة، وإجراءات الرقابة على النشاطات العسكرية بما يتوافق مع الاتفاقيات الدولية
10 - وضع برامج شاملة لنزع السلاح على المستوى الدولى.

أمّا بالنسبة للأعمال الرئيسية فاتخذ قرار بعمل المؤتمر فى مجالات سباق التسلح ونزع السلاح للأسباب والمهام التالية:

1 - وقف سباق التسلح النووى ونزع السلاح النووى.
2 - منع الحرب النووية، بما فى ذلك جميع المسائل ذات الصلة.
3 - منع حدوث سباق تسلح فى الفضاء الخارجى.
4 - اتخاذ ترتيبات دولية فعالة لتأمين الدول غير الحائزة للأسلحة النووية من استعمال الأسلحة النووية أو التهديد باستعمالها.
5 - الأنواع الجديدة من أسلحة الدمار الشامل والمنظومات الجديدة.
6 - البرنامج الشامل لنزع السلاح.
7 - الشفافية فى مسألة التسلح.

ثالثاً: عضوية المؤتمر

عند تأسيس مؤتمر نزع السلاح كان عدد الأعضاء 40 دولة عام 1978، تمت زيادة هذا العدد تدريجياً ليصل إلى 66 عضواً ثم عاد للتناقص ومؤخراً فى عام 2003 حيث تم حذف يوغسلافيا من عضويته.

عدد الأعضاء 65 عضواً، كالتالى: الجزائر، الأرجنتين، أستراليا، النمسا، بنجلاديش، روسيا البيضاء، بلجيكا، البرازيل، الكاميرون، كندا، تشيلى، الصين، كولومبيا، كوبا، كوريا الشعبية الديمقراطية، جمهورية الكونغو الديمقراطية، الإكوادور، مصر، إثيوبيا، فنلندا، فرنسا، ألمانيا، هنجاريا، الهند، إندونيسيا، إيران، العراق، أيرلندا، إسرائيل، إيطاليا، اليابان، كازاخستان، كينيا، ماليزيا، المكسيك، منغوليا، المغرب، ماينمار، هولندا، نيوزيلاندا، نيجيريا، النرويج، باكستان، البيرو، بولندا، جمهورية كوريا، رومانيا، روسيا الاتحادية، السنغال، سلوفاكيا، جنوب إفريقيا، إسبانيا، سريلانكا، السويد، سويسرا، سوريا، تونس، تركيا، أوكرانيا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية، فنزويلا، فيتنام، زمبابوى.

رابعاً: إنجازات المؤتمر

تمكن المؤتمر من تحقيق نجاحات كبيرة من بينها:

1 - معاهدة منع التجارب النووية فى الفضاء الخارجى وتحت سطح الماء لعام 1963.
2 - معاهدة منع الانتشار النووى لعام 1968.
3 - معاهدة الحد من التجارب النووية تحت سطح الأرض لعام 1974.
4 - معاهدة التفجيرات تحت سطح الأرض لأغراض سلمية لعام 1976.
5 - وآخرها معاهدة منع كل التجارب النووية لعام 1997.

خامساً: سياسة المؤتمر

يستمد مؤتمر نزع السلاح أجندته من الحوار القائم بين الأعضاء فى الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد تلقيها مقترحاً من المؤتمر، وبالرغم من احتفاظ المؤتمر بنظامه الداخلى المنفصل إلا أن له علاقة خاصة بالأمم المتحدة، حيث يتم تمويله من الميزانية العادية للأمم المتحدة، كما تعقد اجتماعاته ضمن مقر الأمم المتحدة فى جنيف، وتتم متابعة أعمال السكرتارية بواسطة موظفى الممثل عالى المستوى للأمين العام للأمم المتحدة لشئون نزع السلاح، كما يقدم المؤتمر تقاريره الدورية للجمعية العامة كل عام.

لمزيد من المعلومات، يمكن الاطلاع على الرابط الإلكترونى للمنظمة:

http://www.unog.ch/cd

تحليل وتعليق الدكتور محمد نعمان جلال على كتاب

«الصين والعالم :رؤية الصين للعالم ورؤية العالم للصين»

للسفير الدكتور السيد أمين شلبي

فى البداية أعبر عن التهنئة لأخى السفير الدكتور سيد شلبى على هذا الكتاب القيم و الدراسة المتعمقة التى قدمها فى هذا الكتاب وثانياً : الكتاب والباحث مثل كل الكتب والباحثين عن العلم والحقيقة به نقاط قوة ونقاط ضعف،والله سبحانه وتعالى يقول « وفوق كل ذى علم عليم » ثالثاً :الاعجاب بتواضع السفير سيد شلبى رغم علمه الغزير وإصداره مجموعة قيمة من الكتب والدراسات وهو متفان فى طلب العلم منذ بداية حياته واذكر عند انضمامه لأسرة المعهد الدبلوماسى منذ نشأته عام 1966، وكنت وزملاء من جيل الشباب نستمع لمحاضراته عن الاتحاد السوفيتى وكان عائداً من عمله الدبلوماسى فى سفارة مصر ومن هذه الزاوية فهو يعد من أساتذتى الدبلوماسيين .

رابعاً: إن هذا الكتاب الذى نتناوله وهو أحدث مؤلفات السيد شلبى يقدم دراسة متعمقة لرؤية الصين للعالم ورؤية العالم للصين أى أنه يتبع منهج البحث الدقيق والمقارن والتحليل العميق لموضوعه فهو يقدم الرؤيتين المتناقضتين ويتبع فى ذلك المنهج الهيجلى العميق فى فلسفة الديالكتيك أى الفكرة ونقيضها، كما يسعى لتقديم التوليف أو المرحلة الثالثة من المنطق الديالكتيكى أو الجدلى الذى عبر عنه ودعا إليه الفيلسوف الألمانى فريدريك هيجل. ثم انتقل ليقدم الفكر الماركسى بالربط بين فلسفة هيجل وفلسفة المفكر الألمانى الآخر فيورباخ ليقدم لنا تحليلاً علمياً لدراسته لرؤية الصين للعالم ورؤية العالم للصين وهو المنهج المعروف باسم المادية الديالكتيكية الذى عبر عنه كارل ماركس بتوليفه بين المنهجين الديالتيكى والمادى ومن ثم توصل لمنهج المادية الديالكتيكية.

خامساً: ورغم عمق المنهج الديالكتيكى المادى والمادية الديالكتيكية فإن كارل ماركس وقع فى أخطاء من حيث التحليل بتقديمه مفهوم صراع الطبقات والتنبؤ بأن الثورة البروليتارية ستحدث أولاً فى روسيا وألمانيا ولكن ما حدث هو حدوث الصراع فى البلد الصناعى المتقدم وهو بريطانيا مما جعل نظرية ماركس ترد عليها تحفظات، وأضيف أن نظريته عندما جرى تطبيقها على الثورة فى الصين فى بداية القرن العشرين بزعامة صن يات صن لم تكن ثورة تتماشى مع فكر كارل ماركس وإنما مع منطق التطور من النظام الإمبراطورى إلى النظام الجمهورى عام 1911م ثم تصارع الثورة لعدة سنوات وبعد ذلك قامت ثورة الطلاب فى الصين عام 1919م التى تمخض عنها الحزب الشيوعى عام 1921.

وجاء انضمام ماوتسى تونج للحزب

سفير د. محمد نعمان جلال
galal_m@hotmail.com

منذ البداية وبدعم من زعيم صينى آخر هو شوان لاى الذى تعلم فى فرنسا وتعرض للثقافة الغربية وثقافة اليابان وغيرها من الدول بينما ظل ماوتسى تونج رهينة التراث الماركسى ثم اكتشف عدم ملاءمة هذا التراث للثقافة والتراث الحضارى الصينى ولا لمرحلة التطور الصينى حيث كان الفلاحون يشكلون السواد الأعظم. وقدم ماوتسى تونج تقريره الأول عن الفلاحين وهو ما اعتبر هرطقة من وجهة نظر الماركسيين الصينيين التقليديين وبعد مد وجذب فى قيادة الحزب برز فى المقدمة ماوتسى تونج كزعيم للحزب فى أوائل ثلاثينات القرن ثم أصبح الزعيم الأول للحزب وقدم عدة اجتهادات نشير إلى أبرزها:

* نظرية الثقافة فى كتابه «الثقافة الجديدة».
* نظرية المتناقضات الحميدة والمتناقضات الخبيثة وإمكانية تحول إحداها للأخرى وفقاً لأسلوب التعامل معها.
* نظرية الثورة الدائمة والتى تبناها تروتسكى وإن اختلف تفسير ماوتسى تونج عن منهج تروتسكى على المفهوم وارتباطه بالتراث الصينى.
* دور الفلاحين فى المسيرة الكبرى من جنوب الصين إلى شماله، ودور القوات المسلحة التى أنشأها ماوتسى تونج باسم جيش التحرير الصينى PIA والذى ظل حتى اليوم يحمل نفس الاسم وقد تم إنشاء الجيش عام 1927 وقام بتحرير الصين من ثلاثة أعداء:

الأول: الإقطاع والرأسمالية الذى تمثل فى الحزب الوطنى المسمى الكوفيتانج والذى تزعمه تشانج كاى تشيك وظل يقوده حتى وفاته بعد هروبه إلى جزيرة تايوان إثر انتصار الحزب الشيوعى بقيادة ماوتسى تونج له وانتصاره فى الحرب الأهلية من عام 1945إلى 1949حيث أعلن ماوتسى تونج قيام جمهورية الصين الشعبية.

الثانى: الاستعمار المتعدد الأطراف لمناطق من الصين والذى عبر عنه الاحتلال اليابانى واحتلال عدة دول لمناطق فى الصين ومن بينها بريطانيا والولايات المتحدة فحرر ماوتسى تونج الأقاليم المختلفة من احتلال وتدخلات الدول الأخرى.

الثالث: هو الفلسفة الماركسية التقليدية ولم يعاديها ماوتسى تونج ولكنه ابتكر فلسفته التى مزجت بين الفكر الماركسى التقليدى فى مفهوم صراع الطبقات وقيادة البروليتارية بينما التراث الصينى كان يعطى دوراً واضحاً لقيادة الفلاحين ولحرب العصابات وهذه الممارسات الصينية غيرت من مفاهيم كارل ماركس ولينين وتناقضت مع تطبيق ستالين لها. ومن ثم برزت الخلافات النظرية والعملية بين التطبيق الصينى والتطبيق السوفيتى وإن لم تتعمق وتظهر بوضوح للعلانية إلا بعد حدوث المراجعة Revision فى الاتحاد السوفيتى بعد موت ستالين ومن هنا بدأ الخلاف حول:

* النظرية والتطبيق .
* الأولويات الوطنية حيث طالب ماوتسى تونج القيادة السوفيتية بإعطائه

الســـلاح النووى ورفض الســـوفيت ذلك ومن هنـــا وقع الانشـــقاق والخلاف حول مفهوم أمن كل دولة رغم الانتماء للشيوعية الماركســـية نظرياً ولكنه اختلف من حيث التطبيق.

ســـادســـاً: لماذا نتناول هـــذا الإطار النظرى للماركسية اللينينية وفكر ماوتسى تونج وتناقضها مع الماركســـية اللينينية الستالينية وما بعدها، السبب الرئيسى فهم رؤية الصين للعالـــم ورؤية العالم للصين تســـتمد جوهرها من هذا الفكر الماركسى الصينـــى وتناقضه مع الفكر الماركســـى الروسى ومع الفكر الليبرالى الغربى الداعى للرأسمالية والديمقراطية، وكما هو معروف فإن أية حركة سياسية دون أساس فلسفى ورؤية فلن تنجح ولن يكتب لها الاستمرار.

ســـابعاً: الرؤية الصينية كانت تتسم بالآتى:

1 - الوضوح

2 - الاستمرارية

3 - التوليف بين الفكر الماركســـى التقليدى النابـــع من الثقافـــة الأوروبية الألمانية والفكر الماركسى الصينى النابع من تراث وحضارة الصين.

4 - إن ماوتســـى تونـــج اعتمد فى كثيـــر من كتاباته وتطبيقاتـــه على الفكر والتراث الصينى من النظرية الإستراتيجية العســـكرية فى فكر أبرز مفكر عسكرى صينى وهو صن تـــزو Sunzu فى كتابه «فن الحرب» Art of Warوالذى استطاع إقناع قادة بعـــض الأقاليم الصينية بتبنيه ومن خلال ذلك ســـاعد فى توحيد الصين وبروز المبدأ السياســـى الأهم فى الصين وهو مبدأ الوحـــدة الصينية وعدم تجزئتها أو انفصال أى منها. وهذا يفســـر موقف الصين الحديثة من انفصال أو اســـتقلال أى جزء منهـــا والإصرار علـــى محاربته ويفسر موقف الصين من التبت وسينكيانج وتايوان ومنغوليا أى الحرص على استعادة الحضاريـــة القديمة. كما يفســـر علاقات الصين بكوريا الشمالية وبفيتنام والخلاف والاتفاق بينهمـــا، وهو ما يدور فى العصر الحديـــث نتيجة تدخلات النظـــام الدولى بقيادة الولايات المتحدة.

5 - واعتمـــاد ماوتســـى تونج على التراث الصينى لم يعبـــر عنه صراحة فى عهد ماوتســـى تونج وإن تم الأخذ به عملياً فى مؤلف ماوتســـى «الكتابات العسكرية» التـــى أخذت بحـــرب العصابـــات ودور الفلاحين ونجحت فى الوصول للســـلطة

غلاف الكتاب

وتوحيد البلاد، والدور العسكرى فى النظام الصينى يجعله مختلفاً عن دور العسكريين فى الفكر الإستراتيجى الغربى.

القسم الثانى من التعليق على الكتاب «رؤية الصين للعالم ورؤية العالم للصين»

وهنا نقول:

- إن محـــور الكتاب هو مفهوم أن الولايات المتحدة هى العالم باعتبارها القوة العظمـــى المهيمنة والباقـــون تبع لها أو حلفاء لها من الدول الأوروبية لليابان وهذا محور رئيسى من محاور الكتاب.

- المفهـــوم الثانـــى الذى يؤمن به الغرب وبخاصـــة الولايـــات المتحدة فى نظرتهم للسياســـة الدولية أنها سياســـة مصالح وطنية وتعتمد على مفهوم التنافس والصراع ومن هنا قامت الحربان العالميتان والحروب الإقليمية.

- بينما الفلسفة الصينية المستمدة من التراث التقليدى تقوم على ثلاثة مفاهيم رئيسية:

* تبـــادل المنافع لتحقيـــق المصالح الوطنية.

* الكسب للجميع win - game Win وليس الكســـب لطرف وخسارة للآخر أى ترفض نظرية zero sum game.

* التناغم Harmony كجزء رئيســـى من الفلســـفة التى عبر عنها كونفوشيوس والتـــراث الصينى قبله. وهـــو ما رفضه ماوتسى تونج واعتبر كونفوشيوس معبراً عن الإقطاع والرأســـمالية بخلاف النظرية الماركسية والفكر المادى.

- ولكن الصيـــن الحديثة أخذت من عهد دنج شـــياو بينج بالدعـــوة لنظرية «الإصلاح والانفتـــاح» منذ عام 1978حتى الآن مع إحداث تطورات وإضافات على فكر الحزب الشيوعى الصينى لتتواكب مع ثلاثة تطورات:

* الأول: التطور الاقتصادى والتنموى.

* الثانـــى: دور القـــوى السياســـية غير الشـــيوعية والتى تحالفت مع الحزب الشـــيوعى طوال مرحلة نضاله ثم دخلت معه فى قيادة الصين كحليف أصغر تحت قيادة الحزب «والصين بها ثمانية أحزاب» صغيرة ذات طابـــع ليبرالى صينى وليس ليبرالى غربى أو ماركسى.

* الثالث: ضـــرورة تطور الفكر ليعبر عن الواقع المادى والاقتصادى فى المجتمع ومن هنا قدم الزعيم الصينى الثانى جيانج تزمين نظريته فى ما أســـماه «التمثيلات الثلاث» التى عدلت دســـتور الحزب ليعبر عن دور الرأسمالية الجديدة دون تسميتها بل أطلق عليهـــم رجال الأعمال وأيضا دور المثقفين وكلا الأمرين يتعارضان مع فكر كارل ماركـــس ومع فكر ماوتســـى تونج أضف لذلك دور القوات المسلحة فى قيادة الثورة وحماية النظام وهذا التمثيل الثالث يختلف عن الفكر الماركسى التقليدى.

- ثم جاء الرئيس الثالث للجمهورية بقيادة خوجنتاو ليقدم لنا إضافته بإحياء نظرية التناغم Harmony مســـتمداً إياها من فكر كونفوشـــيوس والفلسفة الصينية القديمة. وأضاف Harmonyلذلك توسيعه لها بأن التناغم فى العلاقـــات بين الدول والسياســـة الدولية وليس فـــى المجتمع الداخلى وطبقاته فحسب كما عبر عن ذلك كونفوشيوس. وهكذا تم إحياء فكر الصين وتراثها وقادتها البارزين وأنشـــأت الصين معاهد ثقافية باسم «معهد كونفوشيوس» باعتباره فيلســـوفاً عبر عن تراث وحضارة الصين.

- الرئيس الرابع الحالى «شـــى جين بينج» عبر عن أربع حقائق:

الأولى: بروز الصيـــن القوية النامية بسرعة.

الثانيـــة: تطلـــع الصين لاســـتعادة حضارتهـــا وتراثها وقوتها والصين نظرت فى تاريخها إلى أنها محـــور الكون وهذا واضح فى اسمها.

الثالثة مفهوم الحلم الصينى أو الرؤية الصينية المستقبلية وهو ما عبر عنه باسم الحلم الصينى ببناء الصين العظيمة صاحبة الحضارة العظيمة واحتلال مكانتها كقوة عالمية عظيمة وهى التى كانت فى الماضى تنظر للدول الأخرى خاصـــة دول الجوار بأنهم برابرة وبنت ســـور الصين العظيم لحمايتها من هؤلاء البرابرة أما الصين فهى اعتبرت بحكم اسمها باللغة الصينية محور

أو مركز العالم. Zhongguo

الرابعة: التطلع للتعاون الدولى كأساس للتنمية والتقدم والسلام وكانت مبادرة طريق الحرير هى الأساس فى هذه المرحلة الجديدة. ونظر الغرب بوجه خاص وبعض الدول الآسيوية بتحفظ شديد لتلك النظرية وفسروها بأنها رؤية صينية للسيطرة على العالم وفى مقدمة المعارضين الولايات المتحدة والهند واليابان وكثير من الدول الأوروبية، ولكن رؤية الصين لتلك المبادرة أنها وسيلة وأداة لتحقيق ثلاثة أهداف:

1 - إنعاش الاقتصاد من دورة الركود والأزمات كما حدث فى عام 2008 فى الولايات المتحدة.

2 - تحقيق الأمن والسلام والاستقرار لدول آسيا الوسطى ولدول شرق وجنوب شرق آسيا للتعاون الصينى معها فى إطار بنك التنمية الآسيوى الممول فى معظمه من الصين والذى يعمر بالمشاريع تلك الدول. وبنك التنمية لآسيا الوسطى «السوفيتية سابقاً» والتى كان يعبرها طريق الحرير القديم.

3 - محاربة الإرهاب الذى أساسه العامل الاقتصادى والعامل الثقافى والسياسى فالتنمية عبر طريق الحرير كفيلة بإقامة نظام دولى جديد يستند إلى التعاون والتناغم والكسب للجميع. ولذلك رفع جى جين بينج شعار»طريق واحد وحزام واحد» كمفهوم معبر عن التعاون والتناغم الدولى عبر طريق الحرير البرى أو طريق الحرير البحرى.

الخلاصة:

ما أريد أن أقوله يتمثل باختصار فى الآتى:

1 - إن نظرة الصين للعالم هى نظرة تعاون وتناغم وسلام وإن شابها نظرة دونية أو عنصرية نابعة من مقارنة حجمها المساحى والسكانى وإنتاجها الاقتصادى مقارنة بالدول الأخرى.

2 - أما نظرة العالم للصين فهى نظرة تنافس وصراع مما يؤدى للصدام ويمكن القول أن نظرة الصين للعالم المعاصر فهى نظرة تعددية تقوم على: القطبين وهو ما عبر عنه الرئيس الصينى الحالى شيْ جين بينج فى أول لقاء له مع الرئيس الأمريكى باراك أوباما فى كاليفورنيا عام 2013. مع الدعوة فى نفس الوقت للتعددية بوجه عام .

3 - بينما نظرة العالم للصين هى نظرة استعلاء وضرورة خضوع الصين كغيرها للسيطرة والهيمنة الأمريكية على البحار والمحيطات، وعلى النظم السياسية التى يجب أن تتحول لديمقراطية على النمط الغربى، وهذا ما أدى للدمار والخراب فى الشرق الأوسط وبخاصة الدول العربية فيما عرف بثورات الربيع العربى، واكتشف كثير من المفكرين والسياسيين العرب أنه لم يكن ربيعاً بل خريفاً أو شتاء قارساً ودماراً وخراباً وليس ديمقراطية بل حروب أهلية وطائفية كما فى سوريا واليمن والعراق وليبيا. وإن اختلفت حالتا تونس ومصر اللتين اعتمدتا على مناهج مختلفة. مصر أخذت بالدور الرئيسى للقوات المسلحة تماشياً مع تاريخها ومع الفكر العالمى الصحيح الذى عبر عنه ماوتسى تونج فى مقولته «السلطة تنبع من فوهة البندقية» وكما عبر عنه الفكر الغربى might is right .

4 - مفهوم النمو التدريجى and Evolutionary Gradually وليس الثورات العنيفة Violent مع إضافة المفهوم الغربى فى إعطاء أولوية للطبقة العليا الرأسمالية باعتبار أساس التنمية ومن ثم إعطاء الطبقات الأخرى أولوية متأخرة وإلقاء تبعية التنمية على عاتقها عبر الضرائب وما يشابهها وهى نظرية مدرسة شيكاغو للاقتصاد التى تبناها صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للإنشاء والتعمير، وهذا المنهج المتميز أدى لكثير من المعاناة للطبقات الوسطى والفقيرة ومكاسب للطبقة العليا.

5 - أكرر التعبير عن التهنئة للدكتور السفير السيد شلبى لكتابه المتميز ولكن فى نفس الوقت أرجو أن يعيد قراءته وتصحيح الأخطاء التالية:

* النحو واللغة العربية فى كثير من الصفحات.

* الطباعة السيئة وخاصة الإشارة لمارتن Martin Jacques صاحب أشهر الكتب بعنوان «عندما تحكم الصين العالم» When China rules the Word والذى يدور محوره حول ثلاث حقائق تاريخية هى:

الأولى: كيف أن الصين تسعى لتشكيل العالم وفقاً لرؤيتها، وهو يحلل ما سيحدث من تغيرات جذرية تؤثر على العالم بأسره من سعى الصين لتشكيل العالم وفقاً لرؤيتها.

الثانية: إنه عندما تحكم الصين العالم سيمثل عودة الإمبراطورية الوسطى «المركزية» وهو ما يعنى نهاية العالم الأوروبى.

الثالثة: إنه فى تقديرى كتاب غير دقيق وله بعد سياسى غربى فى إثارة المخاوف من الصين. وأنا التقيت بالمؤلف فى عدة ندوات فى الصين وتناقشت معه. فهو يبالغ فى إبراز قوة الصين وصعودها وخطورة ذلك، وهو ما يجعل الغرب يخاف من الصين ويسعى لتدميرها. وهذه هى الرسالة غير المعلنة لكتاب البروفيسور مارتن جاك والرسالة المعلنة هى الإشادة بتطور الصين وصعودها مما يخوف الآخرين منها.

وهذا يذكرنا بالمستشرقين الأوروبيين ودورهم فى نشر الفكر الاستعمارى ودعمه وتشويه التراث والحضارة الإسلامية وكذلك دعوة ما يسمى بالإسلام المتطرف «داعش وأشباهها والقاعدة وأشباهها» وهى مؤسسات أقامتها الاستخبارات الغربية وانساق وراءها المسلمون فى البداية ثم اكتشفوا خطورتها فى الإساءة للإسلام وانضمت لها عناصر من الدول الأوروبية وهذا منطق غير سليم تماماً مثل حالة المستشرقين وهاجم المفكر العربى الفلسطينى إدوارد سعيد بشدة دور المستشرقين والاستشراق دون إقلال من أهمية هذا الدور ولكن كوارثه وخطورته أكبر من مزاياه.

وختاماً: كتاب السفير السيد شلبى أتاح لنا الفرصة مجدداً للتعرف على الصين والسياسة الأمريكية والحديث عن اختلاف الحضارات ولا نقول صراعها وتصادمها كما قال العالم الأمريكى صمويل هنتنجتون، وإنما تحالف الحضارات أو تفاعل الحضارات وخاصة الحضارتين الصينية والعربية كما ظهر فى التعامل مع العالم العربى والإسلامى بل وبين الصين والدول الغربية بما فى ذلك الولايات المتحدة، وهذا يجعلنا ندعو للاهتمام بدراسة الحضارات ومفاهيمها ولا نركز فقط على جانب واحد من جوانبها بل نقدم النظرة الكلية.

والشكر موصول للهيئة المصرية العامة للكتاب على إتاحة الفرصة لمناقشة المؤلفات المهمة مثل هذا الكتاب.

البوسطجى

الكاتب الكبير يحيى حقى

أبدع تشيكوف مصر - يحيى حقى - فى تناوله لهذا العمل الأدبى الرائع «البوسطجى»، وقد تمتع كلاهما بميزة انفردا بها وهى الحس المرهف، وقد انشغل كلاهما بهموم البشر الذين يتعاملون معهم، أو المحيطين بهم، بل لم يقتصر انشغالهم وتعاطفهم مع البشر، ولكن انشغل كلاهما بالمخلوقات التى تحيط بهما فإذا كان يحيى حقى قد كتب قصة قصيرة بطلتها قطة، فتشيكوف قد كتب قصة بطلها كلب، يقوم برحلة تخترق صحراء سيبيريا، وهو جالس فى عربة كاميون صغيرة تخيل تشيكوف الأفكار التى يمكن أن تدور فى مخيلة الكلب وهو يتأمل النجوم الساطعة فى السماء.

سوسن رحمى

قصة استغرقت ما يقرب من مئة صفحة.

أما بطلنا «البوسطجى» الوافد من القاهرة للعمل فى أقاصى الصعيد، أى عليه أن يعيش فى سكون ووحدة وملل.

قسم الكاتب القصة إلى أربعة فصول وكأنه فى صدد كتابة مسرحية، غير أن السرد والتحليل التفصيلى للمواقف المختلفة، والشخصيات قد كسا العمل القصصى بخصوصية وتجديد لم تألفه من قبل.

عباس البطل، أو الشخصية الرئيسية للعمل الروائى، شاب قدم من القاهرة للعمل كبوسطجى فى هذه المدينة التى تكمن فى أقاصى الصعيد.

تبدأ القصة بلقطة داخل قسم البوليس، حيث تم استدعاء أحد المواطنين إلى مكتب معاون البوليس وتتوالى الأحداث، وقد امتزج تقديم الشخصيات بتفاصيل خاصة بظروف وحياة سكان القرية.

إن التصوير الفنى والتأثيرى للشخصيات المختلفة قد امتزج بوصف المكان، من حيث خضرة الحقول ووصف السكان والبيوت، وقد تخلل هذا التقديم تفاصيل عن طبائعهم وسلوكياتهم.

أما البوسطجى «عباس» القادم من القاهرة فكانت معاناته تحمل الكثير من الشقاء وقد أثر الملل على أحاسيسه المختلفة، فالوافد من القاهرة ينفر من كل ما يحيط به: أصوات الحيوانات، سلوكيات الغفر وخاصة الوحدة القاتلة التى فرضت عليه.

بدأت سلوكياته تتغير: إهمال مظهره، الإفراط فى شرب الخمر، فبدأ يملأ فراغه بقراءة الرسائل التى بين يديه، استسهل هذا السلوك بهدف التسلية، فإذا به رويداً رويداً يصبح طرفاً فى أحداث المرات التى يقرأها: رسائل جميلة وخليل الرسائل التى تتولى إرسالها الفتاة ثم استلام الرد عليها عن طريق امرأة عجوز تخبىء نصف وجهها.

أصبح عباس طرفاً غير عادى فقد بدأ يحكم ويحلل سلوك الطرفين، لم يكن عباس جاسوساً يريد أن يتسلى بمشاكل الناس، ربما بدأ بهذا الهدف ولكنه تحول إلى شخص آخر أصبح طرفاً فى المشكلة، طرفاً يحمل هموم التفكير فى مصير الفتاة الساذجة.

فى فقرة بالغة الروعة يصف الكاتب بأسلوبه التأثيرى: أصبح حزيناً وقلقاً على الفتاة، اختلط وصف مشاعره بوصف الطبيعة المحيطة به: الليل الصامت.

يقول الكاتب: فعباس يختار لقراءة هذه الجوابات ساعة متأخرة من الليل، وربما بين كأسين ويجلس بجوار النافذة يسند ذراعه على مائدته ذات الأرجل الثلاثة ووجهه فى غمرة ضوء المصباح ولكن فى تقاطيعه الساهمة حزن بعيد عن الانقباض مستريح غير قلق، خلفه كائن قريب منه إن أراد أن يراه فما عليه إلا أن يدير للنافذة وجهه فيقابله ليل فى ظلمة العمر، تلفح به الكون مرغماً، هبط على الفضاء حملاً ثقيلاً أحاط بالأرض كالقيد على الحقول كالكفن ولف القرى كالضماد وانحدر ولا حد لاتساعه إلى شقوق فاحتواها.

بعد مدة بدأ بينه وبين الفتى نفور فهو يكتب بالحبر خطاً جميلاً ولكن أثر التصنع والمجهود فيه واضح.

أحس البوسطجى أنه يستعرض من خلال خطاباته التى كان التصنع والاستعراض واضح فيها.. فإذا كانت الفتاة تعبر عن مشاعرها الجياشة بلا تصنع فالشاب يفكر فيما يكتب خاصة وهو إلى جانب عنايته الفائقة بخطه يستعرض بعض المعلومات، فيها تفاصيل مادية هذا إلى جانب وصفه الدقيق للحدائق مع استعمال لغة عربية فيها سجع.

أما الفتاة فكانت مخلصة ومندفعة فى عواطفها.

تتعقد الأمور فى وسيلة الاتصال.. وكان عباس طرفاً فى هذا التعقيد، بعد أن وقع الختم على إحدى الرسائل فأصبح من الصعب تسليمها للمرسل إليه، هكذا حدثت المأساة وظهرت أعراض الحمل على الفتاة. وذات يوم دقت أجراس الكنيسة لتعلن عن حدوث وفاة.

إن وصف حالة عباس والتصادم الحضارى الذى حدث بينه وبين المحيطين به، إلى جانب قسوة الوحدة والفراغ الذى كان يخيم على حياته، كل هذه العوامل اشتركت فى حدوث وتجسيد المأساة، كما أنها ساهمت فى تقديم هذه الرائعة الأدبية التى تعتبر إحدى روائع أعمال كاتبنا الكبير يحيى حقى.

قصة فى سجن

فى قصة «فى سجن» يستمر الكاتب فى تقديم نوعية أخرى من البسطاء الراعى الفقير، الساذج الذى يقود غنمه إلى مزرعتهم وقد اختلطت بساطته وسذاجته بالقطيع الذى يقوده. ثم اللقاء مع العجز والخطة الوضيعة التى وضعت لسرقة الغنم، غير أن مأساة الحارس الوفى للقطيع، والملازم للفتى تجعل عين القارئ تدمع، خاصة عند قراءة النهاية المأساوية للكلب.

لقد قلنا فى مقدمة المقال أن يحيى حقى يشفق على أبطاله فهو يختار أبطاله من البسطاء مثله مثل تشيكوف فيحبهم ويخترق أغوار نفسياتهم وأغوار عقولهم وبساطتهم فهم لا حول ولا قوة لهم.

سقطت جميلة لأنها فتاة ساذجة بسيطة أول مرة تتعرف على شاب فتقع فى حبه وتسلمه نفسها، أما الراعى البسيط فهو الآخر يستسلم للفتاة الغجرية فيتم وضع السم للكلب وسرقة الغنم، أما الكلب الذى يخضع للمشيئة التى خلق لها فقد خلق للحراسة.. خلق للتضحية من أجل الحفاظ على الأمانة التى كلف بحراستها، فلا ننسى وصف القرآن الكريم له فى سورة الكهف: «وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعباً».

يصف الكاتب الكلب وهو يحتضر تقول الغجرية: رجعت أدور عليه لقيته جنب شجرة بيطلع فى الروح راقداً بمؤخرته على الأرض رافعاً رأسه على قدمين مرتعشتين يهتز جسمه متشنجاً وحدق الكلب فى صاحبه ولمعت فى عينيه لحظة بارقة أمل ثم أطفأها سريعاً حزن عميق صامت لم ير من قبل عيوناً تبكى مثل عينى الكلب الخامدتين وكانت تكلمه وتقول: هذه آخر مرة ترانى.

يكاد يقول الكاتب بعد هذا الوصف أن الحيوان أخلص من الإنسان فى حبه، الإنسان الذى لجأ إلى كل حبل الزيف لتحقيق أغراضه.

لم يكن وصف هذه الشفقة التى يشعر بها الكاتب، ويجعلنا نشاركه فيها باتجاه هذا المخلوق الضعيف بالوصف الذى أتى مصادفة ولكنه مقصود كان صارخاً خاصة مقارنته بالزيف والقسوة التى تسلح بها البدو.

صدق ممزوج بالشفقة وقوة الملاحظة ودقة فى التعبير، هذا هو يحيى حقى الذى يمشى بين الخلق مثله مثل من سبقوه أمثال: موليير وتشيكوف والعباقرة الذين عاصرهم مثل نجيب محفوظ، وكله آذان صاغية وعيون تخترق حواجز المظهر.

صورة قلمية

سفير محمود عزت

6 شارع خالد بن الوليد !

رأى حسن شمس الحياة فى هذا الشارع الهادئ آنذاك بحى سيدى بشر الجميل الذى ولد فيه وعاش طفولته وصباه، وعندما بدأ يعرف بعض أصدقاء الجوار وقف يوماً وكان فى الخامسة ينظر من النافذة فإذا به يشاهد عينين خضراوين وشعراً ذهبياً ينظران إليه باهتمام! ابتسم قائلاً بخجل يميزه: صباح الخير! فلم ترد ذات العيون الخضراء وأسرعت لدخول منزلها مستاءة كمن يقول من هذا الذى يسمح لنفسه أن يتحدث معى !

دخل حسن حزيناً مكدوداً ووجد شقيقته سهير أمامه وكانت تكبره بقليل، وفهمت أنه غير سعيد. فحكى لها ما كان من موقف ذات الشعر الذهبى من صد! فضحكت وقالت: لا تحمل هماً! هل تريد أن تصادقها؟ فلم ينبس ونظر إليها بخبث هازاً رأسه بالرجاء !

فى اليوم التالى انتظرت سهير ذات العيون الخضراء حتى ظهرت بالنافذة ثم حيتها وسألتها عن اسمها فقالت: اسمى هايدى .

فقالت لها: واسمى سهير ولعلكم أتيتم حديثاً لسيدى بشر فنحن هنا منذ مدة طويلة.

ردت هايدى مستغربة الإطالة فى الحديث: نعم أتينا حديثاً للإسكندرية نقلاً من المنصورة حيث كان يعمل والدى !

فباغتتها سهير قائلة: تعرفى لى شقيق اسمه حسن يحبك كثيراً !

فصرخت هايدى معترضة: حبه برص!

ومرت أيام ونقل والد حسن للقاهرة ولكن قلب حسن ظل معلقاً بشارع خالد بن الوليد وسيدى بشر حيث دق قلبه لأول مرة بالحب.

«وحش الغابة !»

- ذهبت البنت إلى أمها تقول لها بغضب أن صديقاتها بالمدرسة تحكين لها عن شئ جديد لم تره قط اسمه «السينما»، و قد شاهدوا فيلماً جميلاً جعلهم يبكون من التأثر ويضحكون من المواقف بين الممثلين !

ورجت البنت أن تذهب هى أيضاً لهذا الشئ الجميل الذين يسمونه سينما !

عاد الأخ الأكبر من جامعته فوجد أمه فى انتظاره وحكت له عن رغبة أخته فى الذهاب للسينما، ثار ثورة عارمة وطلب حضورها أمامه، فلما رأته حسبته سيعاقبها لما بدر منها من رغبة «آثمة» فكيف تجرؤ على طلب الذهاب للسينما؟!

ولكن كانت الشفقة فى قلبه فتفهم رغبة أخته ووعدها بأن يصحبها قريباً لتشاهد فيلماً !

وفى اليوم الموعود استعدت وذهبت مع أخيها لمشاهدة فيلم اختاره هو بعناية واسمه «وحش الغابة!»

وقعت هذه الأحداث فى أوائل القرن العشرين !

تقدمها نادية الريس

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

ابتسام هانم العشيرى

بدأت الرابطة نشاط شهر فبراير بالغداء الشهرى فى جو دافئ بديع على ضفاف النيل فى مكان مختلف تمام الاختلاف عن كل ما سبق، حيث أمضت عضواتنا وقت ممتع وغذاء مختلف فى كازينو الحمام.

ولقاءنا الثانى كان فى رحاب النادى الدبلوماسى النهرى فى ضيافة ابتسام هانم العشيرى، لقاء ملىء بالخبرات والمعرفة الفنية والحياتية الفنية، ومحاضرة بحق مختلفة ومعلومات قل إن يتاح لنا الفرصة لسماعها أو الإطلاع عليها، بل المشاهدة العملية الاملة لكيفية تزيين البيض بالطريقة اليابانية بورق «الواشى»، وما هى البدائل لصنعه فى حال عدم توافره.

بدأ بتفريغ البيض وتنظيفه وتعقيمه وانتهاءً بعملية التزيين الكامل والتى تسمح بمكوث البيض سنوات وسنوات دون تغير.

الشكر كل الشكر لابتسام هانم العشيرى على كل ما تقدمه من تعا ون كبير وخبرات لعضوات الرابطة.

اللقاء قريبًا فى المعرض السنوى للهوايات لزوجات الدبلوماسيين

بالنادى الدبلوماســـى النهـــرى يوم 16 من مارس، نتطلع لمشاركتكم جميعًا وإلى اللقاء فى الشهر القادم.. تحياتى

رئيسة مجلس إدارة الرابطة نادية الريس

الفـنانة عقيله ريـاض

(مصرية على مر العصور)

أقامـت الفنانـة أ.د.عقيلة رياض معرضاً لأعمالها الفنيـة من اللوحات الزيتيـة بقاعة «الباب» بسـاحة دار الأوبـرا. والفنانة مـن خريجى كلية الفنون الجميلة بالإسـكندرية وحصلت على درجة الماجسـتير في عام 1994 وموضوعهـا « التحـول الدينى وأثره على فن التصوير فـي عهد إخناتون». كما حصلت علـى درجة الدكتوراة عام 2000 وموضوعها «القيم الفنية للرسم على القطع الحجرية والفخارية في الفن المصرى القديم». وهـى عضو نقابة الفنانين التشـكيليين وجماعة الأتيليه. وقد عملت مستشارة لعدة شركات في مجال الميديـا والدعاية وحصلت على التفرغ من وزارة الثقافة منذ عام 2002 وحتى عام 2010 لممارسة الفن.

وقد أقامت عدة معارض شخصية واشتركت في عدة معارض جماعية منذ عام 82 في الإسـكندرية والقاهرة (في أتيليه القاهـرة- جاليرى آرت هاوس- سـاقية الصاوى- فين آرت- متحف الفن الحديـث- قاعة بورتريه- ملتقى القصر الدولـى للتصوير عام 2008- قصر ثقافة سيوة- كلية الفنون الجميلة بالأقصر- دار الأوبرا- قصر الأمير طاز- قصر الفنون- النادى الدبلوماسـي- مكتبة الإسكندرية- عضو لجنة التحكيم ببينالى بورسعيد. كما شاركت فى عدة معارض دولية ولها مقتنيات في دول: البحرين- أمريكا- سويسرا- الإمارات- متحف جريدة الأهرام- متحف جامعة حلوان- متحف الفن الحديث).

مـن متابعة موضوعـات لوحات الفنانة المتميزة التي تغلف جدران قاعة الباب المتاخمـة لمتحف الفن الحديث يتبين أن عالم المرأة بكل تفاصيله يحتل الاهتمام الرئيسى في إبداع الفنانة. ومن كلمات الدكتورة عقيلة: إن شـخصية المرأة ليسـت مجرد جسـد.. إنما هي شخصية درامية.. هي روح.. ومعنى.. وحالة.

إن شـخصيات المرأة من خيالى وأحلامى وهى تنبض بالحياة.. أعمل.. وأحلم.. وأعيش معها..

إن مفهـوم الفن هو الـذى ينبع من ثقافات الشـعوب وتراث الأوطان ويتعايش مع الزمـان والمكان لينتج خليطـاً فنياً مـن التفاعـل الثقافي والحضارى في إبداعات فلسفية للإنسان وعلاقاتـه الزمنيـة والكونية.. حيث لا حدود.. ولا سـقف للخيال والإبداع في رحابة المجال الفكـرى. وكانت نهاية كلماتها: «عاشـت مصر حـرة.. الله.. الوطن.. الفن».

لقد مزجت الفنانـة رؤيتها لدور المرأة في الحياة وعبر التاريخ مع الفكر والخيال في سياق فلسفى.. فأبدعت!

كل التحيـة والتقدير لإبداع الفنانة ومع أصدق الأمانى وأطيبها.

الفـنان جـورج سـليم

(الـ50 سنـه فـن)

لقد شاهدت بوستر بلوحة الإعلانات بنادى الجزيرة يشير إلى إقامة معرض فن تشكيلى بقاعة سلامة لأعمال الفنان جورج سليم, وكان محتوى البوستر لغة جديدة في التعبير الفني لحيوان « الحصان» وانبهرت لمحتواه وسارعت في مساء نفس اليوم إلى قاعة العرض، ووجدت أسـلوباً جديداً في الأداء أمتعنى وجذبنى إعجاباً وتقديراً لإبداع الفنان الرائع جورج سـليم الذى لم يسبق لى الالتقاء به أو بأعماله الفنية من قبل.

وقد علمت أنه قضى سـنوات عديدة خارج مصر في إحدى الدول الأوروبيـة وأيقنت مدلول وخلفية عنوان المعرض الذى حدده (الـ 50 سنة فن) وقد أوضحت لوحاته مدى أبعاد خياله. وهو إحدى نقاط تفوق الفنان أثناء مولد العمل الفني بالإضافة إلى الكفاءة في اختيار الألوان المتناغمة وكذلك درجات اللون الواحد, وعشـقه للحصان الذى يرمز به الفنانون إلى معان عديدة بالإضافة إلى حساسيته واعتزازه بذاته وشموخه وارتباطه بفارسه, وأخيراً دقة الفنان في أدائه لكافة عناصر اللوحة وأشير إلى المرأة التي احتلت الركن الأيسر من أسفل اللوحة.

كل تقديرى واحترامى وإعجابى بإبداع الفنان المتميز جورج سليم

عندمـا تكـره كتـاباً

فرغـــت لتوى من قراءة كتاب «one thousond miles up the Nile» وهو ســـرد لرحلة ســـيدة انجليزية فى دهبية شراعية من القاهرة إلى وادى حلفا فى شتاء عام 74/1873.

وأنا أستمتع كثيراً بأدب الرحلات خاصة ما تم فى الأزمان السابقة فهو يعطى صورة عن أموال الإنسان والمكان فى الماضى وأحب بشكل خاص سرد من زار مصر فى الماضى ويحدثنا أحوالها وان كنت عادة اصدم بما فيها من عنصرية وتعالى يثير الحنق، وأذكر فى هذا الصدد كتاب الأديب الفرنسى جوستاف فلومير الذى اقتصر فى سرده على ما رأه فى المواخير ومع الفوازى وصدمت صدمة كبيرة فى اديب امريكا الساخر مارك توين فى كتابه «the cents abroad» الذى يسرد رحلة مجموعة من الأمريكيين إلى اليونان وتركيا ومصر وفلسطين ولم ير فى الآثار العظيمة إلا ضرائب حجرية بائدة.

أما كتابنا رحلة الألف ميل على النيل فكاتبته هـــى « Amelia Edwards » التى عاشت خلال الفترة من 1831 إلى 1895 فى العصر الفيكتورى فى أوج المد الاســـتعمارى البريطانى والصلف الامبريالى وبدأت اميليا حياتها العملية كأديبة لعلها تأثرت بمن ســـبقوها من الأديبات الانجليز مثل جينى اوســـتن والاخوات بردنتى ونشرت مجموعة من الكتب لم تحظ بنجاح يذكر باســـتثناء كتاب واحد وفى أثنـــاء اجازة لها فى فرنســـا مع صديقة اجتاحت الأمطار والجو السيىء طريقها فحولت وجهتها إلى مصر واســـتأجرت الذهبية وبدأت رحلتها موضوع الكتاب.

صدمت مـــن النعـــرة العنصرية المتعالية للكاتبـــة منذ الصفحة الأولى من مقدمة الكتاب التى تقول فيها يمكن اختزل زيارة مصر فـــى ركوب حمار والابحار فى زورق لمشاهدة ضرائب!

ومـــن المثيـــر للحنـــق أيضـــاً اســـتخدامها كلمـــة Natives لأهل البلـــد وهو لفظ عنصرى يســـتخدمه الأوروبيين لســـكان آســـيا وافريقيا وكا ما هو خارج أوروبا فإذا ســـافر بريطانى إلى فرنسا يقول على أهلها الفرنســـيين وإذا ذهب إلـــى المانيا يقولون الألمـــان ولا يقول عليهم أبداً Natives وصدق من قال ان القبح فى العين قبل أن يكـــون فى المنظر فقد ركزت إمكانيـــة على كل ما رأته قبحا بيوت قذرة اطفال تحط على وجوههم

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

الذباب دمامه الرجال والنساء كراهية للسلوك فإذا ساومها بائع فهو غشاش وإذا جاملها أحد فهـــو منافق، ولعل أكثر مـــا يبرز هذا المســـلك وصفها لمقابلاتها مع المســـئولين والأعيان فـــإذا أطالوا فى جلســـتهم وصفتهم بأنهم لا يقدرون الوقت وكلامهم فارغ لا قيمـــة له وتحكى عـــن أحد الأعيان زارها فى الدهبيـــة فقدمت له القهوة الانجليزية وسألته: هل أعجبتك فقال لها أعجبتنى وتعلق بأن سمات وجهه تغيرت عندما تذوقها وانها لم تعجبه حتما لكنهـــا لا تعزى ذلك إلى اللياقة والكياسة لكنها نتيجة للنفاق والكذب الذى يحكم الشرقيين.

وقد كشفت الكاتبة عن عنصريتها البغيضة ومكنون نفسيتها فى واقعتين الأولى عنـــد زيارتها لأطلال معبد قديم أثناء مرور جنازة توجهت إلى المقابر الخاصة بالقرية المجاورة وتصف امرأة تذر التراب على رأسها وتولول وتلطم خدودها على ابنها الوحيد الشاب الذى مات ولا تبدى أى بادرة تعاطف الثكلى المسكينة وتركز على هجمية وبربرية الشعوب غير المتحضرة فى التعامل مع الموت.

والواقعة الثانية التى تســـردها عن أعضاء الجماعة المســـافرة معها وهو رجل انجليزى هبط مـــن الدهبية مع بندقيته فـــى قرية ليصطـــاد الحمام وأصاب أثناء الصيـــد طفل فى الرابعة من عمره كانـــت أمه تحمله على كتفها وتســـرد الكاتبة رد الفعـــل البربرى الهمجى للقردين الذين نزعوا البندقية من الصيـــاد والتفوا حولـــه مولولين وقذفه قروى بحجر قاتـــل راجعا إلى الدهبية وتجمع القرويين على الشاطىء فأرسلوا إليهم رسول من بحارة الدهبية يشـــرح لهم خطورة ســـرقة بندقية الانجليـــزى وان لديهـــم طبيب على الدهبية تمكنه معالجة الطفل ان اعادوا البندقية فاذعن الفلاحين المســـاكين للتهديد وارســـلوا الطفل لعلاجه على الذهبية وتصف الكاتبة بكلمات تفيض بالعنصرية الكريهة الطفل الأسمر اللون الشـــبيه بالقرد الرميـــم الذى لم يكف لحظة عن البكاء وبعد أن ضمدت إحدى عضوات الجماعة التى سبق لها العمل بالتمريض جراح الطفـــل وأعطوا اباه جنيها انصرف ذويه فى سلام شاكرين.

وبعد انصراف الفلاحين الغاضبين اجتمع رفقاء الدهبية وقرروا ان الواجب يحتم عليهم ابلاغ السلطات المحلية عن الحادث لتتخذ الإجراءات الرادعة اللازمة

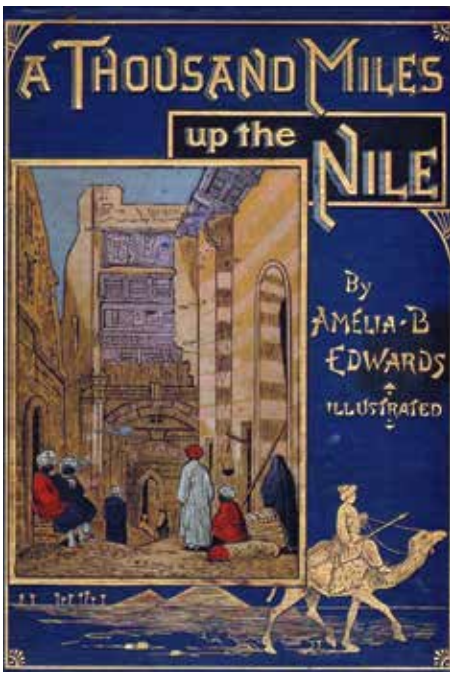

جوستاف فلومير

اميليا ادوار

ضد الفلاحين حماية للرحالة الأوروبيين فى المستقبل من غوغائية الفلاحين البرابرة! وذهبوا فعلا إلى مدير الاقليم الذى انزعج جدا لما تعرض له الانجليز ولم يكلف نفسه بمجرد استجواب مطلق النار الذى أصاب الطفل البرئ لكنه أمر بسجن 51 فلاحا الذين تجمعوا حول الانجليز لمدة سنة، أما المجرم الاثير الذى ألقى الحجر فحكم بسجنه سنتين وضربه 051 عصا على الفلكة.

كان هذا هو حكم المدير المصرى المفروض عليه الحفاظ على كرامة المصريين والدفاع عن حقوقهم، إلا ان الشائع فى هذا العصر كان الحق كل الحق للأجانب عصر الحماية ومحاكم القناصة والمحاكم المختلطة وهو الذى جعل الأوروبيين عندما يستاحون على النيل يرفعوا أعلام دولهم على دهبياتهم فتحدثنا الكاتبة عن دهبيات تحمل العلم البريطانى وأخرى العلم الفرنسى والألمانى والبلجيكى والأمريكى وفى كل مرسى يهرول إليهم المدير والمسئولين عارضين خدماتهم وملتمسين رضاهم.

ما تصوره الكتاب إضافة إلى أحداث أخرى مثل حادثة دنشواى التى نكل فيها بالمصريين وما يحكيه بماير اندرسون الذى أقمنا متحفا باسمه عن احكام بالسجن والجلد على أربعين مصريا تجمعوا خلال مشاجرة مع بريطانيين اضافة إلى رواية لصحفى أمريكى عن حادثة دهم فيها رجل بريطانى على جواده شرطى مصرى قبيل ثورة عرابى محملة زملائه إلى قصر الخديوى طلبا لحقه فما كان من الخديوى إلا أن أمر بجلد الجنود وفصلهم من الخدمة.

بقدر كراهينى للكاتبة وكتابها ومعاناتى أثناء قراءته إلا ان القراءة ليس الهدف منها الاستمتاع فقط لكن الهدف منها التعرف على الحقائق مهما كانت مؤلمة.

ولعل متابعة مثل هذا الكتاب والأحداث المشابهة توضح لنا قيمة ثورة عرابى وعظمة الحدث عندما يثور الفلاحون ويقفوا مطالبين بحقهم من ولى النعم الذى ينظر إلى الشعب على انهم عبيد احسانه وعظمة سعد زغلول الفلاح الذى قاد ثورة الشعب وجمال عبدالناصر الذى لا أقيس قيامته بتأميم قناة السويس أو بناء السد العالى لكن لم يكن يأمر بضرب فلاح انزعج لإصابة طفله برصاص صياد 051 عصا على الفلقة لإرضاء الانجليز لكنه أطلق صيحته الخالدة «ارفع رأسك يا أخى» ولعل فى هذا الكتاب يعطينا درسا فى اننا لا نقرأ كتابا لأننا نحب مادته أو كاتبه ولكننا نقرأ لنعلم ما كان مهما كانت مرارة المادة ولنعمل حتى لا يجرى فينا ما جرى ولا يكون ما كان مرة أخرى.

رجعت الكاتبة إلى بريطانيا بعد استكمال رحلتها على النيل ونشرت كتابها الذى حقق نجاحا باهرا واكسبها الشهر التى لم تحققها فى رواياتها السابقة واعتبرت بسبب الكتاب الخالى من أى مادة علمية حقيقية من الثقات فى علم المصريات!

وأسست فى عام 2881 قبل شهور من الاحتلال البريطانى لمصر صندوق اكتشاف مصر «Egypt Explaration Fund» لتمويل اعمال التنقيب الأثرية فى مصر والذى استخدم كغطاء لعمل المخابرات البريطانية فى مسر وسافرت اميليا إلى الولايات المتحدة فى عام 9881 لتلقى مجموعة من المحاضرات عن الحضارة المصرية كانت ناجحة على المستوى الجماهيرى، أما على المستوى الأكاديمى وأوساط علم المصريات فقد واجهت هجوم شديد بسبب قلة خبرتها فى علم المصريات وادعاءاتها بأنها تعلم ما لا تعلم.

ولعله من المهم أيضاً أن يدفعنا هذا الكتاب وأمثاله وهم كثار لأن ينشط كتابنا ومؤرخينا لأخذ الزمام لكتابة تاريخنا بأقلامنا وألا نتركه نهبة لكل مغرض وعنصرى وان نفذ ما يقولوه حفاظا على رونق تاريخنا وبهاؤه.

سيرك بلا حدود

هل يمكن تعليم الأطفال دون العاشرة قضايا الديمقراطية والحفاظ على البيئة وثقافة السلام والاهتمام بالأسرة ووقف التسلح ومقاومة سيطرة رجال الأعمال على الساسة والشعوب؟

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

سيرك متنقل عائلى من أربعة أفراد وصديق، درس الأب المسرح وعزف البيانو والساكسفون، واصطحبهما معه فى عربتين خشبيتين، بنتهما الزوجة وطرزت الأقمشة والستائر، العربتان تجرهما الخيول، ويضيئهما مولد يستخدم الطاقة الشمسية. السيرك مر بأرياف عدة دول أوروبية، يتحرك كل عدة أيام، وتمنح البلديات أصحابه المأوى فى فصل الشتاء القارس. أما الجمهور فهم أطفال ريفيون يجيئون فى صحبة الأهل، ويشارك بعضهم فى العرض الذى فاز فيلم تسجيلى عنه بجائزة فى مهرجان دولى، وصدر بشأنه كتاب أنيق مصور.

يبدأ المسرح برجل يسير فوق عصيان خشبية، يتعالى ويظهر سطوته وذاته المتضخمة ويحرك طفلاً متبلداً كدمية بخيوط، يتحكم فى توجيهها، ليحول الطفل إلى آلة لا تحس ولا تنفعل، تعيش دون روح لتنفذ ما يراد لها، حتى يجىء طفل آخر فى غيبة الديكتاتور، يحدث الضحية، ويبث فيه الأمل والانتعاش، إلا أن السلطة العائدة تخمد الصحوة فى مهدها وتتمالك الموقف حتى يتحول المحكوم إلى عالة على الحاكم، ويكون البؤس والفشل مصير الاثنين.

- نفس الذات المتضخمة هى من تدفع شاباً فى فصل لاحق ليتفنن فى مغازلة شابة، ويستعرض عضلاته وملكاته وحيله لينال إعجابها بأى شكل، ليرضى غروره، ويحبط الشك فى نفسه بفريسة مخدوعة ولو إلى حين، ولكن الأمر ينتهى به بجسد أنهكته الرياضة، وعقل انشغل بالمظاهر والتآمر، وطاقة مهدرة، ونفس وحيدة خائبة، تسكنها الظنون، وتفتقر للصدق، وكرامة أهدرها بهلوان عاجز عن تحقيق قناعة نفس وسكينة، تتطلب رجولة حقة نظيفة وتناغماً مع الذات والحياة وعلاقات صادقة مستقرة.

يستمر العرض ليصبح الشاب رجلاً بالغاً يسعى للسيطرة على الطبيعة باقتلاع الأشجار وقتل الحيوان وتلويث البيئة بالمصانع والمخلفات، لتنقلب عليه الطبيعة بالفيضانات والزلازل والكوارث، تعاقبه على تغليب مصالحه الضيقة وقصر النظر، وتفسد عليه أمنه واستقراره، وليدفع ثمن جبروته وجشعه وجهله.

إنه نفس البالغ المتهافت على المادة المكتسب من صناعة السلاح والتربح السهل والوجبات السريعة المفسدة للصحة، والذى يحتج عليه الأطفال والأبرياء بملء العالم بالورود والأشجار والتعايش مع الحيوان والرفق به والحفاظ على البيئة وحب الحياة وخلق الجمال والإبداع وإشاعة الحب والفرح والتلقائية.

- ينتقل العرض ليظهر البالغ المعاصر فى أسرته مشغولاً طول الوقت بهواتفه ومصالحه وعلاقاته والآلة الحاسبة والتلفاز، فيبدو كمؤدٍ لايعيش اللحظة، ولايدرك المشاعر العميقة، ولايمتلك نظرة شاملة، لايتمتع بحق، ولايهتم بأسرته وبأطفاله المشغولين بدورهم بألعاب إليكترونية تعلم القتل والقسوة، إنه لاهث هالك، ووحيد مضطرب، وقلق بلا نهاية، فيمضى به العمر وكأنه لم يعشه حتى تنفذ موارده ويمرض جسمه.

- تأملت العرض بعد نهايته فوجدته ألقى فى وعى أو لا وعى الطفل كيفية التعامل مع أهم ما سيواجهه فى حياته. طفلاً وشاباً وبالغاً مع النفس والآخر والطبيعة والأسرة والمال ونظام الحكم. وتذكرت أن بطله أعلن فى المقدمة أنه وزوجته جابا بقاع الأرض، وتركا حياة المدينة والرفاهية، ليبلغا الدروس للأطفال، فتلقوها بمرح وتسلية لقاء مبلغ زهيد.

- الزوجان يعيشان حياة متقشفة لنقل رسالة عجز أغلب البالغين المعاصرين عن فهمها كاملة فى الوقت المناسب، فأعادوا إنتاج الأخطاء، وشاعت الحروب والكوارث والأنانية والخديعة والشقاء والأمراض النفسية والجسدية والوحدة والمخاوف فى عالم مضطرب وغير عادل. الأبوان حرصا على تعليم أبنائهما بنفسيهما وبنظام الانتساب والمراسلة، فتخرج أحدهم طبيباً، والتحق ثان بالتعليم الجامعى، ويشارك طفلاهما الآخران فى العرض مع الأبوين. الزوجة ابنة رجل أعمال وأسرة ثرية، هجرت الرفاهية والحياة المصطنعة لتخدم البشرية بدءاً بأطفال الريف.

ويتمتع الزوجان بصداقات قلبية وباحترام صادق أينما حلا، فالتقدير للرسالة يفتح القلوب والعقول، ويحيطهما بالعرفان والتعاون.

- تذكرت فى بلدنا حكايات الأراجوز التى تنتهى برجل يتحكم فى زوجته الثائرة بالعصا، وبعض ما تقدمه برامج أطفال، تتعامل معهم كما لو كانوا عاجزين عن الإدراك لصغر السن، شعرت أنه بالإمكان تعليم الأطفال بأكثر مما نتصور، وأن المهارة الحقة تتجلى فى احترام الطفل والإيمان بقدراته وتبسيط العرض لا المغزى.

الأغنية ضـــرب من الكلام أو الخطاب الإنســـانى، وهى خاصة من خواص الإنســـان لازمته وتلازمه فى كل زمان ومكان. ولكنها مع ذلك ضـــرب متفرد فى طبيعتـــه وخواصه وآثاره. وهـــى تتميز عن الكلام الاصطلاحى من عدة وجوه:

1 - نظمها وطرائق تأليفها، فهى فى العادة تأتى بصورة منسوقة نسقاً صوتياً يتجاوب مـــع مكنون النفس ويعبر عـــن هذا المكنون ويفصح عنه فرحاً أو حزناً أو تسلية وترفيهاً أو أملاً وتطلعاً إلى آفاق أوسع وأرحب فى هذه الدنيا التى تشـــغل الإنسان ويتشاغل معها.

2 - أنها تجســـيد حـــى لكل ما يجـــرى فى مجتمع معيـــن من أوجه نشاط وأنماط سلوك وتصوير صادق لما يختلج فى نفوس الناس من آمال وآلام ولما يلفهم من أحداث ووقائع. أى أنها مرآة عاكســـة للحياة بكل أحوالها وظروفهـــا السياســـية والاقتصادية والاجتماعية .

3 - أن للأغنية دوراً فاعلاً وملحوظاً فى حياة اللغة، نمواً وازدهاراً وتثقيفاً وانتشارا أو تخلفاً وانحطاطاً أو تشتيتاً للبناتها وفقداناً لكيانها .

4 - أن الأغنيـــة بلغتها الخاصة، تخبر وتثقف وتهذب وترفه أيضاً، ومن ثم ينبغى أن تكون صادقة فى المبنى والمعنى، خالية من الزيف والتضليل أو الإسفاف والهجنة .

5 - المفروض أنها مطروحة على القوم أجمعين، ومـــن ثم ينبغى، فى الأساس أن تنسج نســـجاً قومياً، بأن يكون النســـيج على قدر المتلقين بما لهم من قيم وأعراف ولغة .

أنماط الأغنية:

بالإضافة إلـــى صورها التقليدية المعروفة، فإن الأغنية تنســـحب أيضاً على الأناشـــيد والأدعية والتواشـــيح والتهليل والتكبير، والهتاف الجماعى فى التجمعات الصغيرة والكبيرة على السواء .

وتتنوع صـــور الأغنيـــة بتنوع

سفير أشرف عقل

aklashraf56@gmail.com

الزمان والمكان، حيث ينصرف الناس إلى صنعها وترديدها من حين لآخر، طلباً إلى ســـكن النفس وترويحها أو إمتاعها وإزالة الهم والألم من ساحتها أو لقضاء حاجة تعـــود على صانعها ومرددها بالخير والنفع .

الأغنية المصرية:

مـــرت هذه الأغنية فـــى تاريخها الحديث خاصـــة منذ بدايـــة القرن العشـــرين وحتى وقتنا الراهن بعدة مراحل صعـــوداً وهبوطـــاً، وتوضح مسيرتها المساوقة فى مبناها ومعناها لما جرى ويجرى فـــى أرض الكنانة من وقائع وأحـــداث. وما لفها ويلفها من أحاسيس وشعور، ولما تختلج به نفوس أهلها من فكر وتوجهات، ولما غشاهم من ظروف الحياة وملابساتها، ولأنماط سلوكهم وتعاملهم مع النفس والآخريـــن، وعلاقتهم بهـــؤلاء، ولما شغلهم ويشغلهم من أمور خاصة أو عامة على السواء .

الأغنية الشبابية:

ظهرت فى أواخر ثمانينات القرن العشرين وما تلاها من سنوات موجة جديدة سميت «أغانى الشباب» اتسمت بالإيقاع الســـريع، ويشوبها الضعف والتدنى مـــن الوجهة الفنيـــة تأليفاً وتلحينـــاً وأداء، كما يشـــوب كلماتها الإسفاف والابتذال، ومعانيها سطحية خالية من التعبير الفنى الراقى، وكذلك الحال فى التلحين والأداء المشـــحون بالنشاز والاضطراب الذى لا يصقل ولا يهذب، وإنما يزعج وينفر ويملأ الجو بضوضاء زاعقة، لا معنى لها ولا قيمة.

لغة الأغنية:

اللغة المثاليـــة للعرب هى لغتهم العامـــة التى تجمع شـــتاتهم وتوحد أو تقـــرب اتجاهاتهـــم وتؤاخى بين أفكارهم، وهـــى اللغـــة العربية فى صورتها الفصيحة الصحيحة. وليس يضير الأغنية أحياناً ومؤقتاً -أن يأتى بعضها بالعامية، شريطة أن يكون هذا النهج محـــدوداً بمقاماته ومقتضيات حالـــه، وأن تكون هـــذه العامية على درجة مقبولة من الذوق العام، شكلاً ومضمونـــاً وأداء، مبـــرأة من الخلط واللغو والإسفاف فى بنائها ومعانيها.

ومـــن هنا، نتوجه إلـــى صانعى الأغانى ومؤديها فـــى بلادنا العزيزة، وندعوهم إلى تجويد بضاعتهم والسير بالقافلة ســـيرا آمناً صادقاً مخلصاً، للوصول إلـــى الأهـــداف الغالية من تثقيف وتهذيب، وتحريك للمشـــاعر والأحاســـيس، وذلك بصنع بضاعتهم من نســـيج ينتظم، بل يحكى، تقاليد القوم وقيمهـــم ومبادئهـــم، ويدعم لغتهم القومية وهى لغة القرآن الكريم الفصيحة الصحيحة.

كما نرغب فى أن تقف وســـائل الإعلام على تنوعهـــا مع الأغنية موقفاً حصيفاً راشداً، فتنظر وتدقق وتختار من الأغانى ما يعدل مسئوليتها ودورها فى هـــذا الواجب القومـــى، بوصفها القدوة والمعلم للجماهير كافة.

الفتح الإسلامى لمصر

لم يغب حلم فتح مصر عن الخلافة الإسلامية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب زمن الفتوحات الإسلامية لنشر الإسلام ولتقوية شوكة المسلمين، فاتجهت أنظار الخلافة الإسلامية إلى مصر بعد فتحها للشام والعراق وذلك لتأمين البلدين من الغزو البيزنطى وخوفاً من محاولتهم استعادتهما مرة أخرى.

عبير الروح سعيد

وكان الصحابى الجليل عمرو بن العاص ملماً بأحوال مصر حيث تعددت زياراته لها قبل الإسلام، حيث كان يعمل بالتجارة فوقف على الكثير من أحوال مصر فى ظل الحكم الرومانى وبعده البيزنطى، حيث اضطهد الرومان المصريين بسبب اعتناق المصريين للمسيحية، وسقط منهم آلاف الأشخاص فى عصر الإمبراطور دقلديانوس حيث كان يحارب المسيحيين ويحاول القضاء عليهم وعلى هذا الدين الجديد حيث كان وثنياً وزار مصر وأقسم بآلهته الوثنية أنه سوف يقضى على هذا الدين وسوف تغرق سنابك خيله بالدماء فى سبيل تحقيق غايته. وعانى المصريون أشد العناء وسمى عصره بعصر «الشهداء» ومن شدة العذاب الذى عانى منه المسيحيون اتخذوا من تاريخ تنصيبه إمبراطوراً بداية التقويم القبطى، لكن بعد تنصيب الإمبراطور قسطنطين العظيم وقف هذا العناء حيث إنه مرض ورأى فى منامه رؤية تحذره من قتل المسيحيين وخاف واعتنق المسيحية، ولكن على مذهب الطبيعتين للسيد المسيح. فى حين اعتنق المصريون المسيحية على مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح مما أثار حفيظته.

وأصدر قسطنطين مرسوماً بالاعتراف بالديانة المسيحية ديانة رسمية ككل الديانات فى الإمبراطورية البيزنطية وسمى ذلك المرسوم بمرسوم ميلان سنة 313م.

اضطهد الرومان والبيزنطيون المصريين وقاموا بفرض الضرائب الباهظة عليهم مما أدى لزيادة كره المصريين للحكم الرومانى البيزنطى، وقاموا بالعديد من الثورات وضحوا بالكثير من الدماء، ولكن دائماً كانت الحاميات الرومانية تخمد هذه الثورات.

فى ظل هذه الأحوال طلب الصحابى الجليل عمرو بن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب أن يتوجه لفتح مصر لتأمين الشام والعراق بعد الفتح العربى لهما.

تردد الخليفة عمر بن الخطاب فى البداية ولكنه اقتنع بكلام عمرو بن العاص، وخصوصاً لحب المسلمين لمصر وأهلها حيث ذكرت أكثر من مرة فى القرآن الكريم، ولزواج الرسول «صلى الله عليه وسلم» من ماريا القبطية ولبشارة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لهم بفتح مصر وأوصاهم بقبط مصر خيراً وأن لهم فيها ذمة ورحماً. فقد أنجبت السيدة ماريا القبطية ابن الرسول الوحيد إبراهيم الذى توفى فى الثانية من عمره.

وقال الرسول الكريم «صلى الله عليه وسلم»: «اتخذوا منهم جنداً كثيفاً فهم خير أجناد الأرض وهم فى رباط إلى يوم الدين». وكذلك إكراماً للسيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل أبو العرب وزوجة سيدنا إبراهيم.

فوافق الخليفة عمر بن الخطاب على فتح مصر وأرسل الصحابى عمراً بن العاص على رأس جيش قوامه حوالى ثلاثة آلاف وخمسمائة ألف جندى بخيولهم وعتادهم، وتوجه عمرو بن العاص الذى كان مشهوراً بذكائه ودهائه إلى مصر وقد أوصاهم الخليفة بعدم إحداث ضجة فى الطريق والسير بهدوء حتى وصولهم إلى حدود مصر.

كانت مصر أغنى ولايات الإمبراطورية البيزنطية مالاً وزرعاً وخيرات، وكانت بيزنطة تراها مصدراً مهماً للثراء، كما كان الحال زمن الرومان. وقد اعتمد الرومان على مصر لتزويد الإمبراطورية بالحبوب كما فعل أسلافهم.

ولم يقتصر ثقل مصر على إنتاج الحبوب بل تعداها إلى صناعة الزجاج والتعدين وورق البردى والكثير من المنتجات الصناعية الأخرى مثل النسيج والمواد الطبية والعطور وصناعة الفخار والصناعات الغذائية والزيت والنبيذ والخبز والمحاجر ومواد البناء، إلى جانب الصناعات المتعلقة بالذهب والفضة والنحاس والبرونز بالإضافة إلى تجارة التوابل من الهند والبخور من الحجاز واليمن والأحجار الكريمة من فارس والأخشاب من الشام والعاج من جنوب الصحراء الكبرى بإفريقيا عبر أساطيلها المنتشرة عبر البحر الأحمر وفروع النيل وقوافلها عابرة الصحارى. وقد اعتبرت مصر خلال الحقبتين الرومانية والبيزنطية صمام الأمان لغذاء العالم وسلة طعامه وفاكهته إذ كانت تصدر لروما وحدها 11 مليون أردب من القمح وكانت قادرة على إطعام جميع ولايات العالم الرومانى لدرجة جعلت البيزنطيين يفرضون على المصريين الكثير من الضرائب لإحكام قبضتهم على البلاد.

كانت الأوضاع السياسية فى مصر قبيل الفتح الإسلامى مضطربة نتيجة قرون من الاستغلال الرومانى والبيزنطى. فقد اتصف الحكم الرومانى لمصر بالتعسف وبرع الرومان فى ابتكار الوسائل التى تتيح لهم استغلال موارد البلاد ففرضوا على المصريين نظماً ضريبية متعسفة شملت الأشخاص والصناعات والماشية والأراضى. فقام المصريون بعدة ثورات ضد الحكم الرومانى لعل أشهرها التى قامت فى عهد الإمبراطور ماركوس أورليوس «161م - 180م» وتعرف بحرب «الزراع»، ولكن الرومان كانوا يقضون على هذه الثورات كل مرة. وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين تبعت مصر الإمبراطورية الشرقية البيزنطية.

كان الحكم البيزنطى لمصر مباشراً ومستبداً يدار بواسطة حاكم يعينه الإمبراطور، وكانت مصر بوصفها ولاية مرتبطة بالحكم المركزى تتأثر بما كان يحدث فى البلاط البيزنطى من صراعات ومؤامرات من أجل السلطة، فتعرض المصريون لأشد أنواع المضايقات فى عهد الإمبراطور فوقاس «602م - 610م» لما اشتهر به عهده من الفوضى والتفكك والمؤامرات والاغتيالات مما أدى إلى انتشار الفوضى فى الحكومة والمجتمع، وتأثرت مصر بذلك فامتلأت أرض الصعيد بعصابات اللصوص وقطاع الطرق وغزاها البدو وأهل النوبة واضطربت أوضاع مصر السفلى أيضاً وانصرف الحكام إلى جمع المال لخزانة الإمبراطورية بغض النظر عن مشروعية الوسائل أو غير مشروعيتها فأضرمت مصر بنار الثورة وتعرضت الإمبراطورية البيزنطية إلى كارثة خطيرة إذ هزمت عسكرياً فى البلقان وآسيا الصغرى والشام واجتاحتها الجيوش الفارسية ثم شرع الفرس بغزو مصر، وسقطت الإسكندرية فى أيديهم سنة 619م وأصبحت مصر كلها تحت حكمهم.

شعر المصريون بحرية لم يعهدوها من قبل فى ظل حكم فوقاس، ذلك أن الفرس تركوا لهم الحكم من اللامركزية المألوفة فى بلادهم، وأسقطوا عنهم كثيراً من الأعباء التى كانت ترهقهم وإن ظلوا متعالين عليهم بوصفهم الطبقة الحاكمة.

ونجح هرقل فى خلع فوقاس وتولى ابنه هرقل الأصغر الحكم ونهض لقتال الفرس واسترد ما فقدته الإمبراطورية البيزنطية على أيديهم فاستعاد الشام ومصر.

وكان المصريون يأملون فى الحكم الجديد الخير الكثير، ولكن خاب ظنهم حينما عاد الحكم البيزنطى إلى سيرته الأولى من التعسف والظلم مما باعد بين الشعب وحكامه وكان آخر الحكام البيزنطيين المقوقس الذى سعى لتنفيذ برنامج هرقل الهادف إلى تدعيم مركزية النظام بضرب المذاهب المتعارضة مع المذهب الرسمى للدولة.

وتلك كانت الأسباب والتداعيات التى ساعدت عمرو بن العاص على فتح مصر حيث وقف الشعب المصرى على الحياد ولم يساعد البيزنطيين ضد العرب المسلمين وخصوصاً أنهم سمعوا أن المسلمين جاءوا بدين جديد يسمح لهم بحرية العقيدة والتسامح الدينى، فرحبوا بهم ودخل العديد منهم الإسلام وظل الكثير على ديانتهم وسمح لهم بالصلاة وممارسة شعائرهم الدينية فى حرية وأمان وتمت تسميتهم بالأقباط رغم أن كل المصريين كان يطلق عليهم الأقباط.

وبدأت مصر عصراً جديداً من العدل والمساواة والحرية فى ظل حكم الدولة الإسلامية. ومازال جامع عمرو بن العاص شاهداً على عظمة وقوة وتسامح المسلمين.

المرأة العربية بين آمال التغيير وتحديات الواقع

يعد الثامن من شـــهر مارس/ آذار من كل عام يوماً يحتفى به العالـــم بالمرأة أينما كانت، ويرمى هذا الاحتفال الذى يعود تاريخه للعام 1945 إثر انعقاد أول مؤتمر للاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى فى باريس لتكريم المرأة وإنجازاتهـــا على كافة الأصعدة والمجالات. وقد قامت الأمم المتحدة بالاعتراف بهذا اليوم كعيد رســـمى للمرأة فى العـــام 1977 حيث أصدرت قراراً يدعو دول العالم إلى اعتماد أى يوم من الســـنة يختارونه للاحتفال بالمرأة فقررت غالبية الدول اختيار الثامن من مارس، ومنذ ذلك الحين وهذا اليوم يعد رمزاً لنضال المرأة فى نيل حقوقها ومطالبها حول العالم. وتقوم بعض الدول كالصين بإعطاء المرأة العاملة يوم إجازة كنوع من التقدير.

ميسا جيوسي

حرم سكرتير أول جمال عطا

اليوم وفى الثامن مـــن آذار من العام 2019، قد لا تبدو الصورة أجمل بكثير فيما يتعلق بأوضاع المرأة بشـــكل عام والمرأة العربية بشـــكل خاص. فقد يبدو أن هناك اختلافاً إيجابياً نوعاً ما من نواح اقتصادية واجتماعية وسياسية بتفاوت أماكن تواجدها وقوانين وأنظمة الدول التى تعيش بها، لكن مازال أمام نساء العالم الكثير من ما يجب العمل عليه بهدف تحسين ظروف حياتهن. كما أن الفجوة واسعة بكل أشكالها بين ما أنجزته المرأة فى المجتمعات الغربية على صعيد القوانين والتشـــريعات التى تضمن إلى حد كبير إنصافها إن لم يكن مساواتها تماماً إلى الرجل فى حقول التعليم والعمل والصحة وغيرها مـــن مناحى الحياة. لكن المرأة مثلاً إلـــى يومنا هذا لم تقدم أقصى ما يمكنها فيما يتعلق بمشاركتها الإنتاجية وانخراطها بســـوق العمل. فوفقاً لدراسة أجراها معهد ماكينـــزى العالمي؛ فإنه إذا شـــاركت المرأة فى العمل بمقدار مماثل تماماً للرجل؛ يزيد الناتج الإجمالى العالمى بمقـــدار 28 تريليـــون دولار أمريكي؛ أى زيادة بواقع 26 ٪ عن الزيادة المتوقعة إذا ظلت نسب مشاركة المرأة كما هى. وبالنظر لمنطقة الشرق الأوســـط وشمال إفريقيا؛ فإن سد الفجوة بين الجنسين فى معدلات المشاركة فى أسواق العمل؛ يمكن أن يزيد الناتج الإجمالى لهذه المنطقة بواقع 47٪

وبالانتقال إلى الشـــرق الأوســـط لا تغدو مشـــاركة المرأة فى سوق العمل هى الهم الأكبر والوحيد لهـــا، فيضاف لقائمة التحديات عدد أكبـــر وأكثر عمقاً وخطورة مما تواجهـــه نظيراتها فـــى دول أخرى، فالمرأة هنا يضاف إلـــى معاناتها الكثير من التحديات والمعانـــاة التى تواجه هذا الجزء من العالـــم، وبالتالى تنعكس عليها بمضاعفة العـــبء الملقى علـــى عاتقها. ففى كثير من الـــدول تنعدم القوانين التى تعمل على خلق مجتمعات ســـوية تتعامل مع المـــرأة كمكون أساســـى من مكونات المجتمع وركيزة مهمة إن لم تكن الأهم فى رفعته وتقدمه. فمازالت نسب الفقر والأمية ونســـبة وفيات الأمهات المتعلقة بالحمل والولادة مرتفعة جـــداً بتفاوت بين الدول.

فمثلاً فيما يخـــص التعليم والالتحاق به فـــى المرحلة الإلزامية تتفاوت نســـب تلقى الفتيات للتعليم فـــى الوطن العربى لتصل أقلها فى اليمن مســـجلة 4٪ وهى نســـبة مخيفة بينما تصل إلى 100٪ فى دولة الإمـــارات العربية المتحدة وفقا لآخر الإحصائيات التـــى أدرجتها منظمة المرأة العربية فـــى تقريرها حول المرأة وتحقيق أهـــداف التنمية المســـتدامة فى المنطقة العربيـــة. أما فيما يتعلـــق بوفيات المرأة المرتبطة بالحمل والـــولادة فقد تراوحت النسب أيضاً فسجلت أقلها فى دولة الكويت بواقع أربـــع وفيات فى العام، بينما وصلت أكثرها فى الصومال بواقع 732 حالة وفاة سنوياً، وذلك بحسب الإحصائيات الرسمية الصادرة عن البنك الدولى للعام 2015. كما لايزال زواج القاصرات يطرق نسباً مخيفة لا قبل للمجتمعات التـــى تواجه هذه الآفة على تحمل تبعاتها. وفى هـــذا المجال لا بد من العمـــل على تجريم زواج القاصرات ورفع ســـن الزواج قانونياً لـ18 عاماً لكلا الجنسين وحث الجهات التشريعية فى كافة الـــدول العربية على الحد مـــن هذه الآفة.

هذا وقد انعكس الحـــراك القائم فيما بعد «الربيع العربي» ســـلباً على المرأة فى دول كثيرة أهمها اليمن وســـوريا والعراق حيـــث أضحت المرأة فى هـــذه الدول من أكثر الفئات المتضـــررة فزادت إلى قوائم اللجوء التى تصل نســـبة المرأة فيها وفقاً للإحصائيات المذكـــورة فى تقرير منظمة المرأة العربية حيث تمثـــل المرأة حوالى 44٪ من إجمالى اللاجئيـــن فى المنطقة العربية الذين يقـــدر عددهم بحوالى 8.1 لاجئ ولاجئة، فزاد وضع اللجوء لتلك النساء فوق عبئهن عبئاً. وفى هذا السياق لا تغيب عن المشهد أبداً معاناة المرأة الفلسطينية الممتدة لعقـــود والتى يعمـــق من أثرها الاحتلال الإســـرائيلى بممارساته الغاشمة.

اليوم ومنطقتنا العربية تواجه تحديات جمة أولها الأمن والأمان والقائمة بعد ذلك تطول، لا بد من الاهتمام بأن لا تسقط قضايا المرأة بين كل هذه التحديات الكبيرة وتهوى لقعر قائمة الأولويات. فالتنمية المستدامة – إن أمكن الحديث عنها فى الوقت الراهن – يجب أن تأخذ المرأة بعين الاعتبار كمكون فاعل ورئيســـى، وقد كان من المهم جداً ما عملت عليه منظمة المرأة العربية بربط المرأة بالأجندة التنموية 2030. ومن المهم فى خلال العمل على تحسين وضع المرأة العربية قولبة هذه الخطوات بما يتماشـــى مع خصوصية هذه المـــرأة والأدوار التى تناط بها بما لا يتعارض ومنظومة الأخلاق والثقافـــة والدين وذلك من شـــأنه تدعيم تمكينها لا الحد مـــن تطورها ورفعتها إن وظفت كل تلـــك الأدوات بطرقها المثلى.

فى الختام كل عام

ونساء العالم برفعة وخير

الإنسان مصيره بيده

نعم.. الإنســـان مصيره بيده.. وإن بدأ له غير ذلك، وإلا لما كان هناك حســـاب ولا جزاء «ولله ما فى الســـماوات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسني» (النجم 31) والحسنى هى الجنة

سفير د. فتحى مرعى

أى كما يقول التعبير الدارج «كل واحد متعلق من عرقوبه» فهو مسئول عما يفعله، ولا يستطيع أن ينحى باللائمة على غيره أو على الظروف أو على قدره، إن كان ما يفعله شـــرا.. وقد أكد المولى تبارك وتعالى هذا المعنى بقوله» وكل إنســـان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا. إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا. من إهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها» (الإسراء 15 – 13) وطائره أى عمله، كالقلادة حول العنق.

وهم إذ يوهمون أنفسهم فى الدنيا بأن هذا قدرهم الذى لا يستطيعون منه فكاكا، فإنهم فى جهنم يعترفون بأنه غلبت عليهم شـــقوتهم «قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضاليـــن. ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا عدنا فإنا ظالمون. قال إخســـئوا فيها ولا تكلمون. إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فغفـــر لنا وارحمنا وأنت خير الرحمين. فاتخذتموهم ســـخريا حتى أنســـوكم ذكرى وكنتم منهـــم تضحكون. إنـــى جزيتهم اليوم بما صبـــروا أنهم هم الفائزون» (المؤمنون 111 – 106)،

واتختموهم صخريا أى كنتم تسخرون منهم.

الذى يعمل سوءا يجز به، مهما اختلق لنفسه من الأعذار أو المبررات أو الضغوط التى تعرض لهـــا، أو الأوامر التى تلقاها.. كل ذلك لا قيمـــة له، ولن يدفع عنه العذاب المهين فى الآخرة «من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا. ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلـــون الجنة ولا يظلمون نقيرا» (النساء 124 – 123).. ولا يظلمون نقيرا أى يحسب لهم كل عمل صالح مهما كان قليلا.

الإنســـان قد ينســـى ربه فى الدنيا، ويظن أن الدنيا قد دانت له وأصبحت تحت قدميه.. يأمر وينهي، ويرتكب من الموبقات ما تقتشعر له الأبدان، ولا تطرف له أجفان.. ويعتقد أنه فوق كل حســـاب.. وهذا غرور، لأنه ســـوف يلاقى عاقبة ما فعله فى الدنيا «ولعذاب الآخرة أشد وأبقي» (طه 127).

ومن الناس من هم قســـاة القلوب، لا يكترثون لآلام الناس، ولا يتأثرون لهم و لا يتأثرون بهم.. قلوبهم كالحجارة «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة» (البقرة 74) ويتوعدهم ربهم بالويل «فويل للقاسية قلوبهم» (الزمر 22).

وهناك أناس يفعلون الخير ويسرعون إليه، ولا يقربون الشـــر بل يبتعدون عنه، مهما كانت المغريات «أولئك يسارعون فى الخيرات» (المؤمنون 61).

والخلاصة أن الله يعلـــم من هم على طريق الهدى والرشاد، ومن هم على طريق الضلال والفساد «قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا» (الإسراء 84) أى كل يعمل وفق ما يرتاح إليه ويجد نفسه فيه خيرا كان أم شرا

الناس وأمزجتهم

من الناس من أمزجتهم متقلبة.. ساعة تجدهم رائقى المزاج، وساعة تجد أمزجتهم متعكرة، فلا تحب أن تقترب منهم وهم على هذا الحال، وإلا نالك منهم مالا تحب.

ومن الناس من أمزجتهم ثابتة على حال واحد.. فهم إما معتدلـــى المزاج دوما.. لا يعبسون فى وجه أحد، ولا تخشن أصواتهم وتعلـــو نبرتها إلا فى حـــالات نادرة وفى ظروف ضاغطة.. ومنهم من تراهم مقطبى الجبين، لا يبتسمون إلا فى حالات نادرة «!» ولا يتبسطون مع أحد، ولا يفتحون قلوبهم لأحد، ولا يســـتمعون لأحد.. وإن استمعوا لا يصغـــون لما قيـــل، وإذا تحدثوا كانت لهجتهم مستفزة وإن لم يستفزهم أحد، فهم مستنفرين طول الوقت، وجاهزون للعراك والشجار لأقل بادرة.. تخشى الإقتراب منهم وتتحسب للتعامل معهم، حتى لا ينالك رذاذ مزاجهم الحاد أو شظاياه المتطايرة.

ومـــن الناس من هو ســـريع الغضب، يغضب بمناسبة وبدون مناسبة، ولابد من أن تنتقـــى كلماتك بعنايـــة قبل أن تخرج من فمك فى الحديث معه، حتى لا يســـئ تفســـيرها، أو يظن أنك تقصـــد إهانته أو تجريحه.

ومنهم الحليم الـــذى يتحدث إليك فى هدوء ودون رنفعـــال، وإذا تحدثت إليه لم تكن متوترا ولا مشدودا، وإنما آخذا راحتك فى الحديث، وهو يستمع إليك ولا يتعجلك أو يقاطعك، وهو يصغى لما تقول مستوعبا لما قيل.. وهو واســـع الصدر، منفتح على الناس، ممن يألفون ويألفون.. وإذا أخطأت فى حقه وإعتـــذرت قبل إعتذارك عن طيب خاطر.. ولكـــن إذا تبين لـــه أنك أخطأت فى حقه متعمدا، ثـــار ثورة عارمة، ولذلك يقولون «إتق غضب الحليم».

الإنسان متقلب المزاج لا تأمن التعامل معه، لأن مزاجه قد يتبدل فجأة دونما سبب واضـــح، ولذلك فالتعامل معـــه ينبغى أن يكون بحذر.. كما أن الإنســـان ذو المزاج الحاد تتحاشـــى التعامل مـــع إلا مضطرا وفى أضيق الحدود، لأن إحتمال أن يتطاول عليك، ويوسعك من لسانه الحاد ما يوجعك، إحتمال وارد دائما.

أما الإنســـان رائـــق المـــزاج دائما، فالاقتراب منه والتعامـــل مع لا يحمل أى مجازفة، بل قد يكون الاقتراب منه والتعامل معه شيئا مستحبا، وأنت تلجأ إليه فى طلب خدمة معينة أو تسأله الرأى والمشورة فى موضوع يخصك، لم يخذلك، وتعاون معك بقدر استطاعته ولا يشعرك بأى حرج.. وهو حليم طويل البال، ودود مع الناس جميعا، وهو حسن المعشر بين أهله وحكذلك بين زملائه، ومع رؤســـائه ومرؤسيه على حد ســـواء.. وقد امتدح رب العزة إبراهيم عليه الســـلام بأنه كان حليما «إن إبراهيم لحليم أواه منيب» (هود 75) وأواه أى يتوجع لآلام الناس، ومنيب أى رجـــاع إلى ربه فى كل أمره.

البنك بقى على كيفك

ليه حسابك يبقى زي كل الناس؟ خليك مميز

حساب Easy Savings هيسهل تنفيذ كافة معاملاتك البنكية في أي وقت ومن أي مكان.

لمزيد من المعلومات، اتصل على ١٩٦٦٦

حساب
Easy Savings

بدون حد أدنى لرصيد فتح الحساب

بدون رسوم فتح الحساب

بدون مصروفات إدارية على الحد الأدنى للرصيد

يتم تحديد سعر العائد طبقًا لأسعار العائد المعلنة من قبل البنك المركزي المصري

تُطبق الشروط والأحكام

CIB | GLOBAL BANK AWARD 2018 GLOBAL FINANCE

١٩٦٦٦ | WWW.CIBEG.COM | /CIBEgypt

بنك نثق فيه

السـوق

للفنان حسين امين بيكار من مواليد الاسكندرية فى 8 ابريل 1897 وتوفى فى 8ابريل 1964